المَستوى التَّركيبِي

عند السيوطي في كتابِهِ الإتقان

الدكتورة

سوزان الكردي





المستوى التركيبي

عند السيوطي في كتابه الإتقان

المستوى التركيبي عند السيوطي في كتابه الاتقان

الدكتورة سوزان الكردي

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2013/4/1199)

رقم التصنيف :412.2

الواصفات:/علم الأصوات /اللسانيات/اللغة العربية

الطبعة الأولى 1435هـ - 2014م



عمّان - شارع الملك حسين - مقابل مجمع الفحيص التجاري

هاتف : 4651650 - فاكس : 4643105 - 6 - 00962

ص . ب . : 367 عمّان 11118 الأردن

E-mail: dar_jareer@hotmail.com

ردمك ISBN 978- 9957 - 38 -283 -4

المستوى التركيبي

عند السيوطي في كتابه الإتقان

الدكتورة

سوزان الكردي

الطبعة الأولى

1435هـ - 2014م



المحتويات

الإهـــداء

- إلى والديَّ الحبيبَين اللذين يَمدّاني دَوماً بالمحبّة والأمان، أرتَشِفُ مِن حَنانِهما ما يُعينني على مواجَهة الصِعاب.

إلى شَقيقاتي وأشقائي... رِفَاق الرّوح.-

- إلى تَوأَم روحي (سوزان مشير الكردي)، نِعمة الصَديقة.

أهْدي جهْدِيَ المُتواضِع هذا..

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح الخلق لساناً وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:-

فمما لا شك فيه أن المتتبع لجهود السيوطي (عبد الرحمن بن الكمال بن ابي بكر بن همام الدين الهمام الخضري السيوطي (٨٤٩هـ ـ٩١١هـ))يكتشف أنه عالم متعدد الجوانب، لم يدعْ فرعاً من فروع اللغة دون أن يطرقه ويترك لنا فيه آثاراً. وقد تركت عنايته المتعددة بشتى ألوان البحث أثراً بالغاً في تفكيره وطبّع عقليته بطابع متميز، والسيوطي في حقيقة الأمر يعطي أصدق صورة للعلوم الإسلامية بصفة خاصة والعلوم اللغوية بصفة عامة؛ ذلك أن البحث اللغوي القديم – في مجمله- نشأ في ظل الدراسات القرآنية، ونما أساسه من خلال اللفظ المفرد وكيفية وقوعه في التركيب، وما يطرأ عليه من تغير، وما يتبع هذا التغير من إفراز دلالي يتصل أساساً بالمعنى النحوي. وهذا ما فعله السيوطي في كتابه الإتقان، فأفاد من الإمكانات التركيبية في اللغة ولا سيما في النصوص القرآنية، ورصد الخواص الشكلية التي تصيب التراكيب ووصفها بدقة، ثم خرج من ذلك بما يصيب الدلالة في تغيير بتعميمها أو تخصيصها.

فالدرس اللغوي القديم تطور من دراسة المفردة إلى دراسة التركيب، والتركيب في الدرس اللغوي الحديث في معترك تطور حتمي يعنى بالنص على أنه بنية نصوص مركبة، ولا سيما نص التركيب القرآني والحكم على تماسكه والمورفيمات التي أسهمت في تحقيقه، إلى جانب الانزياحات ودلالاتها، فوجدت لهذا التفكير اللغوي الحديث جذوراً عند السيوطي، ورغبت في عرض فكر السيوطي اللغوي بأسلوب يجمع بين الأسلوب القديم والحديث المعاصر في دراسة اللغة، والجدير بالتنويه أن هذا الجانب من فكره لم يعرض ولم يفصل فيه تفصيلاً وبهذا الأسلوب، فمعظم ما كتب عن السيوطي كان منحصراً على جهوده في علوم القرآن. من ذلك أطروحة دكتوراه بعنوان (الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن)، ورسالة ماجستير بعنوان (الإمام السيوطي وكتابه الإتقان في علوم القرآن)، يضاف إليهما الكتاب الموسوم بـ(جلال الدين

السيوطي ، عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي)، وفيها عرض لجهوده اللغوية والدينية دون التفصيل في التحليل الدلالي للمستوى التركيبي للنص القرآني.

وقد اقتضت المادة المجتمعة لديّ عن هذا الموضوع تقسيم البحث على تمهيد وفصلين، واختتم بخاتمة، فعنوان التمهيد (النظام البنيوي للتركيب العربي)، ويبين النظام الصوتي الذي يبنى عليه النظام الصرفي ، ثم النظام التركيبي والعلاقة بين الأنظمة الثلاثة علاقة تضامنية احتوائية، بتضافرها جميعاً تتحقق عملية الفهم والإفهام، والتماسك النصي. فالدراسة العربية على وفق هذا النظام تبدأ بالمستوى الصوتي المهتم بدراسة الوحدات الصوتية، ثم المستوى الصرفي، ويعالج التحولات التي تطرأ على البنى الشكلية للصيغ التصريفية والإشتقاقية. أي دراسة الجانب الهيكلي لتركيبة البنية، كالأصول والزوائد، فالكلمة هي من أهم الوحدات اللغوية التي يبحثها علم الصرف، ويعبر عنها المحدثون بـ(المورفيم) الذي ارتأينا استخدامه في متون البحث، والمستوى الثالث هو المستوى التركيبي ودلالته السياقية، وهو مربط الفرس في بحثنا.

وجاء الفصل الأول بعنوان (المستوى النمطي للتركيب) محتضناً في ثناياه أربعة مباحث، واختص الأول منها بالمورفيمات الشخصية التي تشكل مظهراً من مظاهر التناسق والانسجام بين أجزاء التركيب نوعاً وعدداً وشخصاً، ثم عرجت على مرجعية المورفيمات الشخصية لملازمتها للفظ المذكور في سياق التركيب سابقاً أو لاحقاً، وتنتج عنها مرجعية داخلية. ثم انتقلت إلى المرجعية الخارجية، وهي تترجم إلى الإحالة الخارجية خارج البنية التركيبية، وإن لم يجر ذكر صريح اللفظ له ويتوقف على معرفة سياق الحال والموقف الكلامي المحيط بفضاء التركيب اللغوي.

في حين كان المبحث الثاني عن مورفيمات الجنس التي ذكرها السيوطي، وهي عبارة عن مورفيمات شكلية في نهاية الكلمة المؤنثة للدلالة على تأنيثها وتمييزها عن المذكر مع أنماط التأنيث من حيث الحقيقة والمجاز واللفظي والمعنوي.

أما المبحث الثالث فهو عن مورفيمات التعيين التي لها دور فعال لمعرفة صحة بعض التراكيب العربية نظماً ودلالة، ومن أشهرها (ال التعريف) بأنواعه (العهدي،

الذكري، الحضوري)، والتنوين بأنواعه (التمكين، التنكير، المقابلة)، مع ذكر دلالاتها المعنوية في سياقات متباينة.

وبعد الإنتهاء من المورفيمات انتقلت إلى المبحث الرابع (التبعية) الذي يشمل تلك الفصائل النحوية التي تتشكل هيئاتها التركيبية بوساطة علاقة سياقية معنوية، وهي تتوزع على محاور: (الصفة، عطف البيان والنسق، البدل، التوكيد) مع عرض لأنواعها ودلالاتها في التركيب النمطي.

أما الفصل الثاني فعنوانه (المستوى الانزياحي للتركيب)، والانزياح هو نمط من التحويلات والتغييرات التي تطرأ على المستوى التركيبي، نحو: الحذف أو التقديم أو الاستبدال أو الإضافة، وهي التي تسهم في منح التركيب اللغوي الخصوصية الجمالية، وقد تطرق السيوطي إلى أنواع الانزياحات الحاصلة في التركيب العربي، وفصلنا فيها في تضاعيف مباحث هذا الفصل، وهي كالآتي:

المبحث الأول: الانزياح الموضعي، ويشمل ظاهرة التقديم والتأخير، اي التسلسل الموضعي أو الرتبي للمكونات اللغوية على مدار الخط الأفقي للتركيب، منها تقديم المعمول على عامله، نحو: المفعول به على الفعل والفاعل أو الفاعل على فعله بمقتضى قواعد التحويل، مع التدليل على الاختلافات الدلالية. وقد يكون التقديم حاصلاً على غير العامل، لتحقيق دلالات لغوية متباينة.

المبحث الثاني: الانزياح الاختزالي، ويتلخص هذا المبحث في تقليص التركيب، وذلك باختزال بعض العناصر اللغوية داخل التركيب. وقد قسّم الاختزال على ضربين: الضرب الأول: الاختزال بالقصر، أي تقصير البنية التركيبية، وتضييق نسبة علاقاتها السياقية مع توسع في الرقعة الدلالية وتتضح بجلاء في التراكيب القرآنية، والضرب الثاني هو الاختزال بالحذف، ويشمل الحذف الإفرادي، أي حذف الاسم (المبتدأ، الفاعل، المفعول، الصفة وغيرها)، وحذف الحرف، نحو: (همزة الاستفهام، حرف الجر، حرف النداء، حرف النفي وغيرها)، وحذف التركيبي المماثل في حذف أسلوب من الأساليب اللغوية، نحو: (أسلوب الشرط أو القسم)، مع ذكر دلالات ومسّوغات كل منها.

المبحث الثالث: الانزياح التوسعي، وينتج عن التغييرات السياقية التي عولجت ضمن فصائل إضافية زيدت على التركيب النمطي لتولد دلالات ثانوية غير متحصلة في التركيب النمطي، وهو متحقق اما بتعداد التراكيب المختلفة، أو بالتوسع بإضافة مورفيمات مؤكدة

المبحث الرابع: الانزياح الاستبدالي: ويعكس التغييرات المتناوبة الجارية على الوحدات السياقية، لتنوب وحدة منزاحة عن وحدة نواتية أصلية تحقيقاً لغرض بلاغي دلالي، وقد يحدث في المورفيمات الشخصية، أي (الضمائر)، أو في المورفيمات العددية (الإفراد، التثنية، الجمع) أو في المورفيمات النوعية، كـ(التذكير والتأنيث)، أو في المورفيمات الزمنية، كاستبدال الفعل المضارع بالماضي أو العكس.

المبحث الخامس: هو الانزياح البياني في مستوى التركيب، ويتجلّى في التغييرات التي تطرأ على الصور البيانية داخل السياق، ويقع هذا المبحث في قسمين: انزياح وظيفي، وقد أدرجه السيوطي ضمن فن المجاز مركزاً على المجاز العقلي، ويقابله الانزياح العلائقي، ويتعلق بانتقال المفردات من دائرتها الدلالية المعجمية إلى دوائر مجازية أخرى، ويقع ضمن المجاز المرسل والاستعارة.

واختمت الرسالة بخاتمة اثبت فيها بعض النقاط التي استنتجتها من خلال عرض آراء السيوطي وتحليلها تحليلاً نحوياً تارة معجمياً تارة أخرى.

أما المصادر والمراجع التي عوّل عليها البحث فهي كثيرة ومتنوعة، قديمة وحديثة، وفي جميع المستويات اللغوية (الصوتية، الصرفية، النحوية، البلاغية)، فضلاً عن التفاسير والكتب المعنية بتحليل النصوص القرآنية، ثم بعض المصادر الأجنبية. وجدير بالتنويه أن (الإتقان في علوم القرآن) قد حُقق أكثر من مرّة، بيد أنني عوّلت على نسخة (الدكتور مصطفى ديب البُغا) لما امتازت به من حسن التحقيق والتقسيم والتبويب العلمي، وهذا ما جعلني أن أستغني بها عن بقية النسخ.

ومن أبرز المعوقات التي واجهتها الباحثة سعة الموضوع وتشعب فروعه وشموليته مع صعوبة الحصول على المراجع الحديثة بسبب الظروف القاهرة والوضع الأمني المتردي في العراق.

وأرجو أن أكون قد وفقت في إضاءة هذا الجانب اللغوي من فكر العالم الجليل (السيوطي) وربطه بالفكر اللغوي الحديث، ولا أدعي الكمال لعملي المتواضع هذا، فالكمال لله وحده، والتوفيق به، والتوكل عليه، فهو نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد

النظام البنيوي للتركيب العربي

انشغل الإنسان منذ الإرهاصات الأولى بلغته؛ وذلك لأنها ((وعاء(shell) الفكر أو أداته المادية))[1]، وفكر في مكنونها وقضاياها وأسرارها ووقف عليها، و كلما تدرج في سلم الزمن واتسعت دائرة معارفه، تدرج في طرائق التفكير في هذه اللغة؛ لإحساسه أن بينهما علاقة وثوق والتحام؛ لكون ((اللغة في خدمة الحياة , واللغة بوصفها وظيفة حياتية , مشربة بالعلامات الإنسانية وممتزجة بالنضال البشري وقد وجدت من اجل تحقيق اغراض الحياة نفسها))[2]. فنظر الإنسان في أصوات اللغة وفي مفرداتها، وفي المعاني التي تؤديها التراكيب وفي الوظيفة التي تقدمها اللغة للمجتمع ولأفراده.

فاللغة منظمة عرفية ترمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظمة مكونة من مجموعة الفونيمات أو الحروف المكتوبة التي لا دلالة لها قبل تآزرها و انتظامها في مبان صرفية، ثم ترتبط هذه الفونيمات والحروف بوسائل معينة على وفق مجموعة من القوانين الصرفية مثل: البنية، والسوابق والمقحمات واللواحق؛ لتشكيل الكلمة المفردة، فتصبح لكل مجموعة سماتها البنائية ومحتواها الدلالي، وأولى النحاة دراسة علم الكلم عنايتهم الخاصة في مصنفاتهم اللغوية[3]، ولكن هذه الكلمات تدخل في علاقات سياقية مع كلمات أخرى؛ لبناء التركيب النحوي[4] الذي يؤول إلى المعنى .

---

(١) اللغة والفكر: ١٠٦.

(٢) الأسلوب والأسلوبية (غراهام هوف):٣٧، واستقبال النص عند العرب: ٨٦.

(٣) الكتاب: ١/ ١٢, والمقتضب: ١/ ٣، وشرح الكافية: ١/ ٨٢.

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٤ ، والمنهج الوصفي: ١٦٢، والمسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي: ٢٦٩.

وتتألف اللغة من المكونات الأساسية، وهي النظام الصوتي ،الذي يبنى عليه النظام الصرفي ثم النظام التركيبي[1]، و تستند هذه الأنظمة الثلاثية إلى ((بنية ذات علاقات خاصة تكشف عن منتوج تعبيري تواصلي))[2] في عملية الأداء الكلامي (Performance). وبتضافرهما تتحقق عملية الفهم و الافهام ضمن نظرية التداول و التواصل[3]؛ لكون العلاقة بينهما علاقة تضامنية احتوائية[4]. ويشكل النظام المورفولوجى حلقة الوصل والالتقاء بين النظامين (الفونيمى والتركيبي)؛ لأنه لاوجود لنظام تركيبي من غير الارتكان الى نظام (فونيمي مورفولوجى)[5].

وهذه المكونات تدخل ضمن مستويات عديدة، وقد أجمع اللغويون المحدثون على أن دراسة اللغة تندرج في أربعة مستويات :-

المستوى الصوتي

يهتم المستوى الصوتي بدراسة الوحدات الصوتية (phonemes)، التي تتكون منها الكلمة طبقاً لمعايير محددة، التي تمثل ((أصغر الوحدات الصوتية))[6]، والعلم الذي يتكفل بدراسة هذا المستوى هو (علم الصوت phonetics)، واختصاصه وصف مخارج الأصوات, و بيان صفاتها من حيث الجهر، والهمس، والشدة، والرخاوة، وغيرها من الصفات التي تتعلق بأصوات اللغة[7].و((علم التشكيل الصوتي phonology)) الذي يعنى بوظيفة الصوت اللغوي في السياق، من حيث علاقة

(١) مدخل إلى علم اللغة (عبد العزيز): ٢١٨-٢١٩.

(٢) إشكالية الترجمة: ٢.

(٣) في اللغة ودراستها: ٣.

(٤) اللسانيات والدلالة: ٥١.

(٥) علم اللغة العام (بشر): ١٨٤ – ١٨٨، ومناهج البحث في اللغة: ٢٩٢، واللغة بين المعيارية والوصفية: ١١٧، والمنهج الصوتي للبنية العربية: ٢٤ – ٢٥، ومدخل إلى علم اللغة (عبد العزيز): ٢٠٧ – ٢٠٨، والبنى النحوية: ٧٨ – ٧٩، وابن جني وعلم الدلالة: ٢٤٣، والتفكير اللغوي: ٣٣.

(٦) عصر البنيوية: ٢٨٢.

(٧) مناهج البحث في اللغة: ٦٥، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: ٢٥٨.

الأصوات بعضها ببعض عند اجتماعها في نسق صوتي منظم لتكوين الكلمات، وما ينتج عن تلك التعاملات الصوتية من ظواهر كالاعلال، والإبدال والحذف، والمماثلة، والمخالفة وغيرها[1].

وقد تنبه علماء العرب الى أهمية الوحدات الصوتية و أدركوا أن اللغة ((لا يمكن أن يفهم نحوها وصرفها فهماً صحيحاً إلا بعد دراسة أصواتها))[2].

وتصنف الوحدات الصوتية (الفونيمات) في اللغة العربية علي صنفين صوتيين رئيسين: (الصوامت/ **consonants**) و (المصوتات/ **vowels**)، التي تسمى بـ(الحروف و الحركات) عند القدامى[3]. ويقوم بناء الكلمات على أساس الصوامت؛ كونها اللبنات الثابتة في كيان الأبنية المورفولوجية، لذا عرفت عند المتأخرين بالثوابت[4]. بيد أن الصوامت ظواهر صوتية لايمكن أن تشكل وحدة صوتية كاملة إلاّ بتآلفها مع المصوتات[5]، وبتضافرهما يؤديان وظائف شكلية ومعنوية في عملية بناء اللغة.

المستوى الصرفي

أما فيما يخص المستوى الصرفي، فيقتضي قبل تناوله الإشارة إلى أن ثمة خيطاً متواصلاً بين المستويين الصوتي و الصرفي، الذي ((يتضمن عاملاً صرفيا (**morphological**) مشروطاً بعامل صوتي تشكيلي (**phonological**)))[6]. وهو ما يعرف بالمستوى المورفو فونيمى (**morphophonemic**)[7]، ويعالج هذا المستوى التحولات المبررة التي تطرأ فونولوجياً على البنى التحتية للصور التصريفية

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية: ١١٩.

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية: ١٦٨.

(٣) الكتاب: ٤/ ٣١٨، وشرح المفصل: ٩/ ١٤١، وفي الأصوات اللغوية: ١٥-١٩.

(٤) المنهج الصوتي للبنية العربية: ٤٣، ومدخل إلى دراسة الصرف: ٤٥: وأفكار وآراء حول اللسانيات: ١٣٨: والمنهج الوصفي: ١٦٤ – ١٦٥.

(٥) اتجاهات البحث اللساني: ٢٠، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق: ١١.

(٦) أسس علم اللغة: ١٠٦.

(٧) اتجاهات البحث اللساني: ٢٥١، ودراسة الصوت اللغوي: ٤٨-٤٩.

والاشتقاقية[1]، ويمكن دراسة الإبدال والإدغام، والقلب المكاني، والحذف ، والزيادة ضمن هذا المستوى[2] كما في (اصتبر –اصطبر)، (مَرْضَوي - مَرْضِيي).

ويركز المستوى الصرفي على دراسة الجانب الهيكلي لتركيبة البنية، كالأصول و الزوائد وما يتصل ببنية الكلمة من لواصق[3]، والتحولات الداخلية التي تصيب هيئة الكلمة من قلب وإبدال وحذف وزيادة.

والعلم الذي يهتم بهذا الجانب يعرف بـ(علم الصرف)، وهو((عِلْمٌ بأُصولٍ تُعْرَفُ بها أحوال أبنيةِ الكَلِم التي ليست بأعراب ولابناء))[4]، فالكلمة من أهم الوحدات اللغوية التي يبحثها علم الصرف؛ لأنها تمثل أهم مستوى للوحدات الدلالية[5]، وتعرّف الكلمة في الدرس اللغوي الحديث بمصطلح المورفيم (morpheme)*. وقد ظهر مصطلح المورفيم في النظرية اللغوية الحديثة كي يحل محل الكلمة التي بنى عليها القواعديون اصول نظريتهم في النحو والصرف[6].

ومن أوسع تعريفات المورفيم التعريف القائل: ((أصغر وحدة لغوية ذات معنى في بناء اللغة وتركيبها))[7]، إذ لا يمكن تجزئتها لوحدة أصغر منها؛ لأنها تفقد معناها.

---

(١) في الفكر الغوي: ١٧١ -١٧٢.

(٢) النظام الصوتي والصرفي في اللغة العربية: ٧، والمنهج الصوتي للبنية العربية: ٢١٠، والصرف والنظام اللغوي: ١٣.

(٣) مناهج البحث في اللغة: ٢٠٤.

(٤) شرح الشافية: ١/ ٧.

(٥) علم اللغة (الضامن): ٥٧.

(*) هذا المصطلح مشتق من الكلمة اليونانية (Morphe) بمعنى شكل أو (صورة) (From)، وقد ترجم إلى العربية بمصطلحات متعددة، كالصرفيم، والمصرف، واللفاظم، والصرفات، أو عامل الصيغة عند د. محمد مندور،ينظر: النقد المنهجي عند العرب: ٤٣٣ .

(٦) المعجم الوصفي لمباحث علم الدلالة العام: ٦٣.

(7) Linguistics: 193.

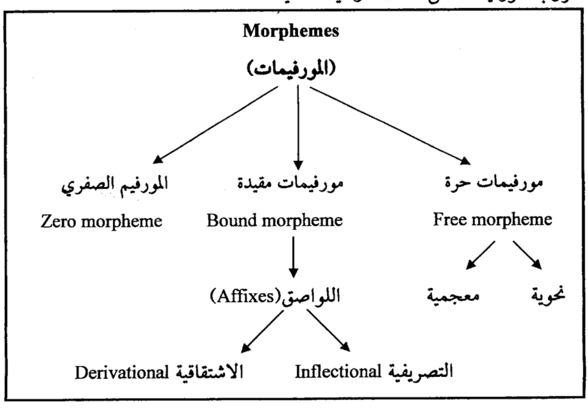
وحصره بعض اللغويين ضمن علم الصرف في مصطلح ((الوحدة الصرفية))[1]. بيد أن بعضاً منهم حصروها ضمن علم النحو؛ لأهمية هذه الوحدة اللغوية في تشكيل التراكيب النحوية وتكوينها، وقيل في تعريفه ((أصغر الوحدات ذات الدلالة في النحو))[2]، اذن فإن المورفيمات هي أصغر المكونات النحوية الحاملة للمعنى التي تعمل عليها القوانين النحوية، وتستعمل لتشكيل اللبنات التركيبية لهياكل الجملة العربية، وتعبر عن معانٍ نحوية، كالجنس، والعدد، والشخص، وزمن الفعل[3]. ولذا سيركز الفصل الاول على المورفيمات .

يقسم علماء اللغة العربية المورفيم على ثلاثة انواع: مورفيمات حرة(**Free morphemes**)، وهي التي يمكن أن ترد وحدها، وتسمى بمورفيمات جذرية (**Root morphemes**)، ولها قيمة معجمية (**lexical**)[4], وتتمثل في الضمائر المنفصلة, وحروف الجر (من , على, في, عن), وافعال الشروع, والأفعال الماضية, وزمن المضارع الواقع فى خبرها وهو متصور في الحال[5]. و مورفيمات مقيدة (**Bound morphemes**)، وهي التي لايمكن أن ترد وحدها بل مع وحدة صرفية حرة (**Free morphemes**)[6]، وتعرف بـ(لواصق **Affixes**)[7]، التي تكون على هيئة سوابق أو لواحق. ويمكن تقسيمها على (لواصق تصريفية)[8] ولا مراءَ في أن هذه اللواصق تضاف إلى المفردة؛ لتأدية وظيفة نحوية و دلالية، فمنها ما تخص الأسماء، ومنها ما

(١) اتجاهات البحث اللساني: ٢٨٨، ومدخل إلى علم اللغة (حجازي): ٥٦، وأصول تراثية في اللسانيات الحديثة: ١٨٩، والسكون في اللغة العربية: ١٧١.
(٢) مدخل إلى علم اللغة (لوريتوتود): ١٣٨.
(٣) علم اللغة (السعران): ٢٣٢.
(٤) وصف اللغة العربية دلالياً: ٤٧-٤٨.
(٥) المعجم الوصفي لمباحث علم الدلالة العام: ٦٣-٦٤.
(٦) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: ٢٧٦.
(٧) في الفكر اللغوي: ١٢٣.
(٨) مدخل إلى علم اللغة (ديتربونتج)[illegible]١-١٢٠، والمنهج الوصفي: ١٧٥.

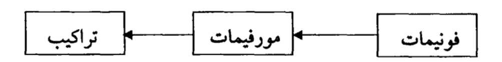
تخص الأفعال, وتسمى بمورفيمات تصريفية قواعدية[1]، و(لواصق اشتقاقية) يمكن على منوالها اشتقاق بنية ذات دلالات جديدة، ومنها ((الهمزة، والألف، والميم، والواو، والياء، والتضعيف))[2].

وثمة نوع آخر من المورفيمات تسمى بالمورفيم الصفري (zero morpheme)[3]، يحمل هذا المورفيم القيمة الخطية (Zero)، أي لا وجود له في الرسم الكتابي وقد يوصف في اللغة العربية بـ(الدلالة العدمية)، كدلالة الحذف والتقدير والاستتار[4]، مثل الضمائر المستترة و المورفيم الغائب المفرد في صيغة الماضي (كتب)، ومورفيم النفي في قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾[5]. ويمكن توضيح ضروب المورفيمات من خلال الترسيمة الآتية:



(١) وصف اللغة العربية دلالياً: ٤٧ – ٤٨.
(٢) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: ٢٧٦-٢٧٧.
(٣) اللغة: (فندريس): ١١٠، وأسس علم اللغة: ١٠٤، و Morphology: 55 .
(٤) اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٦، والتفكير اللغوي: ٣٢.
(٥) يوسف/ ٨٥.

إن مهمة هذه المورفيمات الثلاثة تتوزع بين اضفاء قيمة تعريفية أو تحديدية (Identification) , أوتصنيفية (Classification)، أو توزيعية (Distribution). وعلى هذا تكون المتوالية التركيبية للبنية في اللغة العربية على الوجه الآتي[1]:



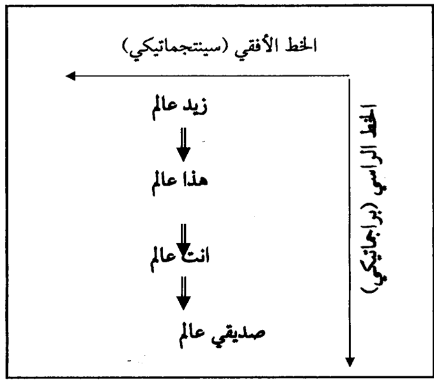
المستوى التركيبي

أما المستوى التركيبي فيدرس في ضوء هذا المستوى العلاقات ذات القيم المفارقة بين الوحدات اللغوية أو التراكيب[2]. ويعرف التركيب عادة بأنه دراسة هيكل الجملة[3]، والعلم الذي يتكفل بدراسته يسمى بـ(علم التركيب / syntax). وهو ذلك الفرع من اللغويات الوصفية الذى يهتم بدراسة تركيب صورالكلام المنطوقة او مايساويها من صور مكتوبة بجمع العناصر المتكررة المنطوقة وتصنيفها على وفق ما تشغله من مواقع وظيفية على وفق علاقات مكتسبة ضمن التركيب الواحد[4].وقد رصد اللغويون المحدثون صنفين من العلاقات التى تخضع لها التراكيب :-

الاولى/ العلاقات الأفقية أو السنتجماتيكية (Syntagmatic relations)[5]، وتتركز هذه العلاقات على كيفية تكوين العناصر اللغوية (كلمات أو لواحق)، ثم عناصر أكبر أو الجمل، وبيان خواص التركيب من حيث موقعية عناصره المكونة له ونوعية العلاقات بينهما[6]. وتقوم هذه العلاقات السياقية بتحديد الوظيفة النحوية[7].

(١) المعجم الوصفي لمباحث علم الدلالة :٦٤- ٦٥.
(٢) التفكير اللغوي: ١٠٥.
(٣) مفاتيح الألسنية: ١٠١.
(٤) أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث: ٧٢.
(٥) مناهج البحث في اللغة: ٢٢٩.
(٦) في الفكر اللغوي: ١١٣-١١٧، والتفكير اللغوي: ١٠٥.
(٧) أصول تراثية في اللسانيات الحديثة: ٢١٨.

الثانية/ العلاقات الرئيسة أو البراديجماتيكية (**paradigmatic Relations**)، وهذه العلاقة المتمثلة بتناوب العناصر اللغوية واستبدالها بغيرها في النظام اللغوى أو الجدول الصرفي الذي يستمد تشكيله البنائي وقيمه المختلفة من الاختيارات المتتابعة للوحدات اللغوية[1]. ولذا يسمى بـ((علاقات التبادل/ **Relations of Substitutability**))[2]. ولإيضاح ذلك نورد التركيب الآتي:



يتضّح من هذا الرسم البياني ان الوحدات اللغوية تنتظم في خط أفقى لتؤلف التراكيب اللغوية, المعبرة عن مضامين معينة, وقوبل في كل التركيب بين الوحدات على الخط الراسي؛ لتباين التغير الدلالي الناجم عن هذا التغير الشكلي .

وصفوة القول: إن تحديد الوظائف النحوية لعناصر التراكيب يعتمد على هذين النوعين من العلاقات، الأفقية التي تتمثل في موقعية هذه العناصر في التراكيب، والعلاقات الرأسية التي تتمثل فى تحديد البيئة الصرفية لهذه العناصر، إذن فـ((النظام

(١) مناهج البحث في اللغة: ٢٢٩ ، وفي الفكر اللغوي:١١٨، والتفكير اللغوي: ١٠٥،

(٢) مدخل إلى علم اللغة (عبد العزيز):٢٣٢، وفي الفكر اللغوي: ١١٨.

اللغوي إن هو إلا نظام للجداول الصرفية التي يقوم كل عنصر في داخلها بتحديد وتعيين العناصر الأخرى. وفي الوقت نفسه يتوقف دخول أي عنصر من هذه العناصر في التتابع الافقي على الجدول التصريفي المعين أو على الجنس الصرفي للعنصر، أهو اسم أم فعل , معرف أم منكر ...الخ))[1]. إذ إن التقنيّات النحوية تحدد قيم الكلمة ووظائفها داخل التركيب المعين، وتلك القيم أو الوظائف ليست الا امكانات علاقة تحدد حقل استعمال الكلمات أو التراكيب، فلا يوجد معنى منفصل للكلمة، وإنما معناها في التركيب الذي ترد فيه، أو الطريقة التي تستعمل فيها، أو الوظيفة التي تؤديها[2].

لذلك فإن اللغة ليست الا شبكة واسعة من التركيب والنظم, إذ تتحدد قيمة كل عنصر في التركيب، أو قيمة كل تركيب بالنظر الى العلاقات مع بقية العناصر والتراكيب. وتأتى هذه القيم من منظور القيم المفارقة او الخلافية بين هذه العناصر وتلك التراكيب, وهي ((أشبه برقعة الشطرنج التي لا تتحدد قيم قطعها بمادتها المصنوعة منها، وإنما بمواقعها والعلاقات الداخلية بينها في هذه الرقعة))[3].

والتركيب يتكون من الإسناد، أي (المسند والمسند إليه) الذي يشكل الهيكل البنيوي لتركيب الجمل العربية، ويستند التركيب إلى الإسناد، وهو المعيار الأساسي الذي أقام النحاة القدامى عليه حد التركيب وكانوا ينظرون الى المسند والمسند اليه بأنهما عماد التركيب, ويصطلحون عليهما مصطلح (العمدة)، وفي هذا يقول سيبويه (ت ١٨٠هـ): ((هذا باب المسند والمسند إليه، وهما مما لا يَغْني واحدٌ منهما عن الآخر, ولا يجد المتكلم منه بدّاً))[4]؛ لان ((تواجدهما شرط كافٍ لقيام الجملة))[5]. وقد تعددت آراء العلماء وتفاوتت في تعريف التركيب بسبب تعدد المعايير التي

---

(١) التفكير اللغوي: ١٠٦ – ١٠٧.

(٢) علم الدلالة (مختار): ٦٨ .

(٣) التفكير اللغوي: ١٠٥.

(٤) الكتاب: ١/ ٢٣.

(٥) دراسات في اللسانيات العربية: ٥٩.

استندت إليها منذ أفلاطون (٣٤٧ ق.م) حتى عصرنا الحالي[١]. ولقد أخطأ معظم الباحثين في تحليل هذا النص في وجوبية وجود الركنين لإفادة معنى يحسن السكوت عليه, بيد أن الدراسات اللغوية الحديثة لا تؤمن بهذه الفكرة ولا تعترف بها في فهم التركيب؛ ((فالجملة حقيقة هي التي تؤدي الفائدة كاملة, أما تكوينها الشكلي فلا يشرط فيه أن يوجد في النطق مسند ومسند إليه، بل تتحقق الفائدة الكاملة بوجودهما, وقد تتحقق بكلمة واحدة, إذا أدت المعنى المفيد))[٢].

ونجد أن فندريس قد فطن إلى مثل هذه الفكرة قائلا: ((والجملة تقبل بمرونتها اداء اكثر العبارات تنوعاً، فهي عنصر مطاط, وبعض الجمل تتكون من كلمة واحدة مثل (تعال) و(لا) و(وا أسفاه) و(صه)، وكل واحدة من هذه الكلمات تؤدي معنىً كاملا يكتفي بنفسه))[٣].

ولذلك فإن المفردات المتلاحمة والمتكاتلة في التركيب ليست إلا صورا منطوقة لما هو حاصل في الذهن و((التأليف في الذهن هو ربط الصور الذهنية المفردة بعضها ببعض على نحو تتحقق معه صلة ونسبة بين هذه الصور, فاذا أردنا أن نعبر عن ذلك وننقله الى ذهن السامع أو المخاطب عبرنا عنه بمركب لفظي))[٤]. إذن فوظيفة هذا التركيب نقل مايدور في مخيلة المتكلم من آراء إلى مخيلة السامع, وعلى هذا فالتركيب في هذا التصور هو ((القول المفيد بالقصد))[٥].

ويبدو من جل ما تقدم أن معنى التركيب ليس مجموع معاني المفردات التي تتالف منها ((بل هو حصيلة لتركيب هذه المفردات في نمط معين حسب قواعد لغوية محددة))[٦]. فالتركيب كما سلف ذكره يستند الى الاسناد وهو لب التركيب[٧] المكون

(١) دراسات في اللسانيات العربية: ٥٨.

(٢) أصول النحو العربي: ٢١٨، والجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: ١١٥ -١١٦.

(٣) اللغة (فندريس):١٠١.

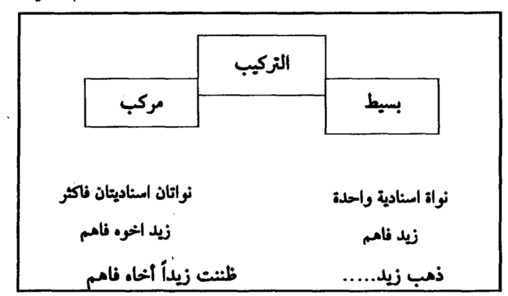
(٤) في النحو العربي (قواعد وتطبيق): ٨٢.

(٥) مغني اللبيب: ٤٩٠.

(٦) التقدير وظاهر اللفظ: ٦.

(٧) الجملة العربية دراسة لغوية: ١٤٩، ١٥٤.

من مركبين إسناديين أو أكثر, وكل مركب مستقل بنفسه, وليس معتمدا على الآخر, وكل مركب منها مساو للآخر في الأهمية ولا يربطها إلا بمورفيم العطف, ويصلح أن يكون كل منهما تركيباً بسيطاً، أو تركيباً ممتداً مستقلاً[1]. ويوضحه الرسم الآتي :



فإذا انطوى المسند على معنى الزمن كان الاسناد اسناداً فعلياً، وسمي التركيب تركيباً فعلياً، وإذا خلا المسند من معنى الزمن كان الاسناد اسناداً اسمياً وسمي التركيب تركيباً اسمياً. فإذا جري على أية من هذه الأطر الرئيسة تغييرٌ أوتحويرٌ في مبانيها الصرفية (المورفيمات) فيترتب على ذلك تغير في الدلالة، فيصبح التركيب مزاحاً ، الذي ترد دراسته في الفصل الثاني.

وقد أوضح السيوطي إيضاحاً كافياً رأيه في تأليف التركيب، بقوله: ((والحاصل ان الكلام لايتأتى إلا من اسمين أو من اسم وفعل، فلا يتأتى من فعلين ولا من حرفين ولا اسم وحرف ولا فعل وحرف ولا كلمة واحدة لأن الإفادة إنما تحصل بالإسناد، وهو لابد له من طرفين مسند ومسند إليه، والاسم بحسب الوضع يصلح ان يكون مسنداً و مسنداً إليه, والفعل لكونه مسندا لا مسنداً اليه، والحرف لا يصلح لاحدهما...))[2]، فالتركيب يولد على وفق قواعد نحوية معينة (Generative

(١) دراسات في اللسانيات العربية: ٢٧ وما بعدها.

(٢) همع الهوامع: ١/ ١١.

rules) تنسجم مع ناموس اللغة ، ثم يتحول تركيبها على وفق المعنى الدلالي. ولكل تركيب بنيتان هما:

١. البنية السطحية (Surface structure)

٢. البنية العميقة (Deep structure)

فالبنية السطحية تمثل الهيكل الخارجي المنطوق والمسموع لتركيب الكلام, وهي ((تضبط القوانين والقواعد التي تتحكم في نظم الكلمات الرئيسة الظاهرة في الجملة))[١]. في حين أن البينة العميقة تمثل الهيكل الداخلي المشمول بالجانب الدلالي إذ ((تعكس البينة العميقة إفرازاً للمعنى))[٢].

إذن فالبنية العميقة تحدد الدلالة في التركيب، بل هي المؤثر الوحيد في تحديد دلالات البينة السطحية[٣]. و بعبارة أخرى فإن عملية إدراك المعنى تبدأ من البنية العميقة و ان عملية التأويل الدلالي يمكن ادراكها من البنية الخارجية, و ذلك بالتركيز على العلاقات النحوية بين المفردات , وبين البنيتين تبادل في العطاء، و يأخذ طبيعة جبرية ؛لأن ((التغير في المستوى العقلي الباطني , يتبعه بالضرورة تغيّر في التشكيل الخارجي للصياغة , وعلى هذا فان المتكلم يستغل أنواع الاحتمالات النحوية الممكنة عقلا في خلق الأنماط التركيبية, ترتبط به و تدل عليه))[٤].

المستوى الدلالي

أما في المستوى الدلالي (Semantic) فيبحث عن معاني الألفاظ[٥], ودلالتها الصوتية, والصرفية, والنحوية.

---

(١) رأي في بعض أنماط التركيب الجملي: ٥٩.

(٢) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: ٥٨.

(٣) الألسنية وعلم اللغة الحديث: ٢٧٠-٢٧١.

(٤) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: ٧٣.

(٥) أسس علم اللغة: ٤٤، وعلم الدلالة (مختار):١١.

ويجدر بالذكر إبراز مدى التفاعل بين التركيب والدلالة؛ لأن أي مكوّن من هذين المكوّنين لن يكون مستقلاً في داخل اللغة, كما انه لن يتم فيها وجود إلاّ بوجود المكوّن الأخر؛ إذ لا يمكن دراسة التركيب إلا بربطه بالمستوى الدلالي ((إذإن الهياكل التركيبية والهياكل المعنوية متصلة فيما بينها اتصالاً شديداً))[1]. فعناية علم التركيب تنصب على دراسة الدوال في نطاق المحور السياقي الوارد فيه دراسة تعتمد على إبراز الخصائص اللغوية لتلك الدوال. ودراسة الخطاب من وجهة تركيبية تفضي حتما الى اكتناه دلالته؛ لأن التركيب متى ما افتقد الدلالة افتقد قيمته[2]. إذ ((يُعد التركيب العيّنة الممثّلة لفضاء خطابي واسع ضمن شبكة التداول, التي تترجم الواقع اللغوي بجمع مقوماته الفكرية والثقافية والاجتماعية والتأريخية والحضارية التي تهيمن على القدرة الاستيعابية لكيان اللغة وتطبع تشكيلاته الانجازية بسمات انتاجية تعبر عن مضامين دلالية خصبة توجب تغاير هياكل الاجراءات المنجزة بتغاير اتجاهاتها ودقائقها الادراكية تناسباً مع التفاوت النسبي لتاثير هذه المقومات فيها؛ وتجسداً للآصرة الداخلية الوطيدة بين الجانب الادائي والذهني))[3]. إذن فإن لكل نمط تركيبي استخدامه اللغوي وبعده الدلالي .

إذ لا يمكن الفصل بين هذه المستويات؛ فـ((بين هذه المستويات اواصر قوية, تجعل من اللغة العربية وحدة متكاملة , قادرة على التعبير عن متطلبات الحياة في كل زمان ومكان))[4]. ولكل مستوى من هذه المستويات أهميته الخاصة في بنية اللغة ولا سيما الدلالة؛ لان المستويات اللغوية تتلاحم فيما بينها لتادية الفهم .

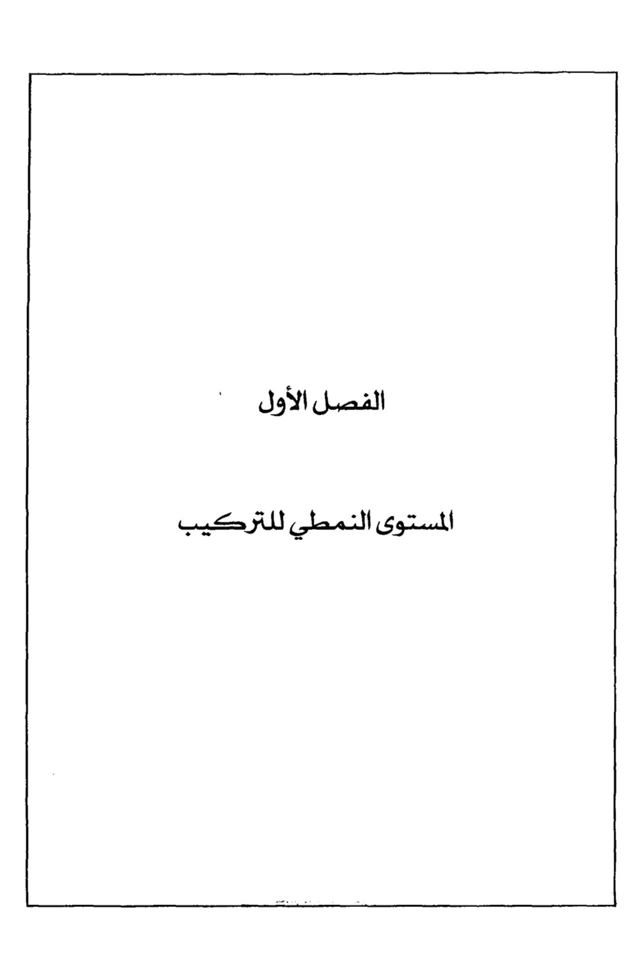
---

(١) التحليل الهيكلي للقصيدة العربية: ١٠٣.

(٢) أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث: ٧٣.

(٣) البحث الدلالي في كتاب سيبويه: ٢٦.

(٤) مستويات اللغة العربية: ٩.



الفصل الأول

المستوى النمطي للتركيب

الفصل الأول

المستوى النمطي للتركيب

المورفيم الشخصي

مورفيمات الجنس

مورفيمات التعيين

التبعيـة

الفصل الأول

المستوى النمطي للتركيب

تُعدّ اللغة أبرز وعاءٍ لنقل الفكر الإنساني، فالعمليات الذهنية المتنوعة التي تدور في أذهان البشر تتخذ من اللغة وسيلة لها، والكلام الذي يخضع لنظام منطقي يسمى بالتركيب، وهو ((المركب الذي يبيّن به المتكلم أن صورة ذهنية كانت قد تآلفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع))[1].

وان الهيئة التشكيلية للتراكيب العربية تتآلف من الوحدات اللغوية الفعلية والاسمية والحرفية، والهيئة النمطية للتركيب الفعلي تنتج بوجود بنية فعلية مع بنية اسمية. وإذا كانت هذه البنية الفعلية متعدية تأخذ فصيلة المفعول أيضاً، وإن كانت لازمة تكتفي بالفاعل فقط، ويتمثل ذلك في هاتين المعادلتين:

ت . ف . م = ف + فا + م . به

ت . ف . ل = ف + فا

أما التركيب الاسمي فقد تتشكل هيئته من بنيتين اسميتين، هما المبتدأ والخبر، ويتبيّن ذلك في هذه المعادلة:

ت . ا = م + خ

فهذه الهيئات التوليدية تدل على الإخبار الأولي المجرد من التحويلات في البنية السطحية والتحتية، وتعد هذه العناصر التركيبية الوحدات النحوية الثابتة التي تسمى

(١) في النحو العربي (نقد وتوجيه): ٣١.

بـ[1] (Established Grammatical Elements)، وتضاف بعض التراكيب اللغوية إلى ركنيها الرئيسين (المسند والمسند إليه) فصائل نحوية لتؤدي بنى ذات دلالات شتى انسجاماً مع دواعي المقامات وحاجاتها، وتتنوع الوظائف النحوية والدلالات الناجمة عن العملية التنسيقية للبناء الخارجي والداخلي بتنوع الفصائل النحوية والوحدات اللغوية المنظمة إلى بعضها؛ لأن ((اجتماع وحدة لغوية مع غيرها يساعد على إزالة الغموض في مكونها الدلالي، وزيادة قدرتها البيانية والتوضيحية لدنوها من الفهم بحكم العلاقة اللغوية الرابطة بينهما، وكلما توسعت رقعة هذه العلاقة وتكوّنت السلسلة العلائقية انتظمت أجزاء البنية الدلالية واكتمل هيكلها النهائي المفهوم))[2]. وتحدث السيوطي عن هذه الفصائل في مواضع كثيرة من كتابه، وبيّن أثرها في التركيب، وتبرز هذه الأمور بوضوح في مبحث التبعية.

والتراكيب النمطية مستندة إلى المورفيمات المتباينة التي تعمل على إيجاد نسيج هيكلي متكامل وأصولي لها، وأغلب هذه المورفيمات تؤدي الدلالة الأولية التي تدخل لتكوين الهيكل النهائي للنمط التوليدي للتركيب العربي، سواء أكان تركيباً فعلياً أم اسمياً، ويلحظ أن السيوطي قد ذكر هذه المورفيمات ووظيفتها وقيمتها في توجيه هذه التراكيب وإنتاجها في البنيتين السطحية والتحتية الموضحة في المباحث الآتية.

---

(١) الجملة العربية دراسة لغوية: ١٩٦.

(٢) الثنائيات المتغايرة: ١٠٥.

المورفيم الشخصي

تشكّل المورفيمات الشخصية في الهياكل التركيبية مظهراً من مظاهر التناسق والانسجام المراد به: تنسيق أجزاء التركيب في النوع (The Gender) والعدد (The Number) والشخص (The Person)، والتناسق ضرورة لغوية إذ لا يجوز على سبيل المثال ابتداء الكلام بمورفيم الغيبة وعودة المورفيم الخاص به في صورة المخاطب أو المتكلم من دون ضرورة تحتّم ذلك[1].

والمورفيم الشخصي مصطلح استخدمه المحدثون[2]، ويعادل مصطلح الضمائر عند القدماء[3]، والضمير[*] مصطلح بصري وسماه الكوفيون الكناية (المكنى) في دراستهم اللغوية[4]؛ لكونه كناية عن الاسم الظاهر، فكأن المتحدث ذكر الاسم، ثم أكد القصد منه بالضمير.

وسمي بالمورفيم الشخصي لدلالته ((على أسماء مبنية دالة على متكلم أو مخاطب أو غائب، كـ(أنا) أي الشخص الذي يتكلم، و(أنت) أي الشخص الذي يخاطب، و(هو) أي الشخص الذي يحكى عنه، أو المخاطب تارة والغائب تارة أخرى كالألف، الواو، والنون في نحو: اعْمَلا واعْمَلوا واعْمَلْنَ))[5].

---

(١) النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم: ٣١٤ – ٣١٥.

(٢) مناهج البحث في اللغة: ٢٥٥، واللغة العربية معناها ومبناها: ١١٠، والتطريز اللغوي: ١٣٣.

(٣) الكتاب: ٢/ ٣٥٠ – ٣٨٦، ٣/ ٧٣ – ٧٤، ٤/ ١٩٧ – ١٩٩، وشرح المفصل: ٣/ ٨٤، وأوضح المسالك: ١/ ٦٠.

(*) الضمير: السر وداخل الخاطر، والجمع الضمائر... والضمير الشيء الذي تُضمره في قلبك، تقول: أضمرت صرف الحرف إذا كان متحركاً فأسكنته، وإضمرت في نفسي شيئاً... واضمرت الشيء أخفيته. لسان العرب مادة (ضمر): ٤/ ٤٩٢.

(٤) معاني القرآن (الفراء): ١/ ٥٠، ١٠٤، ٣٠٣، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق: ٤٧.

(٥) التسهيل في شرح ابن عقيل: ١/ ٤٣.

ولذلك نجد أن بعض المعاصرين أطلقوا عليه (أسماء المعارف)؛ لاكتساب دلالة المورفيمات الشخصية من دلالة ما يساويها من أسماء ظاهرة، فكل مورفيم شخصي يعد في دلالته اسماً ظاهراً، فهو المتكلم أو المخاطب إذا كان المورفيم لذي حضور، أو هو الغائب اذا كان المورفيم لذي غيبه[1].

ولم يغفل العلماء وظيفة المورفيمات الشخصية وملازمتها للعائد الذي عبر عنه المحدثون بـ(المرجع). إذ عالجوا فكرة المرجعية وقرروا في إيماءاتهم وجوب إحالة المورفيم الشخصي، أهو راجع إلى مذكور في سياق التركيب صراحةً؟ أهذا المذكور للسابق ذكره أو اللاحق؟، الذي يدخل ضمن المرجعية الداخلية، أم هو غير مذكور في التركيب وهو المرجعية الخارجية ويعتمد ذلكِ على سياق الكلام[2].

ويلحظ أن جل القدماء في معالجتهم للمورفيم الشخصي ووظيفته التركيبية لم يستعملوا مصطلح (المرجع) (Reference) [3]، إلا السيوطي الذي سبق المحدثين في استخدامه. ويدل هذا على أن فكرته تكاد تقترب من فكرة الدرس اللغوي الحديث في تناوله لمرجعية المورفيمات الشخصية وأهميتها في إيجاد التماسك والترابط بين أجزاء المكونات اللغوية في التركيب العربي.

وقد صنف النحاة المورفيمات الشخصية بوصفه من تدل عليه على ثلاثة أنماط: مورفيمات التكلم وتدل على المتكلم ومورفيمات الخطاب وتدل على المخاطب، ومورفيمات الغيبة وتدل على الغائب، وهذا ما اعتمده عليه السيوطي أيضاً إذ صنف هذه المورفيمات إلى تلك الهيئات الشخصية بقوله: ((ضمير الفصل: ضمير بصيغة المرفوع مطابق لما قبله، تكلماً وخطاباً وغيبةً...))[4].

---

(١) النحو والدلالة: ١٤٩.

(٢) لسانيات النص: ١٧.

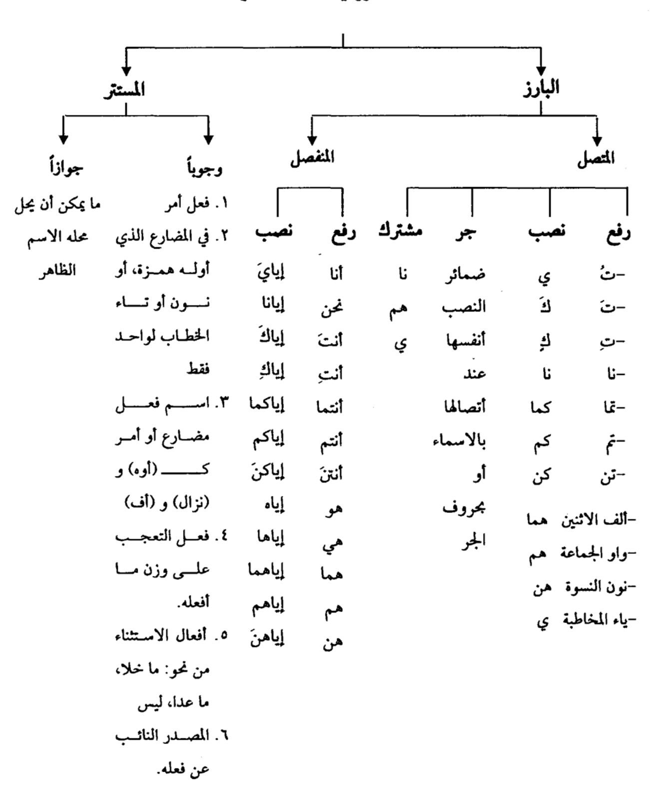
(٣) في بناء النص ودلالته: ١٣، وعلم اللغة النصي: ١/ ٣٦.

(٤) الاتقان: ١/ ٦٠١.

وفي مجال دراسة المورفيمات الشخصية في تركيب الكلام العربي لم تتضح لـدينا رؤية السيوطي عنها، ذلك أنه قد أوجز الحديث عنها، لذا ارتأيت الإعتماد على مصنفات أخرى له فصل القول بشأن أنواع المورفيمات الشخصية ووظائفها الدلالية وقيمتها التركيبية[1]، ويمكننا بيان هذه الأنواع بهذا المخطط التوضيحي:

(١)همع الهوامع: ١/ ٥٦ – ٧٠.

أصناف المورفيمات الشخصية



وبيّن السيوطي نوعين من المورفيمات الشخصية في كتابه:

أولهما: مورفيم الفصل: وهو عنصر يدل على هيئة ضمير الرفع الذي يأتي بين ركني التركيب الاسمي، وعرفه السيوطي بقوله: ((ضمير بصيغة المرفوع مطابق لما قبله، تكلماً وخطاباً، غيبة، إفراداً وغيره، وإنّما يقع بعد مبتدإ أو ما أصله مبتدأ وقبل خبر كذلك))[1].نستشف من قوله إنه ذكر شروط مورفيم الفصل كونه بصيغة المرفوع، ومطابقاً لما سبقه في الحضور والغيبة والنوع والعدد.

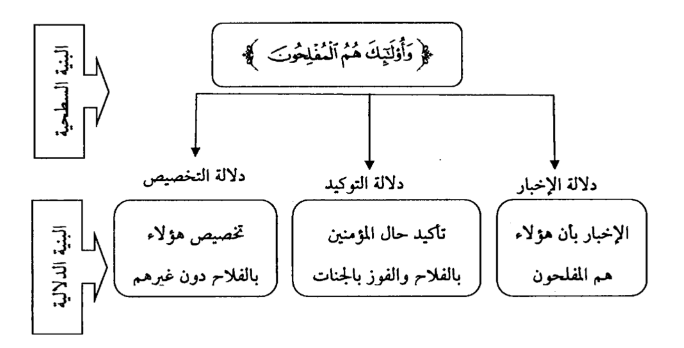
واختلف العلماء في تسمية هذا المورفيم فسماه البصريون الفصل ،وأما الكوفيون فقد سموه (ضمير العماد)[2]؛ لاعتماد المتكلم أو المتلقي عليه في التمييز بين الخبر والنعت. إذ بوساطته يعرف ان ما بعده خبر لا تابع. وأطلق عليه بعضهم مصطلح (دعامة)؛ لكونه يدعم به الكلام ويؤكد مضمون التركيب الجملي ويقويه. إذن لولا مورفيم الفصل لاحتمل الأعلام في التركيب الاسمي ما بعد الاسم يكون خبراً وأن يكون تابعاً، ولكن بمجيء هذا المورفيم تعيّن الخبر.

وحدد السيوطي لهذا الصنف ثلاث دلالات تركيبية في قوله: ((الاعلام بأن ما بعده خبر لا تابع والتأكيد... والاختصاص))[3].وذكر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) قبله هذه الفوائد الثلاث في الكشاف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4]، بقوله: ((وفائدته الدالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره))[5].

وهذا يدل على أنه رجح قول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في تحقق هذه الفوائد الثلاث في الآية المذكورة، فتركيب الآية تركيب اسمي، وفصل بين عنصري الاسناد بمورفيم الفصل (هم)؛ للدلالة على أن الاسم بعده خبر؛ للإخبار بأن أولئك هم

(١) الاتقان: ١/ ٦٠١.
(٢) معاني القرآن (الفراء): ١/ ٥١-٥٢، ٢/ ٢١٢، ٢٢٨.
(٣) الاتقان: ١/ ٦٠٢.
(٤) البقرة/ ٥
(٥) الكشاف:١/ ٢٥

الفائزون بالدرجات العالية في جنات النعيم، وتفيد دلالة تأكيد حال هؤلاء المؤمنين الفلاح والفوز بالجنات، وكذلك تفيد دلالة التخصيص، كأنه قال: هم المفلحون لا غيرهم، ويمكننا توضيح الفوائد الثلاث بهذه الترسمية:



ثانيهما: مورفيم الشأن: وهو ضمير غائب يذكر قبل التركيب الاسمي والتركيب الفعلي، وسماه الكوفيون بـ(الضمير المجهول)[1]؛ لأنه لم يتقدم ما يرجع إليه ولكونه يرجع إلى حكم ذهني. ويذكر قبل التركيب الخبري قصداً لتعظيم القصة بذكرها مبهمة؛ ليعظم وقعها في النفس[2] ولذلك سمي ضمير الشأن والقصة لدلالته على التعظيم[3].

ويتابع أغلب المحدثين السيوطي فيما ذهب إليه في إيمائه إلى الوظيفة التركيبية والدلالية لهذا المورفيم الدال على تعظيم المخبر عنه وتفخيم شأنه. وتحصيل البلاغة فيه

(١) شرح المفصل:٣/ ١١٤، والمصطلح النحوي: ١٨٠.

(٢) أسرار النحو: ١٧١.

(٣) شرح الكافية: ١/ ٣١٧.

من جهة إضماره أولاً وتفسيره ثانياً؛ لأن الشيء إذا كان مبهماً تتوق النفوس إلى فهمه وهذا ما أومأ إليه، قبله الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، والزركشي (ت ٧٩٤هـ)[١]. والأمثلة التي يعرضها المعاصرون وما توصلت إليه تحليلاتهم تكاد تكون تقريبية لما وجدناه سالفاً عند السيوطي، فقد اثبتوا أن البنية السطحية متغايرة في مثل:

(زَيدٌ مُنطَلِقٌ)　　(زَيدٌ هو مُنطَلِقٌ)　　(هو زَيدٌ مُنطَلِقٌ)

لإختلاف مقصدية المتكلم في كل تركيب فإذا كان هدف المتكلم الإخبار بانطلاق زيد، يقول: (زَيدٌ مُنطلقٌ)، أما إذا أراد تخصيص الانطلاق لزيد دون غيره، فيقول: (زيد هو منطلق). وإذا أراد تفخيم الأمر وتعظيمه، فيقول: (هو زيد منطلق)، فتقديم مورفيم الشأن (هو) يجعل السامع يذهب في الشك كل مذهب في هذا المورفيم الذي لا يعرف علامَ يعود وتجعله متشوقاً لخبره ثم تأتي بجملة تفسره[٢].

وأومأ السيوطي[٣] إلى أن هذا المورفيم خالف القياس اللغوي من خمسة أوجه، وذلك نقلاً عن قول ابن هشام (ت ٧٦١هـ)[٤]:

١- إرجاع مورفيم الشأن على لاحقه مطرداً، بحيث لا يجوز للجملة المفسرة له أن تتقدم عليه ولا شيء منها.

٢- أن يكون مفسراً بعده بجملةٍ.

٣.- أن لا يتبع بتابع، فلا يؤكد ولا يعطف عليه، ولا يبدل منه.

٤- أن يكون ملازماً للإفراد وقد بين السيّوطي علة ذلك بقوله: ((لأنه ضميرٌ يفسره مضمون الجملة ومضمون الجملة شيء مفرد، وهو نسبة الحكم للمحكوم عليه، وذلك لا تثنية فيه ولا جمع))[٥].

(١) دلائل الاعجاز: ١٣٢ ، والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٤١٠.

(٢) معاني النحو: ١/ ٥٣.

(٣) الإتقان: ١/ ٦٠٢.

(٤) مغني اللبيب: ٦٣٦- ٦٣٨.

(٥) همع الهوامع: ١/ ٦٧.

٥- مورفيم الشأن لا يعمل فيه إلا الابتداء أو ناسخه.

ويؤيد فكرته بنصوص قرآنية، في نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[(١)]، فالمورفيم (هو) راجع إلى لاحقه وهو لفظ الجلالة (الله) وهذا ما يعرف في علم اللغة النصي بالمرجعية اللاحقة (Cataphoric Reference)[(٢)]، فأتى لفظة الجلالة مضمراً لدلالة التعظيم والتفخيم؛ لأن الشيء إذا ذكر مبهماً ثم فسر يولد لدى المتلقي نوعاً من اللذة[(٣)]، ويجعله في حيرة من هذا المبهم وتصوره، مما يدفعه إلى إعمال النظر للوقوف على المراد، وهذا له أثرنفسي فعّال، ((فالنفس إذا وقفت على كلام غير مذكور تمام المقصود منه لم يبقَ لها هناك تشوق، فأما إذا عرفته من بعض الوجوه دون بعض فإن القدر المعلوم يحدث شوقاً إلى ما ليس بمعلوم))[(٤)].

وكذلك أومأ السيوطي إلى وظيفة المورفيمات الشخصية في التركيب العربي، فبين القصد والغرض من وضعها في التراكيب اللغوية، نحو: الاختصار والإيجاز[(٥)]، وذلك نقلاً عن كلام ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، واستدل بقوله تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[(٦)]، فالمورفيم المنفصل (هم) حل محل خمس وعشرين كلمة وهو راجع لهؤلاء المتقين الأبرار، المتصفين بالصفات الجليلة المذكورة سابقاً من قبل، فأتى بالمورفيم مستغنياً عن تلك الصفات؛ ((لأنك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بكامله فيكون ذلك الحرف كجزء من الاسم))[(٧)]، ويعزز السيوطي رأيه فيما يذهب إليه بالآية القرآنية منها قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾[(٨)]، مبيناً قول

---

(١) الاخلاص/ ١

(٢) علم اللغة النصي: ١/ ١٤٦.

(٣) شرح الكافية: ١/ ٣١٧.

(٤) الطراز (للعلوي): ٢/ ٨٠.

(٥) الإتقان: ١/ ٥٩٧.

(٦) الأحزاب/ ٣٥.

(٧) شرح المفصل: ٣/ ٨٤.

(٨) النور/ ٣١.

بعض أنه لا يعدّل عن المورفيم المتصل إلى المنفصل إلا بعد تعذر المتصل[1]، ولكون المتصل أكثر اختصاراً من المنفصل[2]،ولا يتعذر المتصل إلا بتقديم الضمير على عامله[3]، نحو قوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[4]؛ لأن الضمير لا يتصل بمقدمه. أو الفصل بين الضمير وعامله بـ(إلا)[5]، كالذي ورد في قوله تعالى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[6].وهذه الفكرة التي يدعوا إليها المحدثون مطابقة تماماً ما ذكره السيوطي في إخضاع الوحدات اللغوية لقانوني ((السهولة أو الاقتصاد في النشاط العقلي والفيزيائي))[7] المستمد من مقومات نفسية تكون أساساً لجنوحه إلى التقليل في الجهد العضلي المبذول والطاقة الصوتية, أي يحمله على تحقيق الاقتصاد على المستويين العضلي واللغوي .وبهذا نستطيع القول: إن الميل إلى الخفة والإيجاز لدى العرب نابع ومستمد من تكوينهم وطبيعهم النفسية والذهنية[8].

مرجعية المورفيمات الشخصية

من أبرز ما أشار إليه السيوطي فيما يتعلق بالمورفيم الشخصي هو حديثه عن مرجعيته في بنية التركيب القرآني، وإلى السابق واللاحق، وما هو خارج التركيب، وتحدث أيضاً عن تعدد المورفيم الشخصي وتعدد المرجوع إليه، وكيف تعالج مرجعية

---

(١) الإتقان: ١/ ٥٩٧.

(٢) أسرار النحو: ١٧٣.

(٣) الإتقان:١/ ٥٩٧.

(٤) الفاتحة/ ٥.

(٥) الإتقان: ١/ ٥٩٧.

(٦) الإسراء/ ٢٣.

(٧) الاصوات اللغوية (أنيس): ٢٣٤ – ٢٣٨، ودراسة الصوت اللغوي: ٣١٩ – ٣٢١، والألسنية – المبادئ والأعلام: ٥٧ – ٥٩، والنظريات اللسانية: ٢٦١ – ٢٦٢، واتجاهات البحث اللساني: ٤٠٧.

(٨) اللغة والفكر١٢٧-١٢٨و اللغة وعلم النفس :١١١, ١٣ , ودراسات في علم الغة النفسي :٩-١٠وسايكولجية اللغة:١٦-٢٠

المورفيم الشخصي حينئذ. وغير ذلك مما يحتاج إلى وقفة يسيرة تسهم في كشف اللثام عن نظرته إلى هذه المرجعية.

ولقد قسم السيوطي مرجعية المورفيم الشخصي بحسب عودتها إلى السابق أو اللاحق في بنية التركيب العربي على قسمين وهما (المرجعية الداخلية، والمرجعية الخارجية).

المرجعية الداخلية

وهي في اصطلاح علماء علم اللغة النصي تعرف بـ((Endophoric Reference))[1] ويقصد بها العلاقات الداخلية بين المكونات اللغوية داخل التراكيب النحوية، سواء أكان بالرجوع إلى ما سبق، أم بالإشارة إلى ما سبق، وتأتي داخل التراكيب النصية، بمعنى أن هذا المصطلح يرتكن على الأواصر بين الأنماط الموجودة في تراكيب النص نفسه، ولا يعنى بالعلاقة بين هذه الأنماط والأشياء الخارجة عن بنية التركيب، وهذه المرجعية تتفرع إلى فرعين:-

أولهما: المرجعية السابقة:

تحدث السيوطي عن مرجعية المورفيم الشخصي التي سبق ذكرها في الإطار النظمي للتركيبة النحوية، وذلك بتحليلاته للنصوص القرآنية التي تناولها في صور متباينة عديدة وسوف يأتي ذكرها لاحقاً. فنجدأن نظرة السيوطي تلتقي مع نظرة المحدثين الذين أطلقوا عليها ((Anaphoric Reference))، وهو ((استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة))[٢].

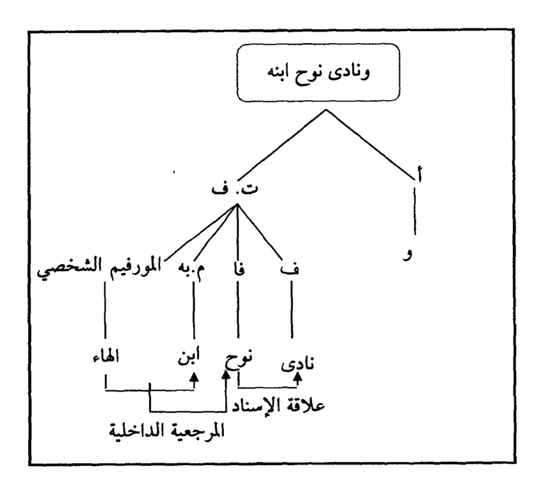
وقد أشار السيوطي إلى أن المورفيم الشخصي يعود على سابقه وذلك لدلالات متعددة منها:

(١) علم اللغة النصي:١/ ١١٦،٣٨وينظر

Acquiring conversational : 40,47 Discourse Analysis: 24 Generative Grammar: 108 – 109.

(٢) علم اللغة النصي: ١/ ٣٨.

١- أن يكون المرجع اسماً مذكوراً متقدماً عليه ومطابقاً له في النوع والعدد[1]، نحو قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾[2]، فمورفيم (الهاء) وهو مورفيم متصل يعود على الاسم المذكور سابقاً وهو (نوح) عليه السلام. إذن فالمرجعية هنا مرجعية سابقة (Anaphoric Reference). إذ إن هذا المورفيم أسهم في عدم تكرار اسم (نوح) مرة أخرى بغية الإيجاز، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾[3].



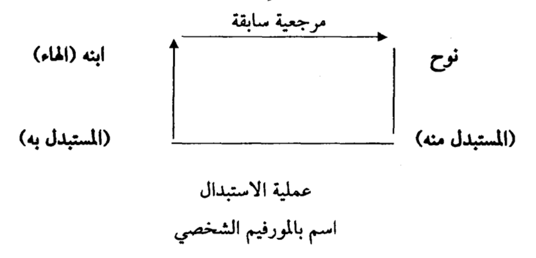
(١) ينظر الإتقان: ١/ ٥٩٧.

(٢) هود/ ٤٢.

(٣) طه/ ١٢١.

وبهذه المعالجة تلتقي فكرة اللغوي (هارفج) مع فكرة السيوطي في الاستبدال الثنائي الذي يكمن في استبدال الاسم بالمورفيم الشخصي في تشكيل البنية التركيبية وسماه بـ((الاستبدال الثنائي البعد))[١].

فالاستبدال عنده هو: ((إحلال تعبير لغوي محل تعبير لغوي آخر معين))[٢]؛ فسمى التعبير الأول بـ(المستبدل منه) (**Substituendum**)، والآخر الذي قام مقامه بـ(المستبدل به) (**Substitues**). فإذا طبقنا عملية الاستبدال لـ(هارفج) على الآية التي حللها السيوطي نجد العملية نفسها، فيكون لفظ (نوح) المستبدل منه والهاء في لفظة (ابنه) المستبدل به. وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من التقاء فكرة السيّوطي ورؤيته مع رؤية اللغويين المحدثين.



عملية الاستبدال

اسم بالمورفيم الشخصي

٢- وقد يعود المورفيم الشخصي على جنس اللفظ المذكور في الدليل النظمي للتركيب الجملي[٣]،وأفصح عن قوله باستدلاله بقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في تحليله لقوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾[٤]، فمورفيم (هما) في (بهما)

---

(١) مدخل إلى علم النص: ٦١.

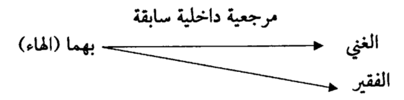
(٢)المصدر نفسه:٦١.

(٣) الإتقان: ١/ ٥٩٨.

(٤) النساء/ ١٣٥.

أتى بصيغة التثنية؛ وذلك لرجوعه إلى جنسي الغني والفقير، وقال لو رَجِعَ إلى المتكلم لورد بلفظ المفرد.

ويلحظ أن لفظي الغني والفقير قد ذكرا صراحةً في هذه الآية، وبناء عليه فإن المرجعية داخلية (**Endophoric Reference**)، وقد ذكر المورفيم الشخصي متأخراً عن المرجوع إليه، لذا فالمرجعية سابقة.



٣- وقد يذكر لفظان في البنية التركيبية للقرآن الكريم ويعود المورفيم على أحدهما، وغالباً ما يرجع إلى اللفظ الثاني[١]، ويعزز السيوطي قوله بشواهد قرآنية كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾[٢]. فبين أن مورفيم (الهاء) في (انها) عائد على لفظة الصلاة التي هي عماد الدين. وهذه المرجعية داخلية على مستوى الآية ومرجعية لما سبق، فنرى أن السياق هو الذي يحدد مرجع المورفيم الشخصي في هذه الحالة، فعاد مورفيم (الهاء) في الآية السابقة على الصلاة دون الصبر؛ لأن الكلام على الصلاة، فقد تقدم ذكر الصلاة والمطالبة بها، قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[٣]. بخلاف قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٤]، فقد ختم تركيب الآية بالكلام على الصبر؛ وذلك لأن الكلام عليه والسياق يقتضيه، وإعادة المورفيم الشخصي على أحد المذكورين إنما يكون بحسب ما يقتضيه المقام[٥].

(١) الإتقان: ١/ ٥٩٨.
(٢) البقرة/ ٤٥.
(٣) البقرة/ ٤٣
(٤) البقرة/ ١٥٣.
(٥) معاني النحو: ١/ ٥٨-٥٩.

ونلاحظ أن إحلال المورفيم الشخصي محل الأسماء يمكن أن يعد نوعاً من التكرار بالاسم السابق ولكن بصورة أخرى تتمثل في ذكر المورفيم الشخصي له.

أما رأيه في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾[1]، فكان الحق أن يأتي مورفيم الهاء بصيغة التثنية (هما)؛ لإرجاعها للفظ الجلالة (الله) و (رسوله)، ولكن أتى هذا المورفيم بصيغة الإفراد رجوعاً إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ لكونه هو داعي العباد والمخاطب لهم، ويلزم من رضاه رضا ربه تعالى[2].

٤- وقد يعود المورفيم الشخصي إلى أشياء مجردة محسوسة[3]،نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[4]، فمورفيم الغيبة في (له) راجع على (أمر) الذي سبق ذكره، ويرى السيوطي إن المرجع إليه وإن كان من الأشياء الجردة غير المحسوسة فإنه ينزَّل منزلة المشاهد الموجود؛ لكونه سابقاً في علم الله.

٥- وقد أشار السيوطي إلى أن المورفيم الشخصي يعود إلى أقرب لفظ مذكور في الكلام[5]، نحو: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ﴾[6]. فعاد المورفيم المتصل (هم) في لفظة (بعضهم) على (الجن) المذكورة سابقاً؛ لكونه اقرب عليه.

وأما إذا كان في التركيب مضاف ومضاف إليه فالأرجح أن المورفيم راجع لـ(المضاف)؛ لكونه المتحدَّث عنه[7]، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[8]. فالمورفيم في (تحصوها) راجع على المضاف (نعمة)؛ لأن الكلام على

(١) التوبة/ ٦٢.

(٢) ينظر:الإتقان: ١/ ٥٩٩.

(٣) الإتقان: ١/ ٦٠٠.

(٤) البقرة/ ١١٧.

(٥)الإتقان: ١/ ٦٠٠.

(٦) الأنعام/ ١١٢.

(٧) الإتقان: ١/ ٦٠٠.

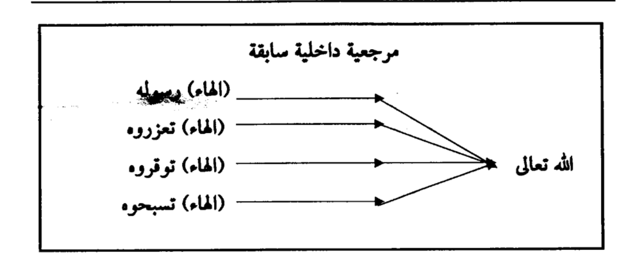
(٨) ابراهيم/ ٣٤ .

مستوى هذه الآية هو عن نعم الله. وقد يعود المورفيم على المضاف إليه، وذلك نحو﴿ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾[1]، فالمضاف إليه (موسى) عليه السلام، (والهاء) في الفعل (لأظنّه) يعود إليه .

٦- أكد السيوطي توافق المورفيمات الشخصية في المرجع الذي ترجع إليه تجنباً من التشتيت، ولترجيح ما ذهب إليه استدل بقول الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)[2] تعقيباً على قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ ﴾[3]. فبعضهم قالوا أن مورفيم (الهاء) في اللفظ الثاني (اقذفيه) راجع لـ(لتابوت) أما في الأول فعائد لـ(موسى) وهذا ما عابه الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)؛ لكونه يخرج القرآن عن إعجازه فقال: ((والضمائر كلها راجعة إلى موسى ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجنة، لما يؤدي إليه من تنافر النظم... الذي هو أم إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدي))[4].

وأما في قوله تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾[5]، فيرى السيوطي[6] أن المورفيمات الشخصية الموجودة في هذه الآية كلها تعود على لفظ الجلالة المذكور في أول الآية، والقصد من تعزيره وتعزير دين رسوله[7]. فهي إذن مرجعية سابقة (Anaphoric Reference)، ويمكننا تمثيلها بالمخطط الآتي:

(١) غافر/ ٣٧.
(٢) الإتقان: ١/ ٦٠٠.
(٣) طه/ ٣٩.
(٤) الكشاف: ٢/ ٤٣٣.
(٥) الفتح/ ٩.
(٦) الإتقان: ١/ ٦٠١.
(٧) الكشاف: ٣/ ٤٦٣ .



ويلاحظ مما تم التنويه إليه بخصوص تعدد المورفيمات الشخصية التي تميل إلى مرجوع واحد أن هناك حقيقة مهمة وهي أن السيوطي قد فطن إلى وظيفة المورفيمات الشخصية في تحقيق تماسك البنية التركيبية على مستوى هذه الآية وبين وحداتها الدلالية كلها.

وقد بين السيوطي كذلك أنه إن كان المرجوع إليه جمعاً للعاقلات، فإن المورفيم لا يعود عليه إلاّ بصيغة الجمع سواء أكان للقلة أم للكثرة[1]، واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ﴾[2]، و ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾[3]، فالمورفيم نون النسوة (نْ) في الفعل يرضعنْ وهو للجمع عائد على اسم جمع المؤنث قبله (الوالدات)، فأتى المورفيم بصيغة الجمع؛ لأنه سبقه جمع للعاقلات، وهكذا بالنسبة للآية الأخرى، وقد يرد المورفيم بصيغة الإفراد في نحو:﴿ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾[4]، ولم يرد بـ(مطهرات).

وأما إذا كان المرجوع إليه جمعاً لغير العاقل، فالغالب أن يرجع عليه المورفيم في جمع الكثرة بالإفراد، وفي القلة بالجمع[5]، وورد كلاهما في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ

(١)الإتقان: ١/ ٦٠٣.

(٢) البقرة/ ٢٣٣.

(٣) البقرة/ ٢٢٨.

(٤) البقرة/ ٢٥.

(٥) الإتقان: ١/ ٦٠٣.

الشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ ﴾[(١)].

فعاد المورفيم (منها) بصيغة الإفراد على سابقه المذكور (الشهور)؛ لكونها أكثر من عشرة وهي جمع كثرة، أما مورفيم(هن) في (فيهن) فأتى بصيغة الجمع؛ لأنه يعود على الأشهر الحرم؛ لأنها أربعة وهي جمع قلة، وهذا يدل على أن العرب تستعمل الجمع للقلة والمفرد للكثرة.

وذكر السيوطي أن الفرّاء (ت ٢٠٧هـ)[(٢)] قد ذكر لهذه القاعدة تفسيراً بارعاً وهو: أن المميز مع جمع الكثرة وهو ما زاد على العشرة لما كان واحداً وحّد الضمير، ومع القلة وهو العشرة وما دونها لما كان جمعاً جُمِع الضمير[(٣)].

ويرى السيوطي أنه إذا اجتمعت المورفيمات الشخصية في الإطار التركيبي للجمل فينبغي مراعاة اللفظ ثم مراعاة المعنى، فهذا هو شأن أكثر ما ورد في القرآن الكريم، وذلك نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[(٤)]، فقد رجع المورفيم في لفظ (يقول) على سابقه لفظ (من) وهو مفرد مذكر مراعاة للفظ، ثم أعاد المورفيم فيما بعد على معناه وهو الجمع فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فقد بدأ بالحمل على اللفظ ثم الحمل على المعنى؛ لأن مراعاة اللفظ أحسن وأولى عند العرب[(٥)].

ولترجيح ما ذكره يستدل بأقوال العلماء، فحكى عن ابن جني (ت ٣٩٢هـ) بقوله :لا يجوز مراعاة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى المعنى، ولكن أتى على نقيض ذلك[(٦)]، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ

(١) التوبة/ ٣٦.

(٢) معاني القرآني (الفراء): ١/ ٤٣٥.

(٣) الإتقان: ١/ ٦٠٤.

(٤) البقرة/ ٨.

(٥) معاني النحو:١/ ١٢٣.

(٦)الإتقان: ١/ ٦٠٤.

﴿ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1]. ثم قال: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا ﴾[2]، فالمورفيمات الشخصية في (إنهم – ليصدونهم – يحسبون –أنهم – مهتدون) تعود على اللفظ المتقدّم (الاسم الموصول) (مَنْ) وهو على صيغة الجمع مراعاة للمعنى، ثم جاء المورفيم في (جاءنا) بصيغة الإفراد باعتبار اللفظ بعد الانصراف عنه إلى المعنى.ويستدل أيضاً بقول ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) بقوله: ((إذا حمل اللفظ جاز الحمل بعده على المعنى، وإذا حمل على المعنى ضعف الحمل على اللفظ؛ لأن المعنى أقوى، فلا يبعد الرجوع إليه بعد اعتبار اللفظ، ويضعف بعد اعتبار المعنى القوي الرجوع إلى الأضعف))[3].وذكر أن بعض النحويين ذهبوا إلى أنه لا يجوز الحمل على اللفظ بعد الحمل على المعنى، إلا أنه ورد في القرآن بخلاف ذلك[4]، نحو: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾[5]. فعاد المورفيم (هم) بصيغة الجمع في (خالدين) على لفظة (من) مراعاة للمعنى، ثم وحد المورفيم المتصل في (له) حملاً على اللفظ وهذه المرجعية نادرة في القرآن، وهذا رأي ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)[6] كذلك.

ثانيهما: المرجعية اللاحقة:

وهي النوع الثاني من أنواع المرجعية الداخلية، ومفهومها عكس مفهوم المرجعية السابقة، وقد أطلق عليها ((Cataphoric Reference))[7]، ويقصد بها: ((استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقاً في النص أو المحادثة))[8]. وقد تناول السيوطي هذا النمط من المرجعية في معرض حديثه عن

---

(١) الزخرف/ ٣٦ – ٣٧.

(٢) الزخرف/ ٣٨.

(٣) الإتقان: ١/ ٦٠٣.

(٤)الإتقان: ١/ ٦٠٤.

(٥) الطلاق/ ١١.

(٦)الإتقان: ١/ ٦٠٤.

(٧) علم اللغة النصي: ١/ ٤٠.

(٨) المصدر نفسه: ١/ ٤٠.

مرجعية الضمائر، فذهب إلى أنه قد يعود المورفيم الشخصي على لاحقه في حالات وهي:

١- أن يكون متأخراً في اللفظ متقدماً في الرتبة[١]، واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾[٢]، فمورفيم (الهاء) في لفظة (نفسه) راجع على لاحقه وهو (موسى)، فمرجعية المورفيم التي تحال إلى (موسى) عليه السلام داخلية؛ وذلك لأنه ذكر صراحة في هذه الآية.

وهذا يدل على تفطّن السيوطي إلى وظيفة مرجعية المورفيمات الشخصية في تحقيق التماسك بين التراكيب اللغوية، وهذا ما أكده اللغويون المعاصرون في إبراز أثر المورفيمات الشخصية في تحقيق التماسك النصي عن طريق مرجعية المورفيمات الشخصية[٣]. واستشهد لذلك بآيات عديدة[٤]، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[٥].

٢- أن يكون متأخراً رتبة وذلك في مورفيم الشأن وفي أسلوبي المدح والذم والتنازع[٦]، غير أن ما يؤخذ على السيوطي انه لم يدعم ما ذكره بشأن باب نعم وبئس والتنازع بإيراد الشواهد – كما يفعل ذلك دائماً – ولعل شيوع هذا الأمر وكثرة تناول العلماء له حدا بالسيوطي إلى الاكتفاء بذكره فقط.

أما مورفيم الشأن فيسوق له نصوصاً قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٧]. فالمورفيم المنفصل (هو) يُحال إلى لفظ الجلالة (الله)، فالتماسك الدلالي في

(١) الإتقان: ١/ ٥٩٨.
(٢) طه/ ٦٧.
(٣) علم اللغة النصي: ١/ ١٦٢.
(٤) الإتقان: ١/ ٥٩٨.
(٥) القصص/ ٧٨.
(٦) الإتقان: ١/ ٥٩٨.
(٧) الإخلاص/ ١.

المورفيم المنفصل يبرز حقيقة التوحيد والألوهية لله تعالى، والتماسك الشكلي يؤدي وظيفة الربط في هذه الآية، ويتضح فيما يأتي:-

(هو) ————————→ لله تعالى

مرجعية لاحقة داخلية إلى

٣- قد يثنى المورفيم الشخصي ويرجع على أحد المذكورين[١]، ويردف السيوطي ذلك بالاستشهاد بقوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[٢]، فيرجع المورفيم المتصل في (منهما) إلى لفظة بحر المالح.

المرجعية الخارجية

إن هذه المرجعية هي التي تترجم على الإحالة الخارجية خارج البنية التركيبية، وإن لم يجر ذكر صريح اللفظ، وهذا النوع من المرجعية يتوقف على معرفة سياق الحال (Context of situation)[٣]، والموقف الذي يحيط بفضاء التركيب اللغوي، حتى يمكن معرفة الحال إليه من بين الأشياء والملابسات المحيطة بها. وقد اصطلح عليه بـ(Exospheric reference)[٤]. فنجد أن السيوطي قد أدرك هذه المرجعية مع اعتماده في معرفتها على السياق، وبين حالاتها، ومثل لكل منها كما يأتي:

١- أن يكون المرجع غير صريح ،و يفهم ضمنياً من أحداث التركيب[٥]، ومما يعزز رؤيته هذه الشواهد القرآنية، نحو قوله تعالى: ﴿ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ ﴾[٦]، فالمورفيم الشخصي (هو) الذي هو المورفيم المنفصل راجع على (العدل)، ولم يجر له ذكر،

(١)الإتقان: ١/ ٥٩٩.

(٢) الرحمن/ ٢٢.

(٣) مناهج البحث في اللغة: ٢٩٥ – ٢٩٦، وعلم اللغة (السعران٣١١ – ٣١٢، وجدل اللفظ والمعنى: ٣٨ – ٤٠.

(٤) علم اللغة النصي: ١/ ١٨٦.

(٥) الإتقان: ١/ ٥٩٧.

(٦) المائدة/ ٨.

بل تقدم الفعل (اعدلوا) الذي يدل عليه. وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾[1]، فمورفيم (هم) عائد على (المقسوم عليهم) ولم يتقدم له ذكر؛ لدلالة القسمة عليه.

٢- كون مرجع المورفيم دالاً عليه بدلالة الالتزام[2]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾[3]، فالمورفيم المتصل (الهاء) في لفظة (أنزلناه) عائد على القرآن، الذي لم يجر له ذكر في الدليل النسقي للتركيب. فمرجعية هذا المورفيم خارجية، ولكن السياق أوضح إلى من يعود إليه المورفيم الشخصي؛ وذلك لدلالة استلزام القرآن بالإنزال وكما يأتي موضحاً:-

مرجعية خارجية إلى

أنزلناه (الهاء) ← القرآن

٣- أن يعين مرجع المورفيم الشخصي من خلال سياق الحال، واستناداً إلى المتلقي لفهم مرجعية المورفيم[4]، ويستعرض السيوطي طائفة من النصوص، وذلك كقوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[5]، وقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾[6]، فالمورفيم في لفظتي (عليها) و(ظهرها) في كلتا الآيتين عائد على (الأرض) أو (الدنيا)، وقد استدل بالسياق على أن المرجوع إليه هو أحدهما، وهما خارج البنية التركيبية لهذه الآية ولا شك في أنهما لم يذكرا صراحة، ويتضح كما يأتي:-

(١) النساء/ ٨.

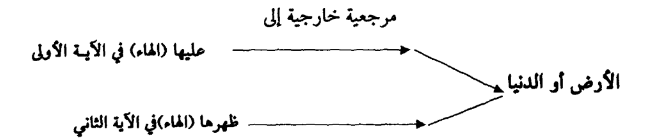
(٢) الإتقان: ١/ ٥٩٨.

(٣) القدر/ ١.

(٤) الإتقان: ١/ ٥٩٨.

(٥) الرحمن/ ٢٦.

(٦) فاطر/ ٤٥.



وهذا الإيماء الذي أومأ إليه السيوطي معتمداً على السياق لمعرفة المرجوع إليه يلتقي مع وجهة نظر علم اللغة النصي؛ لأن السياق له أثرمهم وواضح في إيجاد ما يكشف غموض المورفيمات الشخصية، وأنه من أهم ما ينبغي على السامع أو المتلقي أن يعيه لفك شفرة النص[1]. نخرج من هذه الإشارات بحقيقة مفادها أن جهود السيوطي في هذا المجال غالباً ما يقترب من التحليلات المعاصرة.

(١) علم اللغة النصي: ١/ ٤١ ، ٢١٣.

مورفيمات الجنس

تقع دراسة الجنس أو النوع في صلب الدراسة التركيبية، وتندرج تحت ما يسمى بالفصائل أو الأقسام النحوية[1]، وتتوقف عليها أمور كثيرة في السياق اللغوي، فالجنس اللغوي لكل لغة يحوي على منطق خاص، وتعدّ من الخصائص الجوهرية في الأساليب اللغوية[2]. فالمفردات التي تسلك في التراكيب اللغوية سلوك المؤنث تغاير لتلك التي تسلك سلوك المذكر، وتظهر تلك المعاملة اللغوية واضحة جلية في التراكيب اللغوية، كالضمائر، وأسماء الموصول، وأسماء الإشارة، والأعداد، بل وفي الأفعال والصفات. ونجد اللغات على وجه العموم ولاسيما العربية تعالج ما يدل على التأنيث علاجاً مبايناً لما يدل على التذكير[3].

وقد اختلطت مورفيمات الجنس بعناصر لا تمت للمنطق العقلي بصلة؛ لأن هناك مظاهر للتغاير والتباين بين الجنس النحوي و منطق العقل، فثمة كلمات مؤنثةصرفيا ً تطلق على أشخاص ذكور، وتطلق كلمات مذكرة صرفياً على إناث، فالكلمات (رحالّة، علاّمة، فهّامة) لا يراد منها إلاّ رجالُ، والمورفيم الذي لحقها كان المراد منه المبالغة لا التأنيث الحقيقي. كما أن الكلمات (مرضِع- حامِل- حائِض- طالِق) لا يقصد بها إلاّ النساء، وإن التذكير اللفظي في هذه الكلمات علته عدم الحاجة إلى تأنيث الكلمات إذ لا يمكن للرجل أن يحمل ويحبل أو يحيض[4]. فإن تذكير المرضع والحائض كان لعدم الاشتراك بين الرجال والنساء في هذه الصفات، فهي صفات

(١) دروس في المذاهب النحوية: ١٦٢ .

(٢) أصول التفكير النحوي: ٣٥٩.

(٣) من أسرار اللغة: ١٥٨ .

(٤) الوجيز في فقه اللغة: ٣٥٠- ٣٦٠.

خاصة بالنساء، في حين أن ثمة صفات كثيرة يشترك فيها الرجال والنساء، ومن ذاك ما كانت على أوزان : (فَعيل – فَعُول – مِفْعَال – مِفْعِيل)، مثل: (جَريح – صَبُور – مِعْطَار... الخ)[1].

ففكر علماء العربية في وضع رموزٍ أو مورفيمات شكلية في نهاية الكلمة المؤنثة؛ دلالة على تأنيثها وتمييزها عن المذكر. وأولى هذه المورفيمات هي مورفيم (التاء)، وعدت لاحقة (التاء) أشهر مورفيمات التأنيث، وإن لم تكن الأصل، وهو المورفيم القياسي[2]، والتاء تتخذ هيئة أخرى كما يرى جمهور البصريين والفراء من الكوفيين وهي (الهاء) في حالة الوقف[3].

أما الكوفيون فذهبوا إلى أن (الهاء) هي الأصل، وتتحول إلى (التاء) في الحالات الطارئة[4]. وقد نحا السيوطي[5] منحى جمهور البصريين وإن لم ينص على ذلك في الإتقان. ويوجد مورفيم آخر للتأنيث في العربية وهو مورفيم (الألف)، وهو على هيأتين: المقصورة والممدودة، وهذا ما استقر عليه في بطون الكتب العربية، أي أن مورفيم الألف أمارة للتأنيث. وهذا لا يعني أن كل اسم لحقه الألف هو مؤنث، فأن ((الألف تزاد آخراً على ثلاثة أضرب: أحدها– أن تكون للتأنيث، والثاني– أن تكون ملحقة، والثالث– أن تكون لغير التأنيث و الإلحاق، بل لتكسير الكلمة وتوفير لفظها))[6].

ويلحظ من هذا النص أن مورفيم (تاء التأنيث) أغنى دلالة على التأنيث من مورفيم (ألف التأنيث) مقصوراً كان أو ممدوداً؛ لأن التاء لا تلتبس بغيرها في نهاية الأسماء كالألف التي يؤتى بها في نهاية الاسم للإلحاق، أو الهمزة في نهاية الجمع التي

(١) مباحث لغوية: ١٢٥ – ١٣٠.، والتذكير والتأنيث في العربية: ٣٠٠.

(٢) المنهج الصوتي للبنية العربية: ١٢٤.

(٣) شرح الشافية (ابن الحاجب): ٢/ ٣٩٠، والجنى الداني:١١٨.

(٤) مغنى اللبيب: ٣٨٥، وتهذيب النحو: ٥/ ٥.

(٥) الأشباه والنظائر: ٢/ ١٢٠.

(٦) شرح المفصل: ٥/ ١٠٧.

تشبه الهمزة الممدودة المنقلبة عن ألف التأنيث، وذلك نحو: سِجْن وسُجَناء، ويطلق عليها (ألف التكثير)[١].

ومما يلحظ أن مورفيمات التأنيث ولا سيما (التاء) غير مختصة بالمؤنث فقط، ومعنى هذا أنها ليست ذات أصالة في التأنيث، وإنما نلمح فيها وظائف أخرى في الأسماء، فتؤدي وظيفة المبالغة ، كالتاء في (العلامّة والفهّامة) ، وقد تؤدي وظيفة الوحدة، كالتاء في (الشجرة)، وهي واحدة (الشجر) [٢]، أو التعويض عن حرف محذوف في المصدر[٣]؛ لذا بقي المورفيم الجنسي ((رمزاً شكلياً في كثير من الألفاظ العربية ولا أثر له في تحديد المؤنث وتشخيصه؛ فلا يكون غيابها دليلاً على التذكير، ولا يكون وجودها دليلاً على التأنيث، فالمؤنثات الحقيقية مثلاً لا تحتاج إلى هذه العلامة كي تعرف وتميّز، إذ لا يختلف اثنان في هذا، مادام المذكر الحقيقي المقابل لذلك المؤنث واضحاً معروفاً، نحو: عنيز، ويقابلها المذكر تيس، واتان ويقابلها المذكر حمار...))[٤].

ومما تقدم يبدو أن وجود مورفيم التأنيث لا يسعف دائماً في تعيين المؤنث والحكم على الألفاظ من حيث التذكير والتأنيث. وهذا يعني أنه لا يمكن الاعتداد بالمورفيم والاعتماد عليه في إدراك المؤنث وتمييزه عن جهة، ولا في صياغةالمؤنث من المذكر من جهة أخرى. وفي مثلهذه الحالة لجأ بعض المتأخرين إلى حيلة بارعة للتعبير عن المؤنث، وهي المورفيم الحر (أنثى) أمام كلمة المذكر لتحديد الجنس المؤنث، فتقول: أنثى الصقر – أنثى النسر – أنثى الغراب[٥].

لذلك فإن مورفيمات الجنس تكون في بعض الأحيان الوسيلة الوحيدة لتحديد دلالة المفردة وتمييزها عن غيرها من المفردات التي تشترك معها في اللفظ، بحيث أنه إذا سقط مورفيم التأنيث فقد الإسم معناه تماماً، أو تحول إلى دلالة أخرى، وذلك مثل:

---

(١) تهذيب النحو: ٥/ ٦.

(٢) النحو العربي نقد وبناء: ١٤٢.

(٣) الصرف الوافي: ٧٠.

(٤) التذكير والتأنيث في العربية: ٣٠٩.

(٥) الوجيز في فقه اللغة: ٣٥٢، والتذكير والتأنيث في العربية: ٣١٥.

(داهِيَة – مُصِيبَة – نَازِلَة – نائِبَة...)، ونجدها كلها تحمل مورفيم التأنيث، وكلها تأتي لدلالة البلاء، فإذا نزعنا مورفيم التأنيث منها نجد أنها تفتقد دلالتها وتتحول إلى دلالة أخرى ، فالداهي هو الرجل المتصف بالدهاء، والمصيب هو ضد المخطئ، والنازل ضد الصاعد، والنائب كل من ينوب عن غيره في أمر من الأمور[1].

أما فيما يخص أصالة التذكير وفرعية التأنيث، فقد اتفق العلماء على أصالة التذكير وفرعية التأنيث، واستدلوا على ذلك بأصالة التنكير وفرعية التعريف، ويعلل لذلك سيبويه(ت١٨٠هـ) بقوله: ((إن الأشياء كلها أصلها التذكير، ثم تختص بعد. فكل مؤنث شيء، والشيء يذكر؛ فالتذكير أول وهو أشد تمكناً، كما أن النكرة هي أشد تمكناً من المعرفة؛ لأن الأشياء إنما تكون نكرة ثم تعرّف))[2]. وهذا هو مذهب سيبويه(ت١٨٠هـ) ، الاّ أن الكلام في التذكير والتأنيث يثير استيقافاً، بخلاف توجهه الأول في التعريف والتنكير؛ وذلك أن المذكر قد يطابق المؤنث تطابقاً كاملاً بدليلين: أحدهما لفظي والآخر معنوي[3].

فاللفظي: هو ما يلحظ في كثير من الأبنية من أن المؤنث يأتي بهيئة مجردة من مورفيمات التأنيث، نحو: هِنْد وسُعَاد...الخ. وثمة مفردات أخرى لا تدلّ إلا على التأنيث، مع أنها لا يلحقها مورفيم التأنيث، مثل : حائِض، وطَالِق ، وغيرها من التي سبقت الإشارة إليها[4].

وهناك كثير من صيغ المذكر تشتمل على مورفيمات التأنيث، وهي ما تسمى بـ(المؤنث اللفظي)،إذ توجد مطابقة كاملة من حيث الشكل بينها وبين المؤنث حقيقة،

---

(١) الوجيز في فقه اللغة: ٣٤٧.

(٢) الكتاب: ٣/ ٢٤١، وينظر: الخصائص: ١/ ٣٠٨، ٢ / ٤١٥، والأشباه والنظائر: ٢/ ١١٧، والنحو العربي والدرس الحديث: ١٤٥، والتطريز اللغوي: ١٢٢.

(٣) التذكير والتأنيث في العربية: ٣٠٠، وتهذيب النحو: ٥/ ٨ – ٩.

(٤) تنظر: الصفحة (٥٩).

ومخالفة تامة من حيث الدلالة؛ لأنها تبقى أعلاماً دالة على الذكور، نحو: طلحة وحمزة...الخ[1].

أما الدليل المعنوي فنراه كثيراً في الصفات التي يستوي فيها المذكر والمؤنث[2]، كما مرّ ذكرها في هذا البحث[3]، إذ لا يأتي فيها مورفيم (التاء) لتفريق القيمة الخلافية بين مذكرها ومؤنثها، وإنما يشخص نوعية جنس سياق التركيب. ولذلك فإن المؤنث يتّخذ في اللغة العربية أنماطاً مختلفة، منها[4]:-

أ- **المؤنث الحقيقي**: وهو المؤنث الذي يتناسل ويلد، وله مذكر من جنسه، ولذا لا بد له من أن يحمل مورفيم التأنيث، نحو: طالبة.

ب- **المؤنث المجازي**: وهو عكس الأول، إذ لا يتناسل ولا يلد، سواء أكان محملاً بمورفيم التأنيث ظاهرة، نحو: وَرَقَة – طَاوِلَة، أم غير ظاهرة، نحو: أَرْض – شَمْس، وهذا النوع من التأنيث لا يعرف إلاّ بالسماع وعن طريقْ العودة إلى كلام العرب.

ج- **المؤنث اللفظي**: وهو ما ظهر في هيئته مورفيم التأنيث، ولكنه يدل على مذكر، نحو: حَمْزَة – حَنْظَلَة.

د- **المؤنث المعنوي**: وهو ما ظهر في هيئته خلوه من مورفيم التأنيث، ويؤدي دلالة المؤنث حقيقةً، مثل: سعاد، أو مجازاً، مثل: رَجُل.

هـ- **المؤنث اللفظي المعنوي**: وهو ما شمل هيئته على مورفيم التأنيث، ودل على المؤنث الحقيقي، نحو: الخنساء.

---

(١) التذكير والتأنيث في العربية: ٣١٢،٣٠٠.

(٢) المفصل في علم العربية:٢٥٢ .

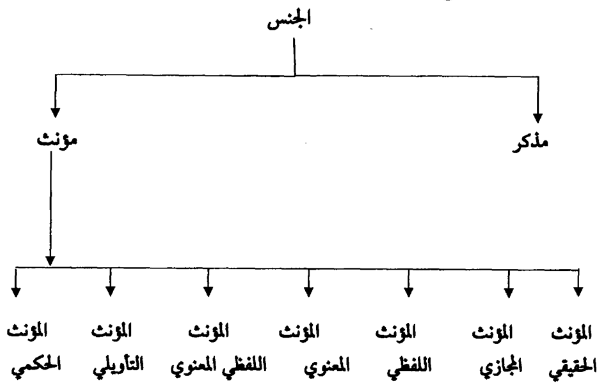
(٣) تنظر: الصفحة (٥٩) .

(٤) الصرف الوافي: ١٣٢ – ١٣٣، والصرف وعلم الأصوات: ٤٦ – ٤٧.

و- **المؤنث التأويلي**: وهو ما كانت هيئته مذكرة في أصلها اللغوي، ولكنه يؤول بكلمة مؤنثة تؤدي معناها، وذلك لنكتة بلاغية، مثل: (أعِزْتُ كتاباً أسرّ بها)، والقصد منه (رسالة)، ويجوز هنا مراعاة المعنى المقصود، أو مراعاة اللفظ(1).

ز- **المؤنث الحكمي**: وهو ما كان مذكراً في هيئته، ثم أسند إلى مؤنث، فاكتسب التأنيث بفعل الإضافة؛ لأن ((المضاف إليه جزء من المضاف، كما أن تأنيث الفعل لا يتأتى إلاّ بالنظر إلى المضاف إليه لا إلى المضاف)) (2)، بدليل صحة الاستغناء عن المضاف دون أن يؤثر في الدلالة، و ((ربما قالوا في بعض الكلام: ذهبت بعض أصابعه، وإنما أنث البعض لأنه إضافة إلى مؤنث هو منه، ولم يكن منه لم يؤنثه))(3).

ويمكن بيان أنواع التأنيث بهذا المخطط البياني الآتي:-



(1) الصرف وعلم الأصوات: ٤٧.

(2) ظاهرة العدول: ١٧٤

(3) الكتاب: ١/ ٥١.

ومورفيمات الجنس تشمل تلك المورفيمات التي تحدد القيمة الخلافية بين التأنيث والتذكير، ويحمل مورفيم (تاء التأنيث) في اللغة العربية دلالة التأنيث عموماً، سواء أكان ذلك المورفيم خاصاً بالبنى الفعلية أم بالبنى الاسمية، ولم يفصل السيوطي القول في تحديد هذه المورفيمات ودلالتها، بل أومأ إلى كيفية توجيه هذا المورفيم للبنى الفعلية والاسمية تحقيقاً لمبدأ التناسب بين العناصر اللغوية داخل التركيب، إذ بيّن أن الفعل يذكر مع تذكير الفاعل فيكون مورفيمه صفراً (Zero Morpheme) ويؤنث مع تأنيثه، وذلك بإلحاق مورفيم (تاء التأنيث الساكنة).

فيلتحق مورفيم تاء التأنيث بالفعل الماضي إذا كان فاعله للمفردة المؤنثة؛ ليؤدي وظيفة تحديد جنس الفاعل وتشخيصه؛ لأن تجريد الفعل الماضي منه يدل على المذكر. وقد أدرج السيوطي مورفيم الجنس (التاء) ضمن تحليله للآيات القرآنية، ووصف علاقة المكونات اللغوية في بنيّات التركيب، بغية خلق التناسب والالتئام بينهما داخل التركيب. ومن ذلك تأنيث الفعل لمطابقة الفاعل المؤنث.

وصرح أنه إذا لم يفصل بين الفعل والفاعل، وفاعله مؤنث حقيقي، لا يُحذف مورفيم (التاء) من فعله في البنى التركيبية، في حين إذا ما فصل بينهما حسن حذف المورفيم منه[1] ، ولم يوردالشواهد لما ذهب إليه كما هو مألوف عنده. أما إذا كان الفاعل مؤنثاً غير حقيقي فالحذف فيه مع الفصل أفضل[2]، واستشهد لذلك بآية قرآنية، نحوقوله تعالى : ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[3]، إذ وقع الفصل بين الفعل الذي هو (جاء) وبين فاعله المؤنث الذي هو (مَوْعِظَةٌ) وهي مؤنثة، لذا جاء الفعل مذكراً خالياً من مورفيم التأنيث، فيرى السيوطي أن علة حذف المورفيم منه هو وجود الفاصل بينهما.

---

(١) الإتقان: ١/ ٦٠٥.

(٢) الإتقان: ١/ ٦٠٥.

(٣) البقرة/ ٢٧٥.

بيـد أن بعض الباحثين أعزوا علة حذفه إلى معناه لا إلى لفظه، فحملوا الفاعل المؤنث وهو (موعـظة) على معنى (الوعظ) لذا ذكر الفـعل[1]. وكذلك يصرح السيوطي أنه كلّما كثر الفصل ازداد حسناً[2]،والشاهد الذي أورده هو قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾[3]، فذكر الفعـل؛ لأن تأنيث (الصـيحة) غير حقيقي، وفصل بينهما بعناصر لغوية في التركيب. ويجوز الإثبات أيضاً، في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾[4].

ويلحظ مما سبق أن السيوطي قد استند في مسلكه التحليلي للآيات القرآنية السابقة إلى الهيئة السطحية (الشكل) في تذكير الفعل وتأنيثه في توجيه مورفيم التأنيث للبنى الفعلية داخل التراكيــب.

أما توجيه مورفيم التأنيث في البنى الاسمية، فبيّن السيوطي لذلك قاعدة نحوية تتمثل في تذكير اسم الإشارة وتأنيثه إذا ما وقع بين المبتدأ والخبر، قائلاً: ((وحيث وقع ضمير أو إشارةٌ بين مبتدإ وخبر، أحدهما مذكرّ والآخر مؤنث، جاز في الضمير والإشارة، التذكير والتأنيث))[5]، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾[6]، فوقع اسم الإشارة مبتدأ في هذه البنية التركيبية فذكّر وذلك لتأنيث الخبر.

وقد ذكر المشار إليه وهو مؤنث لتذكير الخبر، كقوله تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾[7]. أما في أسماء الأجناس بنوعيها، الجمعي الذي حدده النحاة على أنه ((ما يدل على أكثر من أثنيـن، ويفرق بيـنه وبين واحدة منه بالتاء أو الياء))[8]، نحو بَقَرْ:

---

(١) الخصائص:٢/ ٤١١، والنحو والدلالة: ١٥٨.

(٢) الإتقان: ١/ ٦٠٥.

(٣) هود/ ٦٧.

(٤) هود/ ٩٤.

(٥) الإتقان: ١/ ٦٠٥.

(٦) الكهف/ ٩٨.

(٧) القصص/ ٣٢.

(٨) شرح ابن عقيل: ١/ ١٥، وينظر: الصرف الوافي: ١٦٧، ١٧١.

بَقَرَة، رُوم: رُومِيّ. والإفرادي الذي ((يصدق على الكثير والقليل بلفظ واحد))[1] ، نحو: ذهَبْ، خَلْ. فيجوز فيه التذكير والتأنيث، فالتذكير على تقدير الجموع أو الجمع والتأنيث على تقدير الجماعة، وقد أشار السيوطي إلى هذه المسألة[2]، وأورد له قوله تعالى: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[3].

بتذكير إسم الجنس (نخل) وقوله تعالى: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ﴾[4] بتأنيث(نخل)، والقرينة الدالة على التذكير والتأنيث النعت التابع الذي أتى مذكراً في الآية الأولى، ومؤنثاً في الآية الثانية، وقيل ذكر في الآية الأولى وأنث في الآية الثانية لمناسبة الفواصل[5] .

ويجري الموازنة بالتناوب بين آيتي: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[6]، و﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[7]، فيرى أن علة تذكير الفعل في الآية الثانية راجعة إلى الهيئة السطحية (الشكل)؛ وذلك لكثرة الفواصل بين الفعل وفاعله، في حين أنث الفعل في الآية الأولى حملاً على المعنى، وهو أن (مَنْ) في قوله: (مَنْ حَقَّتْ) راجعة على الجماعة، وهي مؤنثة لفظاً، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾[8]. وأقرّ أن ((هذا أسلوب لطيف من أساليب العرب: أن يَدعوا حُكم اللفظ بالواجب في قياس لغتهم – إذا كان في مرتبة كلمة لا يجب لها ذلك الحكم))[9].

---

(١) شرح ابن عقيل: ١/ ١٥.

(٢) الإتقان: ١/ ٦٠٥

(٣) القمر/ ٢٠.

(٤) الحاقة/ ٧.

(٥) البحر المحيط:٨/ ١٧٩.

(٦) النحل/ ٣٦.

(٧) الأعراف/ ٣٠.

(٨) النحل/ ٣٦.

(٩) الإتقان: ١/ ٦٠٦.

مورفيمات التعيين

ظاهرة التعيين (التعريف والتنكير) من الظواهر التركيبية في اللغة العربية، وهي كثيرة التشعّب والتداخل، ولها أثرفعال ولا يُستغنى عنها في معرفة صحة بعض التراكيب العربية نظماً ودلالةً، فضلاً عن إدراك كثير من وظائف المكوّنات اللغوية من خلالها، ومن أجل ذلك لفتت هذه الظاهرة أنظار عدد كبير من العلماء القدامى والدارسين المحدثين[1] وتناولوها من نواحٍ متنوعة ومتعددة.

وبسبب تداخل هذه الظاهرة وتشعّبها وتعسّر تحديد حدود فاصلة بين قضاياها، عزف السيوطي عن هذا التحديد، فقال عنهما: ((وقد أكثر الناس في حدودهما، وليس فيهما حدّ سالم، قال ابن مالك: من تعرض لحدّهما عجز عن الوصول إليه دون استدراك عليه))[2]. فالسيوطي في هذا النص يقرّ بعجزه، وعجز النحاة من قبله عن وضع حدّ سالم لأي منهما، ويرى بدلاً من ذلك ذكر أنواع المعرفة وما سواها فنكرة، حيث يقول: ((وإذا كان الأمر كذلك فأحسن ما تتبين به المعرفة ذكر أقسامها مستقصاة ثم يقال: ما سوى ذلك نكرة))[3]. وأول من أومأ إلى تحديد عنصر

---

(١) الكتاب: ١ / ٢٢، ٣٦١، ٣٧٧، ٢ / ٥ – ٨، والمقتضب: ٢ / ١٧٦ – ١٧٧، ٣ / ٣٢ – ٣٨، والأصول في النحو: ١ / ٤٦٤ – ٤٦٨، ٤٧٢ – ٤٧٣، وشرح المفصل: ٣ / ٨٠، وأوضح المسالك: ١ / ٦٠ – ١٢٧، والأشباه والنظائر: ١ / ٣٤ -٤٤، وهمع الهوامع: ١ / ٥٤ – ٨١، والتراكيب النحوية : ١٦٥ – ١٦٧، والنحو والدلالة : ١٥٠ – ١٥٥، والبلاغة والأسلوبية: ٢٥٧ – ٢٦٦.

(٢) همع الهوامع: ١/ ٥٤، والتعريف والتنكير بين الدلالة والشكل : ١٦، والتعريف والتنكير في النحو العربي: ٢٣.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٥٤.

النكرة على أساس من دلالتها على الشيوع سيبويه(ت١٨٠هـ)، بقوله: ((... وإنما كان نكرة لأنه من أمةٍ كلها له مثل اسمه))[١]. وحدّد المعرفة على أساس من دلالتها على التعيين[٢].

وقد سلك العلماء مسلك سيبويه(ت١٨٠هـ) في تحديد دلالة الشيوع والتعيين للعناصر اللغوية في البنية السياقية، فرددوا كلامه إما بنصه أو بصياغة أخرى تؤدي معناه.

وتنماز مورفيمات التعيين بوظيفتها التحديدية أو التعينية للمفردات التي تدخل عليها اللواصق الخاصة بتأدية هذه الوظيفة، وهي منحصرة في سابقه (أل) التعريف ولاصقة التنوين اللتين تحددان الوظيفة التصريفية للمفردات المتصلة بهذين المورفيمين، بحيث يدلي السيوطي بـ((أن لكل منهما مقاماً لا يليق بالآخر))[٣]، إذ يشكل مورفيم (التنوين) لاحقة تصريفية تلحق آخر الاسم، وتفيد التنكير في مقابل سابقه (ال) التي تفيد التعريف والتعيين. ويكاد النحاة يتفقون على أن التنوين ((نون ساكنة زائدة تلحق الآخر لفظاً لا خطاً لغير توكيد))[٤].

والتنوين ليست زائدة كما ورد في التعريف وإنما هي لاحقة ذات وظائف متعددة، فهي تؤدي وظيفة التنكير في التركيب[٥]. وقد ذهب اللغويون القدامى والمحدثون إلى أن الأصل في العربية التنكير[٦]؛ لأنه شائع مطلق الدلالة لا يقيد، وأشد تمكناً من المعرفة، على أساس أن الأصل في الأشياء أن تكون نكرة ثم يطرأ عليها التعريف.

---

(١) الكتاب: ١/ ٤٢٢.

(٢)المصدر نفسه: ٢/ ٥.

(٣) الإتقان: ١/ ٦٠٦.

(٤) ارتشاف الضرب : ١ / ١١٣، والجنى الداني : ١٧٦، ومغنى اللبيب : ٤٤٤ ، وشرح قطر الندى وبل الصدى: ٢٤، وأقسام الكلام العربي: ٦٣، والنحو الوصفي من خلال القرآن الكريم : ٤٣.

(٥) الكتاب: ٢/ ٢٠٢، والخصائص: ٣/ ٢٤٠.

(٦) الخصائص: ٣/ ٦٥، ونظرات من الإعجاز البياني: ٨٨.

وإن انعدام التنوين دليل على أنك تريد شيئاً معيناً واضحاً في ذهنك معهوداً لك ولمقابلك، سواء أكان ذلك الشيء شخصاً أم غير شخص؛ و((التنوين هو الرمز الدال على أنك تريد شيئاً غير معين بذاته، وإنما هو مختلط بين نظائره المماثلة له، ولا يتجه ذهنك إلى واحد منها دون غيره، ويسمون الكلمة التي من النوع الأول الخالي من التنوين: (معرفة)؛ لأن مدلولها معروف معين، والكلمة التي من النوع الثاني المنون: (نكرة)؛ لأن معناها منكر، أي: شائع غير معين وغير محدد، ويسمون التنوين الذي يدخل عليها: (تنوين التنكير)، أي: التنوين الذي يدل في الكلمة المبنية على الشيوع، وعدم التعيين؛ ولا يدخل إلاَّ الأسماء المبنية فهو العلامة التي تدل بوجودها على أن الكلمة مبنية نكرة، وتدل بحذفها على أنها معرفة))[1].

وجمهور النحاة يصنفون لاحقة التنوين إلى خمسة أصناف، وهذا ما نجده عند السيوطي، بيد أنه لم يزد شيئاً عما ذكره سابقوه، وتتبين هذه الأصناف فيما يأتي:-

١- **تنوين التمكين:** ويقصد به ((تمكين الاسم في باب الاسمية وعدم مشابهة الفعل والحرف))[2].

وهو ((اللاحق للأسماء المعربة))[3]، ويستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾[4]، إذ نجد أنّ السيوطي قد اقتصر على ذكر مجيء هذا التنوين في المفردة مجسدة في التراكيب ولم يصرح بوظيفته، إذ إنّ وظيفته في الأسماء المعربة ((الدلالة على تمكين الاسم، وعلى أنه أقوى أصالة في باب الاسمية))[5]؛ لأن النحاة يقررون أنه كلما ابتعد الاسم عن مشابهة الحرف والفعل في البناء وعدم التنوين، كان أكثر أصالة في الاسمية، وأشد تمكناً[6].

(١) النحو الوافي: ١/ ٣٦.

(٢) ظاهرة التنوين: ١٣.

(٣) الإتقان: ١/ ٥٦٦.

(٤) هود/ ٥٠.

(٥) ظاهرة التنوين: ٩٤.

(٦) النحو الواقي: ١/ ٣٧.

٢- **تنوين التنكير:** يقتصر إلحاق هذا النوع من التنوين على أسماء الأفعال فقط[١] دون الأسماء المختومة بـ(ويه) نحو: سيبويه ونفطويه. وتتجسد لاحقة تنوين التنكير في المفردة لتمييز المعرفة من النكرة، فإذا نُوِّنَ كان نكرة، وما لم يُنَوَّن كان معرفة، واحتج عليه باسم الفعل (أف) في قراءة من نوّنه[٢]، وإذا قلت: (أفْ) من دون التنوين تعني تضجراً عن الشيء الذي فيه، أما إن قلت: (أفٍ) بالتنوين، فإنما تضجر عن كل شيء. ويلحظ أن وظيفة لاحقة التنوين في المبنيات هي التنكير[٣].

٣- **تنوين المُقابَلة:** وهو التنوين الذي يلحق بجمع المؤنث السالم[٤] ويؤتى به ليقابل النون في جمع المذكر السالم، نحو قوله تعالى: ﴿ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾[٥].

٤- **تنوين العِوَض:** توجد أسباب في أساليب اللغة العربية تقتضي حذف حرف من بعض المفردات، أو حذف المفردة من التركيب، أو حذف تركيب أو أكثر، وعندئذٍ يحل التنوين محل المحذوف، ويكون عوضاً عنه. ويؤتى بلاحقة التنوين عوضاً ((عن حرف آخر (مَفاعِلٍ) المعتل))[٦]، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾[٧]، فالتنوين الذي لحق لفظة (غواشٍ) عوضاً عن حرف العلة المحذوف، وهو الياء، أو يكون عوضاً عن مفردة محذوفة، فإنه يلحق بعد (كل أو بعض أو أيّ)، عند حذف المضاف إليه[٨]. واستدل السيوطي لذلك بآيات قرآنية نحو: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ

---

(١) الإتقان: ١/ ٥٦٦.
(٢) الحجة في القراءات السبع: ٢١٥.
(٣) ظاهرة التنوين: ٨٩.
(٤) الإتقان: ١/ ٥٦٦.
(٥) التحريم/ ٥.
(٦) الإتقان: ١/ ٥٦٧.
(٧) الأعراف/ ٤١.
(٨) الإتقان: ١/ ٥٦٧.

﴿ يَسْبَحُونَ ﴾[1]، و ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[2]، و ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا ﴾[3]. فحذف المضاف إليه لكل من (كل – بعض – أيا) وعوض عنها بالتنوين. وأوتي بالتنوين كذلك عوضاً عن التركيب المحذوف، والغالب حين يقع (إذ) مضافاً إليه، بيد أنه قد يحذف التركيب المضاف إلى (إذ) اختصاراً للعلم به[4]، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾[5]، فالتنوين الموجود في (إذا) عوض عن التركيب، أي إذا غلبتم.

٥- **تنوين الفواصل:** صرّح السيوطي أن هذا التنوين يقع في فواصل القرآن، أما إذا وقع في غير القرآن فيسمى بـ(الترنُّم)، وهو اللاحق للقوافي المطلقة بدلاً من حروف الإطلاق، وهي (الألف، والواو، والياء)[6]. ولا يختص تنوين الفواصل بالأسماء فقط بل يدخل على الأفعال والحروف[7]، نحو قوله تعالى: ﴿ وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[8].

نستدل مما سبق عرضه أنه جعل التنوين بمختلف أنواعه دليلاًعلى التنكير فقط، وهذا ما نجده عند بعض المحدثين في تناولهم للتنوين، إذ إن ((معنى التنوين غير خفي، فهو علامة التنكير وقد وضعت العرب التعريف أداة تدخل أول الاسم وهو: (ال)، وجعلت للتنكير علامة تلحقه وهي التنوين))[9]. فقد جعلت هذه الوظيفة عامة في كل أنواع التنوين ولا فرق بين مُنَوَّن مبني أو معرب.

ويرجح عندنا أن التنوين لا يكون دائماً دليل التنكير بصورة مطلقة، وأن ثمة أسماء يعدها النحاة في المعارف ويلحقها التنوين، مثل: محمد وزيد ونوح...الخ

---

(١) يس/ ٤٠.

(٢) البقرة/ ٢٥٣.

(٣) الإسراء/ ١١٠.

(٤) ظاهرة التنوين: ١٠١.

(٥) الشعراء/ ٤٢.

(٦) مغني اللبيب: ٤٤٧.

(٧) الإتقان: ١/ ٥٦٧.

(٨) الفجر/ ٤.

(٩) إحياء النحو: ١٦٥.

كما أن هناك أسماء يعدها النحاة من النكرات وليست منونة كـ(أفعَل) إذا كان صفة، و(فعلان) الذي مؤنثة (فَعْلى) ومفرد آخره ألف التأنيث ممدودة أو مقصورة... الخ[1].

ويستخلص السيوطي من مسلكه التحليلي حزماً دلالية تضفيها هذه اللاحقة على العناصر الاسمية، فيما يأتي[2]:-

١- **إرادة الوحدة:** يقتضي المسند إليه أن يكون معرفة؛ لأنه المحكوم عليه وينبغي أن يكون معلوماً؛ ليكون الحكم مفيداً[3]، وقد يأتي نكرة عندما يكون المراد بيان وحدته وانفراده، واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[4]، فورد لفظ (رجل) بصيغة التنكير؛ لبيان مجيء رجل واحد ولا رجلين.

٢- **إرادة النوع:** واستشهد لذلك بقوله تعالى : ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾[5]، فأتت لفظة (غشاوة) نكرة للدلالة على ((نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس، بحيث غطى ما لا يغطيه شيء من الغشاوات))[6]، ونظيره في ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾[7]. أتى (حياة) بهيئة التنكير؛ لأنه إرادة حياة مخصوصة وهي الحياة المطاولة[8]، لأن ((الحرص لا يكون على الماضي ولا الحاضر))[9]. وبهذه الهيئة اضفى حسناً وروعةً على بنية التركيب، وينعدم ذلك مع هيئة التعريف؛ وذلك ((أن معنى الازدياد من الحياة لا الحياة من أصلها، وذلك لا يحرص

---

(١) أسرار العربية: ٢٢٣ -٢٢٤.

(٢) الإتقان: ١/ ٦٠٧ – ٦٠٨.

(٣) أساليب بلاغية: ١٤٣.

(٤) القصص/ ٢٠.

(٥) البقرة/ ٧.

(٦) الإتقان: ١/ ٦٠٧.

(٧) البقرة/ ٩٦.

(٨) الكشاف:١/ ٨٣.

(٩) الإتقان: ١/ ٦٠٧.

عليه إلا الحي، فأما العادم للحياة فلا يصح منه الحرص على الحياة، ولا على غيرها، وإذا كان كذلك صار كأنه قيل: وَلَتَجِدَنَّهُم أحرص الناس ولو عاشوا ما عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم في ماضي الوقت وراهنة حياة في الذي يستقبل))[1].

ويصرح السيوطي بمجيء دلالة الوحدة والنوعية معاً في البنية التركيبية الواحدة، وأورد لهذه الحالة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[2]، تضمنت البنية التركيبية لهذه الآية دلالة الوحدة والنوعية معاً، ليس لإثبات الصياغة التنكيرية، والمراد منه ((كل نوع من أنواع الدوّاب من نوع من أنواع الماء، وكل فرد من افراد الدوّاب، من افراد النُطَف))[3].

٣- **التعظيم**: وقد يأتي عنصر الاسم في الهيكل التركيبي للجملة نكرة؛ للدلالة على التعظيم، وبيان أن المسند إليه أعظم من أن يعيَّن ويعرف[4]، كقوله تعالى: ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ﴾[5]، أي أذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله.

٤- **التحقير**: فورد المسند إليه بصيغة التنكير في التركيب الجملي لدلالة التحقير وانحطاط شأنه إلى حدٍ لا يمكن أن تعرف حقارته، نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾[6]، مبيناً أن المراد به ((ظناً حقيراً لا يعبأ به، وإلا لاتّبعوه؛ لأن ذلك دَيْدَنُهم))[7]، ويؤيد ذلك بقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾[8].

(١) التراكيب النحوية : ١٦٥.
(٢) النور/ ٤٥.
(٣) الإتقان: ١/ ٦٠٧.
(٤) الإتقان: ١/ ٦٠٧.
(٥). البقرة/ ٢٧٩.
(٦) الجاثية/ ٣٢.
(٧) الإتقان: ١/ ٦٠٧.
(٨) الأنعام/ ١١٦.

٥- **التكثير**: وقد يكون سياق التنكير منتجاً للتكثير على معنى أن ذلك المنكر كثير حتى لا يحتاج إلى التعريف[١]، نحو قوله تعالى: ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾[٢]، أي أجراً وافراً، وقد يكون التنكير للدلالة على التقليل، كما في قوله تبارك اسمه: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[٣]. فأتى (رضوان) بهيئة التنكير للدلالة على أن القليل من رضوانه تعالى أكبر من الجنات؛ لأن ((رضاه هو سبب كل فوز وسعادة؛ ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم وإنما تتهنأ له برضاه))[٤].

وعلى الرغم من خلاف آراء العلماء[٥] بشأن سابقة (ال)، هل هي برمتها مورفيم تعيين وتحديد، أم (اللام) وحدها؟ أم (الهمزة) وحدها؟ فتقوم بوظيفة تحديدية وتعيينية للوحدات الاسمية داخل التركيب، إذ ((لا ترد مستقلة ولا تستغني بنفسها عن مدخولاتها، بل تلتئم دائرتها الدلالية بتقيدها واقترانها بالوحدات الاسمية))[٦]. ووصفت عند المتأخرين بأنها مورفيم مقيد ((Bound Morpheme))[٧]، وهي التي تشكل بنية مقطعية تامة متكوّن من ثلاثة فونيمات على النحو الآتي: (ص م ص)، ويلمس السيوطي تجليات لاصقة (ال) الدلالية

(١) الإتقان: ١/ ٦٠٧.

(٢) الشعراء/ ٤١.

(٣) التوبة/ ٧٢.

(٤) الكشاف: ٢/ ١٦٢.

(٥) الكتاب: ٣/ ٣٢٤ – ٣٢٥، والجنى الداني: ٢١٦، والاصول في النحو: ١/ ٣٩ – ٤٠، وهمع الهوامع: ١/ ٧٨ – ٧٩، ودراسات في علم اللغة: ١٧١ وما بعدها، والتفكير الصوتي عند الخليل: ٨٢ وما بعدها، ودراسات في علم الأصوات العربية: ٧٢.

(٦) البحث الدلالي في كتاب سيبويه: ١٣٠.

(٧) اللغة (فندريس): ١٥٦، ومدخل إلى علم اللغة (حجازي) :٦١ والمدخل إلى علم اللغة (عبد التواب) : ٢٤١ – ٢٤٤، والألسنية التوليدية والتحويلية: ٨٩ – ٩٢، والألسنية -المبادئ والإعلام: ٢٣٣ – ٢٣٤، وعلم اللغة (الضامن) : ٦١، والتفكير اللغوي: ٣٢، ودلالة اللواصق التصريفية: ١٤٣.

المتمثلة بالتحديد والتعيين، وبإدراجه إياها في المرتبة الخامسة ضمن المكونات التعريفية الستة[1].

وسلك السيوطي مسلك النحاة قبله في تصنيف مورفيم (ال) (+ تعين) وبيان وظيفته الدلالية في مستوى التراكيب؛ وذلك بورود (ال) بمعنى المورفيمات الموصولة (الذي، التي، اللذان، اللتان...)، إذا دخلت على أسماء الفاعلين والمفعولين، في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾[2].

وكذلك ترد لاصقه (ال) دلالة التعيين والتحديد على نوعين، وهما:-

- **(ال) العهدية:** بيّن السيوطي وظيفة (ال) في البنى التركيبية، إذ تكمن في ربط الشيء بالمذكور السابق، ويطلق عليه (معهود ذكرياً)[3]. كما في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾[4]، فقد كررت لفظة (الرسول) في البنية التركيبية، فأتت في المرة الأولى مجردةً من (ال) (- تعيين)، وفي الثانية محلىً بـ(ال) (+ تعيين)، ولهذا جاءت في حيز التحديد والتعيين في التركيب.

أما إذا كان بين المتكلم والمخاطب عهدٌ فيسمى ((معهوداً ذهنياً))[5]، وهو ((أن يتقدم مضمون اللام عُلِمَ به قبل ذكره))[6]، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾[7]، إذ اتخذت مفردة (الغار) سمة (+ تعيين) لعلم المخاطب به، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[8]، فاتخذت الشجرة سمة (+ تعيين)؛ لكون الشجرة معلومة لدى المسلمين وإن لم يكن لها ذكر في السياق.

---

(١) الإتقان: ١/ ٦١٠.

(٢) الأحزاب: ٣٥.

(٣) الإتقان: ١/ ٤٧٧.

(٤) المزمل/ ١٥- ١٦.

(٥) الإتقان: ١/ ٤٧٨.

(٦) التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل: ١١٨.

(٧) التوبة/ ٤٠.

(٨) الفتح/ ١٨.

أما إذا أفادت (ال) دلالة العهد الحضوري[1]. فتقوم بربط الشيء المعلوم بالحاضر، واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[2]، فاتخذت لفظة (اليوم) مورفيم (ال)، وإن لم يسبق ذكره من قبل في التركيب؛ لكونه يقصد به اليوم الحاضر وهو يوم عرفة.

وبيّن السيوطي المواضع التي ترد فيها (ال) الحضورية، وذلك نقلاً عن ابن عصفور(ت ٦٦٩هـ)، بقوله: ((وكذا كل واقعة بعد اسم الإشارة، أو (أي) في النداء، و(إذا) الفجائية، أو في اسم الزمان الحاضر نحو: الآن))[3].

-**(ال) الجنسية**: أكد السيوطي تجسيد لاصقة (ال) النكرة داخل فضاء التركيب بأداء الوظيفة التحديدية والتعيينية للجنس كله[4]، وأمارته أن يصح احلال (كل) محل مورفيم (ال) في البنية التركيبية لدلالة الإحاطة والشمول حقيقةً لا مجازاً، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[5]. فـ(ال) في (الإنسان) يدل على كل واحد من جنس الإنسان. ويصح الاستثناء في التركيب الذي دخل عليه (ال) الجنسية[6]، ويستدل السيوطي لذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[7]. فالإنسان هنا عام يراد به جميع الآدميين، بدليل استثناء الجمع منه (إلا الذين).

وتؤدي داخلة (أل) الجنسية في المفردة الوصف بالجمع، نحو قوله عز وجل: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾[8]، وصرّح بأنها تفيد دلالة الإحاطة والشمول لخصائص

---

(١) الإتقان: ١/ ٤٧٨.

(٢) المائدة/ ٣.

(٣) الإتقان: ١/ ٤٧٨.

(٤) الإتقان: ١/ ٤٧٨.

(٥) النساء/ ٢٨.

(٦) الإتقان ١/ ٤٧٨.

(٧) العصر/ ٢ – ٣.

(٨) النور/ ٣١.

الافراد، وأمارته أن يصح وقوع (كل) موقع (ال) مجازاً[1]، وذلك كقوله تبارك أسمه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾[2]، تعين لا صفة (ال) التصريفية، كونه ((الكتاب الكامل في الهداية الجامع لصفات جميع الكتب المنزلة وخصائصها))[3].

وتتجلى وظيفة (ال) التعيينية داخل بعض التراكيب اللغوية بوضوح في بيان الحقيقة وماهية الجنس[4]، واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[5].

ويُجري موازنة بين التعيين بـ(ال) وبين اسم الجنس النكرة، بقوله: ((هو الفرق بين المقيّد والمطلق؛ لأن المعرّف بها يدلُّ على حقيقة بقيد حضورها في الذهن، واسم الجنس النكرة يدلّ على مطلق الحقيقة لا باعتبار قيد)) [6].

ونظرة السيوطي هذه تلتقي مع نظرية المستشرق (بلين) بكون مورفيم التعيين (ال) من ((المؤشرات اللغوية))[7]، فوجوده في المركبات الاسمية أكثر ((الروابط وضوحاً في الخطاب))[8].

ويمكننا توضيح دلالات (ال) بين التعيين والموصولية بهذا المخطط:

(1) الإتقان: 1/ 478.

(2) البقرة/ 2.

(3) الإتقان: 1 / 478.

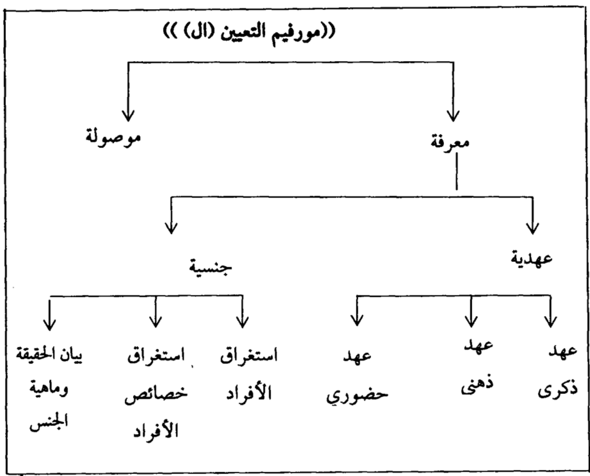
(4) الإتقان: 1/ 478.

(5) الأنبياء/ 30.

(6) الإتقان: 1/ 478.

(7) مدخل إلى علم اللغة النصي: 60.

(8) المصدرنفسه: 61.



وجدير بالذكر أن مورفيمات التعيين لا تقتصر على مورفيم (ال) وإنما تتجلى في وسائل أخرى في مورفيمات متعلقة بتأدية وظيفة التحديد للمفردات في الهيكل البنيوي للتركيب، وعند دراستنا لآراء السيوطي بهذا الصدد نجد انه قد وضع للمعارف تدرجاً من حيث دلالتها على التحديد والتخصيص.

فبدأ بالمورفيم الشخصي، الذي قال بشأنه: ((المقام مقام التكلم أو الخطاب أو الغيبة))[1]، فخصوصية المقام تحتاج إلى المورفيمات الشخصية للتعبير عنه. ويجعله السيوطي على رأس المعارف؛ لأنه ذو دلالة محددة، وهذا ما نجده عند المتأخرين على أن المورفيم الشخصي على درجة عالية من التعريف[2] . نستدل من كلامه أن التعريف بالمورفيمات الشخصية متكئ على المقام والصياغة.

---

(١) الإتقان: ١/ ٦٠٧.

(٢) نظرية أدوات التعريف والتنكير: ١٥٢ - ١٥٣، نقلاً عن التعريف والتنكير في النحو العربي: ٧١.

ويأتي بالعلمية من الدرجة الثانية من تدرج المعارف، ويؤكد السيوطي أن التعريف بالعلمية قد تجاوز الصياغة إلى متلقّيها ابتداء في ذهنه، وشرط إحضار المسند إليه أن يكون اسماً مختصاً، قائلاً: ((لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم يختص به))[1]، نحو قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[2]، ويتأتى التحديد والتعريف بالعلمية في الهيكل التركيبي لغرض التعظيم أو الإهانة، وذلك بالألقاب والكِنى لتأدية الغرض المطلوب. كما نجد في قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾[3]، فكنى بـ(أبي لهب) كونه جهنمياً ((من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب، وافقت حاله كنيته، فكان جديراً بأن يذكر بها ويقال: أبو لهب))[4].

أما التعريف بالإشارة فبيّن السيوطي وظيفتها في التراكيب اللغوية، بأنها تفيد التبيين وتمييز الشيء المقصود، وبإحضاره في ذهن السامع حساً[5]، ويلحظ من رؤيته لهذا التعريف أنه يشترط للمشار إليه أن يكون موجوداً ذهنياً وحسياً، وقد صرّح بهذا الصدد بعض الباحثين المتأخرين بأن الإشارة دالّة على الحسية والذهنية على حد سواء[6]. بيد أن بعض القدامى من النحويين ذهبوا إلى أن مطلق الإشارة حقيقة في الحسية دون الذهنية[7]، واحتج عليه السيوطي، بقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[8]، فالتعيين بمورفيم الإشارة (هذا)، وكان ابتغاء للتعريض بغباوة المخاطب[9].

---

(١) الإتقان: ١/ ٦٠٨.

(٢) الفتح/ ٢٩.

(٣) المسد/ ١.

(٤) الكشاف: ٤/ ٢٤٠.

(٥) الإتقان: ١/ ٦٠٩.

(٦) التعريف والتنكير في النحو العربي: ٨٠.

(٧) شرح التصريح على التوضيح: ١/ ١٢٦.

(٨) لقمان/ ١١.

(٩) الإتقان: ١/ ٦٠٩.

أما التعريف بـ(الموصولية) فيأتي عند السيوطي في المرتبة الرابعة من مراتب التعريف[1]، التي يتعين ويتحدد مدلولها بالجمل وأشباه الجمل، التي تسمى بـ(صلة الموصول)، حيث ينحصر علمه على المسند إليه في الصلة[2]. فيؤتى بمورفيمات الموصولية في التراكيب اللغوية ((كراهة ذكره بخاص أسمه، إما ستراً عليه، أو إهانة له أو لغير ذلك))[3].

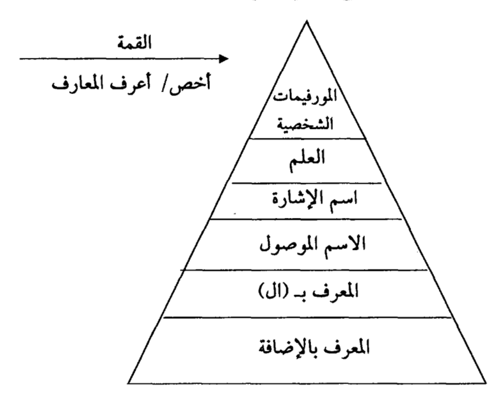
وقد بيَّن السيوطي المعطيات الاجتماعية المقتضية لاختيار كل مورفيم من المورفيمات الموصولية على وفق تناسب مؤشراتها الدلالية دلائلها البنيوية مع الهيئات النفسية والمقامية للمخاطب، كما يبدو في تحليله للمورفيمات الموصولية المحددة بـ(التي) ممثلاً بقوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾[4]، فإن ذكر اسم (امرأة العزيز) لا يفيد ما أفاده الموصول (التي) من ذكر السبب الذي هو قرينة في تقرير (المراودة)، وهي كونه (في بيتها)[5]، فصور ذلك الجو النفسي الذي توافر فيه أحوال الإغراء، مع قوة السلطان وتهيئة الظروف، إلا أن هذه الظروف المهيأة لم تزد سيدنا يوسف عليه السلام إلا عفة[6]، وبهذا ((دلّت هذه الآية على نزاهة سيدنا يوسف عليه السلام، كما أن في ذكر الصلة هنا استهجاناً لعدم التصريح بالاسم المنسوب إليه هذا الفعل))[7].

ثم بيّن المعرف بـ(ال) ودلالته، واهتم ببيان أنواعه التي ذكرناها في حينه، وختم مراتب التعريف بالمعرّف بالإضافة، وصرّح بأن مكون بالإضافة أخصر الطريق يمكن إحضار المسند إليه عن طريقها في ذهن المخاطب؛ لغرض تعميم المضاف[8]، نحو قوله

---

(١) الإتقان: ١/ ٦٠٩.
(٢) البلاغة العربية قراءة أخرى: ٢٣٠.
(٣) الإتقان: ١/ ٦٠٩.
(٤) يوسف/ ٢٣.
(٥) تفسير القاسمي:٩/ ٢١٠.
(٦) التعبير القرآني والدلالة النفسية: ٢٨٩.
(٧) دلالات التراكيب: ١٩٤.
(٨) الإتقان: ١/ ٦١٠.

تعـالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾[1]، فـالمورفيم المتصـل (الهـاء) في (أمـره) لله سبحانه وتعالى، والقصد منه كل أمر الله تعالى. ومراتب التعريف في مفهـوم السـيوطي يمكن توضيحها خلال التدرج الهرمي الآتي:-



يلحظ من هذا التدرج الهرمي أنه يتفق مع مذهب سيبويه(ت١٨٠هـ) وجمهور النحاة[2]، في أن المورفيم الشخصي أعرف المعارف بعد لفظ الجلالة، ويختلف عنهم في جعل الاسم الموصول بعد اسم الإشارة على عكس هـؤلاء الـذين وضـعوه في المرتبـة الأخيرة.

وقد أشار السيوطي إلى مورفيمات التعيين عندما بحث في الأسماء وأصـولها، وذكر تكرارها وشيوعها، وذلك ببيان قواعد لذلك، وكالآتي:-

(١) النور/ ٦٣.

(٢) شرح جمل الزجاجي: ٢٦١، والمقرب: ١/ ٢٢٢.

القاعدة الأولى/ قد تتكرر المعرفة أكثر من مرة في السياق الواحد، وفي هذه الحالة تكون المعرفة الثانية هي الأولى في الأصل دلالة على المعهود[1]، والشاهد الذي ذكره قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾[2]، فـ(الصراط) الأولى معرفٌ بـ(ال)، والثانية بالإضافة، فالثانية هي أصل الأولى؛ لأن الثانية معهودة بالذكر أولاً ، وفائدة تكرار معرفة في السياق الواحد ((التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين؛ ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده))[3].

القاعدة الثانية/ قد تتكرر النكرة أكثر من مرة في سياق واحد والحالة هذه على نقيض الحالة الأولى، فالنكرة الثانية هي ليست في الأصل النكرة الأولى، كما كان الحال في المعرفة[4]، والشاهد الذي أورده عن التنكير لفظة (ضعف) في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾[5].

فالنكرة في كل موقف لها دلالة معينة ففي الأولى دلالة النطفة التي تمر بمراحل[6]، وهي أضعف ما يكون ثم الثانية التي هي دلالة لمرحلة ما بعد النطفة، وهي مرحلة الطفولة وفيها ضعف أيضاً ودلالتها مغايرة للأولى، وفي الثالثة دلالة على مرحلة الشيخوخة، وفيها ضعف كذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾[7]، فالضعف في هذه الآية تمثل كل واحدة منها مرحلة من مراحل الخلق (النطفة، الطفولة، الشيخوخة). فنستنتج مما ذكر أن المعارف إن تكررت فدلالتها واحدة على عكس النكرات إن تكررت تعددت الدلالات.

(١) الإتقان: ١/ ٦١١.

(٢) الفاتحة/ ٦ – ٧.

(٣) الكشاف: ١/ ١١.

(٤) الإتقان: ١/ ٦١١.

(٥) الروم/ ٥٤.

(٦) صفوة التفاسير: ٢ / ٣٣٠.

(٧) النحل/ ٧٠.

وبيّن اجتماع هاتين القاعدتين في البنية التركيبية الواحدة، في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[1]، فالعسر الثاني هو الأول لكونهما معرفتين، في حين اليسر الثاني غير الأول لأنهما نكرتان، ويرجح قوله بدليل قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): (لَنْ يغلبَ عُسْرٌ يُسرين)[2]. إذ كلّ منهما يؤدي دلالة مغايرة ولا يؤديه غيره، حيث أن(((ال) في العسر للعهد لا للاستغراق، ويقصد بها ما كان الرسول يشعر به من ضيق الصدر وثقل العبء وفداحة الأمر، أما تنكير اليسر فلكي ينفسح فيه مجال التصور ويمضي به إلى أبعد مدى))[3]، فنسبة العسر إلى اليسر هي واحد إلى اثنين، فعلى أصحاب الابتلاء والمحنة أن ينتظروا اليسر بأمل عريض[4]. فالتعريف والتنكير من الأساليب البلاغية التي من حق البليغ أن يراعيها في التركيب الكلامي، إذ لكل منهما موضوعه الذي يتطلبه، ولايحسن في غيره، فقد يحسن تعريف الكلمة في موضع لا يحسن فيه تنكيرها، في حين العكس هو الصحيح في موضع آخر.

القاعدة الثالثة/ قد يتكرر الاسم فيكون الأول نكرة والثاني معرفة، فحكمه يكون مثل حكم القاعدة الأولى، فالثاني هو الأول حملاً على العهد المذكور سابقاً[5]، نحو قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾[6].

القاعدة الرابعة/ وهي على نقيض القاعدة الثالثة، أي أن يكون الاسم الأول معرفة والثاني نكرة، والحالة هذه تتوقف على القرائن، ففي بعض الحالات يكون الاسم الثاني غير الأول بحسب القرينة الواردة في السياق، واحتج لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[7]، فالساعة الثانية وهي نكرة غير

(١) الشرح/ ٥ – ٦.

(٢) صحيح البخاري: ٣/ ٥٦٥، والموطأ: ١٨٣.

(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ٦٦.

(٤) نظرات من الإعجاز البياني: ٧٤.

(٥) الإتقان: ١/ ٦١٢.

(٦) الشورى/ ٥٢ – ٥٣.

(٧) الروم/ ٥٥.

الساعة الأولى وهي المعرفة؛ فدلالات كل منهما مختلفة، فالأولى تدل على يوم القيامة سميت بذلك؛ ((لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا))[1]، في حين تدل الثانية على المدة الزمنية أي يوم تقوم القيامة وبعث الناس للحساب، إذ يحلف الكافرون المجرمون بأنهم ما مكثوا في الدنيا غير ساعة.

يرى بعض المتأخرين أن الدلالة الإيحائية في لفظة (الساعة) التي تحمل سمة (+التعين) لدلالة يوم الآخرة؛ لأن ((هذه (الساعة) تنفرد دون ساعات الزمان كله بأنها الحاسمة الفاصلة التي يتغير فيها نظام وسيره الكون، بما يحدث فيها من حدث هائل خطير، وهو معنى يقوى ويتضح بإسناد القيام والمجيء الى هذه الساعة المتميزة الحاسمة، دلالة على بروزها وشخوصها وفاعليتها))[2]. وتطلق على هذه الظاهرة في البلاغة بـ(الجناس التام المماثل)[3].

في حين توجد في سياقات أخرى قرائن تدل على اتحاد الاسمين في الدلالة[4]، والشاهد الذي ذكره السيوطي لذلك، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[5]، فورد لفظ (القرآن) بهيئتين، الأول بهيئة التعريف، والثاني بهيئة التنكير، بيد أن كليهما يدلان على دلالة واحدة، وهو ذلك الكتاب المبارك الذي نزل على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

يلحظ مما سلف أن السيوطي قد أثبت قاعدة، بيد أن كثيراً من العلماء ومنهم الشيخ بهاء الدين السبكي(ت ٧٧٣هـ)[6] قد انتقدوا ما أثبته، وذكروا أن هذه القاعدة غير مطلقة ويمكن تقيدها، وأنها منقضة بآيات عديدة[7].

---

(١) الكشاف: ٣/ ٢٠٨.

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/ ١٤٤.

(٣) بديع القرآن: ٢٨، دراسات في المعاني والبديع: ١٨٤.

(٤) الإتقان: ١/ ٦١٢.

(٥) الزمر/ ٢٧ – ٢٨.

(٦) عروس الأفراح: ١/ ٢٠٨.

(٧) الإتقان: ١/ ٦١٢.

يرجح الشيخ بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ) قوله في القاعدة الأولى بقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[١]. فيرى انه على الرغم من ورود اسمين محددين بمورفيم (ال)، (+ تعيين) بيد أنهما مختلفان في الدلالة، والثاني غير الأول؛ لأن الأول يدل على العمل والثاني يدل على الثواب[٢]. بيد أن السيوطي يرد عليه بفطنته اللغوية، وينص على أن اللام في الإحسان للجنس لذا يعامل معاملة النكرة في الدلالة[٣]؛ لأن (ال) فيه لتعريف الجنس كله لا لتعريف فرد منه[٤].

وكذلك نجد أنه ينقض القاعدة الثانية[٥] وذكر شاهداً لذلك، قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾[٦]. فتكرر لفظ (قتال) في سياق الآية بصيغة التنكير، ومع ذلك فدلالتهما واحدة، فإن الثاني هو الأول. فالسيوطي يرد عليه ويحلل الآية بشكل دقيق، بقوله: ((ليس الثاني فيها عين الأول بلا شك؛ لأن المراد بالأول المسؤول عنه القتال الذي وقع في سرية ابن الحضرمي سنة اثنتين من الهجرة؛ لأنه سبب نزول الآية، والمراد بالثاني جنس القتال لا ذاك بعينه))[٧].

ففكرة السيوطي ودراسته للتراكيب تقترب مع فكرة البيانيين في الدراسات البلاغية الذين وضعوا حداً لهذا الإطار اللغوي في معالجة أسلوب التحديد والتعيين، وذلك بتحليل أنماط من التراكيب التي جاء فيها أحد عناصر الإسناد معرفة أو نكرة، أو جاءا معاً نكرتين أو معرفتين، واتصال ذلك بالجانب النفسي، إذ تؤثر ظاهرة التنكير والتعريف تأثيراً كبيراً في طبيعة الدلالة[٨].

---

(١) الرحمن/ ٦٠.

(٢) عروس الأفراح: ١/ ٢٠٩-٢١٠.

(٣) الإتقان ١/ ٦١٣.

(٤) شرح المفصل: ١/ ١٩، التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل: ١٢٠.

(٥) عروس الأفراح: ١/ ٢١٠.

(٦) البقرة/ ٢١٧.

(٧) الإتقان: ١/ ٦١٣.

(٨) جدلية الإفراد والتركيب: ١٨٦.

ويجرى السيوطي بيان الحكمة والسبب في تنكير لفظة (أحد) وتعريف لفظة (الصمد) بمورفيم (ال) في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[1]، بقوله: ((إن (هو) مبتدأ و (الله) خبر، وكلاهما معرفة، فاقتضى الحصر، فعُرِّفَ الجزءان في (الله الصمد)؛ لإفادة الحصر، ليطابق الجملة الأولى، واستغنى عن تعريف (أحد) فيها لإفادة الحصر دونه، فأتى به على أصله من التنكير، على أنه خبر ثان، وإن جعل الاسم الكريم مبتدأ و (أحد) خبره، ففيه من ضمير الشأن ما فيه من التفخيم والتعظيم، فأتى بالجملة الثانية على نحو الأولى بتعريف الجزأين للحصر تفخيماً وتعظيماً))[2].

ويلحظ مما سلف ذكره أن رؤيته اللغوية تعتمد على مرتكزات داخلية متمثلة بربط التركيب بالدلالة ومرتكزات خارجية يحددها النظام العرفي والتداولي في المواقف الاجتماعية التي يتوقف فهمها واستيعابها ((على معرفة سياق الحال، أو الأحداث والمواقف التي تحيط بالنص))[3].

---

(١) الإخلاص/ ١ – ٢.

(٢) الإتقان: ١/ ٦١٠ – ٦١١.

(٣) علم اللغة النصي: ١/ ٤١.

التبعيــة

تشمل تلك الفصائل النحوية الـتي تتشـكّل هيئاتهـا التركيبيـة بوسـاطة علاقـة سياقية معنوية، وهي علاقة التبعية[1] المنظمة للعناصـر التابعـة داخـل السـياق. وهـذه العناصر تعد أركاناً تكميلية تعمل على إبراز علاقة دلالية بيانية أو توضيحية، أو تزيـل الغموض والإبهام مما يفضي إلى إنتاج أبعاد دلالية مبينة لا تتحقـق في التركيـب المفـرغ من هذه الفصائل، وهي بمثابة الوحدات التكوينية التي يمكن ((أن تنـتج معنـىً وظيفيـاً عندما تتضام مـع غيرهـا مـن الوحـدات في (حـزم مـن العلاقـات/ Bound less of relations)))[2].

والفصائل التابعة تشكل توابع مساوية لمتبوعها في إعرابها، بحيث يقع التابع في الموقع الإعرابي نفسه الذي يقع فيه المتبوع، وتفترق من خلال المؤشرات الدلاليـة الـتي تضفيها على التركيب، والمنبثقة من أهداف تواصلية متباينة مرتبطة بالملابسـات المحيطـة بالمقال[3].

والفصـائل التابعـة تمثـل أبعـاداً تركيبيـةً متباينـةً تضـبطها طبيعـة كـل فصـيلة وأحكامها الوظيفية وقيمها التمييزية التي بسط السيوطي القول في توصيفها وتحليلـها، مبيناً المؤشرات الدلالية المتحصلة مـن هـذه التشـكيلات التركيبيـة والفصـائل التابعـة وتتوزع على هذه المحاور:-

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٤، والعلامة الإعرابية في الجملة: ٣١٢، والمنهج الوصفي: ٢٤٥.

(٢) عصر البنيوية:٢٨.

(٣) الأبعاد المعنوية في الوظائف النحوية: ٩٤.

الصفة:

تعرف الصفة في ضوء الدراسة النحوية القديمة بأنها: ((تابع مكمل متبوعه ببيان صفة من صفاته... أو من صفات ما تعلق به))[1]، فوظيفة عنصر الصفة في فضاء التركيب الوصفي تكمل متبوعها بدلالتها على معنى فيها؛ وذلك بالإتيان بها بعد اسم يبين أحوالها، كقولك: جاء رجل كريم، فالصفة (كريم) بيّنت حال الموصوف (رجل)، وهذا النمط من الصفة يسمى بـ(الحقيقي).

وثمة نمط آخر من الصفة وهو ما دل على صفة لاسم بعده له صلة وارتباط بالموجود بسبب من الأسباب، ويؤكد هذه الصفة اتصالها بضمير يربطها بالموصوف ويطابقه، وهذا يسمى بـ(السببي)[2]، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ﴾[3]، فصفة (الظالم) لم تدل على صفة في الموصوف (القرية)، وإنما دلت على صفة في الاسم الذي بعده وهو (أهلها)، ولا يخفى ما بين الموصوف (القرية) و (أهلها) من صلة وارتباط، ولذا اتصلت كلمة (أهلها) بضمير يعود على القرية.

وقد أشار السيّوطي إلى فصيلة (الصفة) في الإطار التركيبي وابراز بعدها الدلالي قائلاً في حد هذه الوظيفة بأنها: ((وضعت لتدل على معنى حاصل في متبوعها))[4]. ويبدو من معالجته لهذه الفصيلة أنه لم يفرق بين مصطلحي (الصفة) و(النعت) من حيث المعنى؛ لأنهما مترادفان، كما هو حال النحاة الذين لهم توجهات ورؤى بشأن هذين المصطلحين، منها: ((أن النعت لا يكون إلا فيما يتغير نحو (واقف، قاعد)، وأما الوصف فيكون فيما يتغير وفيما لا يتغير نحو: (قصير وطويل)))[5].

---

(١) شرح ابن عقيل: ٢/ ١٩١.

(٢) المصدر نفسه: ٢/ ١٩١ .

(٣) النساء/ ٧٥.

(٤) الإتقان: ٢/ ٨٦٠.

(٥) شرح المفصل: ٣/ ٤٧، وشرح قطر الندى وبل الصدى: ٣٨٠، والتركيب والدلالة والسياق: ١٢.

والحصلات الدلالية التي يقرُّها بشأن التركيب الوصفي تتمثل فيما يأتي:

١- **التخصيص**[(١)]/ إذا كان الموصوف نكرة فيؤدي دلالة التخصيص، ويراد بـ(التخصيص): ((تقليل الاشتراك المعنوي في النكرات))[(٢)]، مثل قولك: (رأيت رجلاً قصيراً)، فإن (رجل) نكرة عامة تشمل كل ذكر آدمي بالغ، وعندما وصفت هذه النكرة بـ(القصير) فقد قللت الاشتراك بإخراجك الطول، فإن الصفة تؤدي وظيفة تقيّد ذلك المعنى العام، ويقلل من شيوعه، ويستشهد السيوطي لذلك بقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[(٣)].

٢- **التوضيح**[(٤)]/ ويراد به ((رفع الاشتراك اللفظي في المعارف))[(٥)]، نحو: (أنطلق محمد الوسيم)، فإن لفظة (محمد) تدل على كثير ممن سموا بهذا الاسم، فإن قلت (الوسيم) أزلت الاشتراك وتعيَّن المقصود، ويستشهد السيوطي لهذا اللون بقوله تعالى: ﴿وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ﴾[(٦)].فوظيفة الصفة الأساسية إذن هي التعريف إو الإقتراب من التعريف، ومعنى ذلك أن الصفة تأتي في التركيب لتميّز بين الموصوف وغيره، ويزيل اشتراك الموصوف مع غيره من الأسماء، فإذا كان الإسم معرفة فإنه لا يشترك مع غيره، ثم يتلو ذلك استغناؤه عما يفصله، ومن هنا فإن المورفيمات الشخصية لا توصف؛ لأنها أعرف المعارف، فهي لا تحتاج إلى زيادة إيضاح أو تفسير[(٧)]، يقول سيبويه(ت١٨٠هـ): ((واعلم أن المضمر لا يكون موصوفاً من قبل، إنك إنما تضمر حين ترى أن المحدّث قد عرف من تعني)) [(٨)].

---

(١) الإتقان: ٢/ ٨٥٥.

(٢) حاشية الصبان: ٣/ ٨٦.

(٣) النساء/ ٩٢.

(٤) الإتقان: ٢/ ٨٥٥.

(٥) حاشية الصبان: ٣/ ٨٦.

(٦)الأعراف/ ١٥٨.

(٧) التركيب والدلالة والسياق: ٣٤.

(٨) الكتاب: ٢/ ١١.

٣- **المدح والثناء/** وقد تأتي الصفة في بنية التركيب لمجرَّد دلالة المدح والثناء، ولا يراد به إزالة اشتراك ولا تخصيص نكرة، بل لمجرد المدح والثناء، وذلك إذا كان الموصوف معروفاً عند المخاطب[١] ولا يحتاج إلى توضيح، ويورد السيوطي لذلك قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾[٢] موضحاً أن ((هذا الوصف للمدح، وإظهار شرف الإسلام، والتعريض باليهود، وأنهم في موقف عداء من ملة الإسلام الذي هو دين الأنبياء كلهم، وانهم بمعزل عنه))[٣]. فأدرك أنه ليس الغرض من الصفة هنا توضيح المعرفة؛ لأن الاسلام معلوم لدى السامع قبل وصفه، وإنما الغرض هو مدح الاسلام وإظهار شرفه.

٤- **الذم/** وهو عكس المدح، وذلك إذا كان الموصوف معروفاً عند المخاطب، ولا يميزه من شخص آخر[٤]،وانما يأتي بها لذمه، والشاهد الذي ذكره السيوطي لذلك قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[٥]، مدركاً أنه لا تقصد بذلك تمييزه عن شخص آخر فيسمى بهذا الاسم، وإنما ذكرت هذه الصفة لذمه وتحقيره، إذ ((ليس ثمة شيطان غير رجيم، فَفُصل الرجيم منه))[٦].

٥- **التاكيد لرفع الإيهام/** وقد ترد أساليب التركيب الوصفي لأداء وظيفة التوكيد وإزالة الشك والإيهام، ويردف السيوطي رؤيته هذه بقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[٧]، محللاً إياها بأن عنصر الصفة (اثنين) الذي أتى بعد لفظة (إلهين) عمل على توكيد النهي عن الاشتراك والإفادة وأن النهي عن الإلهين إنما هو لمحض كونهما اثنين فقط لا لمعنى آخر من كونهما عاجزين أو غير ذلك، فلو قيل: (لا تتخذوا الهين)

(١) الإتقان: ٢/ ٨٥٥.

(٢) المائدة/ ٤٤.

(٣) الإتقان:٢/ ٨٥٥ – ٨٥٦.

(٤) الإتقان: ٢/ ٨٥٦.

(٥) النحل/ ٩٨.

(٦) معاني النحو: ٣/ ١٥٨.

(٧) النحل/ ٥١.

فقط، لتوهم أنه نهي عن اتخاذ جنس آلهة، وإن جاز أن يُتّخذ من نوع واحد عدد آلهة[1]، ولهذا أكّد بالوحدة في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[2]؛ لأنه ((لو قلت إنما هو إله، ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيّل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية))[3].

ويبدو من هذا التوجيه الدلالي أن فصيلة الصفة ترفد البنى التركيبية بكثافة دلالية وقيمة تعبيرية، ينعكس أثرها في تصوير المدلول وتحسينه، وبهذا الشكل ربط السيوطي وظيفة اللغة بالواقع الاجتماعي وكيفية تداولها ودورانها بين المرسل والمتلقي؛ ذلك ((أنك في الصفة تذكر حالاً من أحوال الموصوف لمن يعرفها تعريفاً له عند توهم الجهالة بالموصوف وعدم الاكتفاء بمعرفته))[4].

ويجيز في التركيب الوصفي الذي تأتي الصفة فيه بعد المتضافين (المضاف والمضاف إليه) والمضاف كان عدداً وجهين من الإعراب؛ لإجرائها مجرى المضاف مرة، أو لإجرائها مجرى المضاف إليه مرة أخرى[5]، والشاهد الذي أورده السيوطي للنوع الأول قوله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾[6]، فوردت حركة الصفة (طباقاً) فتحةً لإجرائها على حركة المضاف الذي هو العدد. أما النوع الثاني فاستشهد له بقوله تعالى: ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾[7]، فجرت حركة (سمانٍ) لإجرائها على حركة المضاف إليه (بقرات).

وقد تفطّن السيوطي إلى شرط الصفة التي هي عامة وأنها لا تأتي بعد الخاصة، حيث ((لا يقال: رجل فصيح متكلم، بل متكلم فصيح))[8]، فكل رجل يكون

---

(١) الإتقان: ٢/ ٨٥٦.

(٢) النحل/ ٥١.

(٣) الكشاف: ٢/ ٣٣٢.

(٤) شرح المفصل: ٣/ ٥٨.

(٥) الإتقان:٢/ ٨٥٧.

(٦) الملك/ ٣.

(٧) يوسف/ ٤٣.

(٨) الإتقان: ٢/ ٨٥٧.

متكلما، ولا يكون كل متكلم فصيحاً، فالموصوف بها نكرة، فتركيب النكرات[1] توصف بها النكرات، وهذا ما أشار إليه ابن هشام (ت ٧٦١هـ) بقوله: ((الجمل الخبرية التي لم يستلزمها ما قبلها إن كانت مرتبطة بنكرة محضة، فهي صفة لها، أو بمعرفة محضة فهي حال عنها، أو بغير المحضة منهما فهي محتملة لها، وكل ذلك بشرط وجود المقتضي وانتفاء المانع))[2].

وتوجد في العربية ظاهرة تركيبية مبرزة في وظيفة الصفة حيث ((تمتزج الأبعاد الدلالية بالتداولية))[3]. وهي ظاهرة (القطع) ويقصد بها ((مغايرة النعت للمنعوت في الإعراب، وذلك بأن يكون المنعوت مرفوعاً ونعته منصوباً، وقد يكون المنعوت منصوباً ونعته مرفوعاً، وقد يكون المنعوت مجروراً فيقع نعته مرفوعاً أو منصوباً))[4].

إن ظاهرة القطع تبدو من السطح اللغوي أنها انكسار لبنية الجملة، وانعطافٌ للامتداد التركيبي القائم على مبدأ التبعية؛ لأنها تقوم على المغايرة في العلامات الإعرابية، من الضمة إلى الفتح وبالعكس، وإذا كان هكذا فلا بد إن تغيير الشكل متبوع بنمط من الدلالة، مختلف عما قيل، ولولا هذا لأصبحت العلامات الإعرابية مجردة من المعنى، إذ التنوّع في العلامة (الحركة) مناط بتنوع من الدلالة، فيلجأ المتكلم إلى قطع الصفة عن الموصوف في الحركة الإعرابية إذا أراد المبالغة في وصف المخاطب مدحاً أو ذماً، فكأنهم ينوون وصفاً جديداً غير متبع لأول الكلام، فقولك: مررت بالطالب المجتهد، بالرفع في لفظة (المجتهدُ) أو النصب.

فإن رفعت فقد ذهبت إلى معنى الثبوت على إرادة التركيب الإسمي، فكأنك قلت: هو المجتهد. وإن أردت النصب فقد طلبت معنى التجدد والتغيّر؛ لأن (المجتهد) نُصب بالفعل (أمدح)، فأصبح التركيب فعلياً متجدداً والتركيب المقطوع لا محل له من الإعراب، بل هو مستأنف استئنافاً بيانياً؛ لأنه ليس في تقدير جواب سؤال، بل هو لمجرد

(١) الكتاب: ٢/ ٢٢٩، والمقتضب: ٤/ ٢٩٠-٢٩٤.

(٢) مغني اللبيب: ٥٦٠.

(٣) الأبعاد المعنوية في الوظائف النحوية: ١٢٨.

(٤) معاني النحو: ٣/ ١٦٧.

المدح[1] ، وهذا ما نجده عند السيّوطي بقوله: ((قطع النعوت في مقام المدح والذم أبلغ من إجرائها، قال الفارسي: إذا ذكرت صفات في معرض المدح والذم، فالأحسن أن يخالف في إعرابها؛ لأن المقام يقتضي الإطناب، فإذا خولف في الإعراب كان المقصود أكمل؛ لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن، وعند الاتحاد تكون نوعاً واحداً))[2]. واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾[3]، فنصب (حمالة الحطب) لمبالغة شتم (زوجة أبي لهب) التي كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنشرها ليلاً في طريق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[4]، فهذا الأسلوب في التركيب الوصفي يراد به لفت النظر وإثارة الانتباه إلى الصفة المقطوعة، وأن اتّصاف الموصوف بهذه الصفة بلغ حداً يثير الانتباه؛ وذلك ((لأن الأصل في النعت أن يتبع المنعوت، فإذا خالفت بينهما نبهت الذهن وحركته إلى شيء غير معتاد، فهو كاللافتة أو المصباح الأحمر في الطريق، يثير انتباهك ويدعوك إلى التعرف على سبب وضعه))[5].

عطف البيان

تدرج فصيلة (عطف البيان) في عداد الفصائل الكفيلة بإيتاء حمولة دلالية إيضاحية وبيانية تعمل على إيصال المضمون الإخباري بصورة قطعية مجردة من الدلالات الاحتمالية القابلة للتحميل على وجوه تأويلية متباينة.

ويصرّح السيوطي أن عطف البيان يضارع الصفة في أداء وظيفة الإيضاح في فضاء التركيب، ويفارقها في أنه وحده يؤدي هذه الوظيفة بخلافها فإنها مع متبوعها يؤديان هذه الوظيفة أي الإيضاح[6]. إذ يعد عطف البيان كياناً متكاملاً مولداً من

(١) ظاهرة العدول: ٧٦.

(٢) الإتقان: ٢/ ٨٦٠.

(٣) المسد/ ٤.

(٤) الكشاف: ٤/ ٢٤١.

(٥) معاني النحو: ٣/ ١٦٧.

(٦) الإتقان:٢/ ٨٦٠.

متبوعه متشبثاً به على صعيد البناء الدلالي، مستقلاً ومغايراً له على صعيد البناء السطحي.

ويحدد استقلالية عطف البيان في أداء الوظيفة الإ يضاح، كما يتجلى ذلك في مفارقته مع فصيلة البدل، بقوله: ((وفرّق ابن كيسان بينه وبين البدل: بأن البدل هو المقصود، وكأنك قرّرته في موضع المبدل منه، وعطف البيان وما عطف عليه كل منهما مقصود))[1]. نستشف من هذا النص أن أهميته في التركيب البدلي تكمن في الركن الثاني، في حين وفي التركيب العطف البياني تكمن في الركن الأول منه وإنما ذكر الثاني إيضاحاً للأول وتفسيراً له.

ويجري السيوطي مفارقته على بقية الفصائل النحوية في الدلالة والوظيفة التي تؤديها في الإطار التركيبي، وذلك نقلاً عن ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) في ((شرح الكافية: عطف البيان يجري مجرى النعت في تكميل متبوعه، ويفارقه في أن تكميله متبوعه بشرحٍ وتبيين، لا بدلالة على معنىً في المتبوع أوسببية، ومجرى التأكيد في تقوية دلالته، ويفارقه في أنه لا يرفع توهّم مجاز. ومجرى البدل في صلاحيته للاستقلال، ويفارقه في أنه غير منويّ الاطراح))[2]. ويستدلّ السيوطي بقوله تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾[3]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ ﴾[4].

ويرصد دلالة المدح للتركيب البياني المحتوى على فصيلة عطف البيان مع تنافي دلالته الأصلية التي تأتي للإيضاح، منه قوله جل ثناؤه: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ﴾[5]، موضحاً أن ((البيت الحرام عطف البيان للمدح لا للإيضاح))[6].

(١) الإتقان: ٢/ ٨٦٠.

(٢) الإتقان: ٢/ ٨٦٠.

(٣) آل عمران/ ٩٧.

(٤) النور/ ٣٥.

(٥) المائدة/ ٩٧.

(٦) الإتقان: ٢/ ٨٦٠.

البدل

البدل فصيلة تابعة أخرى تحدث عنها السيوطي، وهو مصطلح بصري يقابل مصطلح الترجمة والتبيين عند الكوفيين[1]، وحدّه النحاة بأنه ((هو التابع المقصود بالحكم بلا واسطة))[2]، فلما كان هو المقصود كانت مباشرته بالعامل أولى بخلاف بقية التوابع، فإن المقصود في النعت وعطف البيان والتأكيد هو الأول، والثاني توضيح وتبيين[3]، ويتضح ذلك في قولنا:

أجتهد أخوك زيدٌ

فزيد تابع لـ(أخوك) في إعرابه، وهو المقصود بالحكم، ووظيفة المبدل منه (أخوك) في التركيب، فذكر توطئة وتمهيداً لذكر (زيد)، وهذا ما أدى ببعض النحاة إلى أن يذهبوا إلى أن عنصر البدل يحل محل عنصر المبدل منه في التركيب، وأما المبدل منه فقد سقط معنىً لا لفظاً ، ولا يقصدون بذلك أن وجود المبدل منه في فضاء التركيب لا فائدة منه، وليس له غرض، بل يقصد ((أن البدل مستقل بنفسه وأن العامل كأنما باشر البدل))[4]؛ إذ إنه ((لو كان البَدَلُ يُبطل المبدَل منه لم يجز أن تقول: زيد مررت به أبي عبد الله، لأنك لو لم تعتدّ بالهاء فقلت: زيد مررت بأبي عبد الله، كان خلفاً؛ لأنك جعلت زيداً ابتداء، ولم ترد إليه شيئاً، فالمبدل منه مثبت في الكلام. وإنما سمي البدل بدلاً لدخوله لما عمل فيه ما قبله على غير جهة الشركة... والمعنى الصحيح أن البدل والمبدل منه موجودان معاً ولم يوضعا على أن يسقط أحدهما إلا في بدل الغلط فإن المبدل منه بمنزلة ما ليس في الكلام))[5].

ويؤصل السيوطي لفصيلة البدل تأصيلاً دلالياً إثر تأصيلها تأصيلاً ظاهرياً، وذلك لإضفائها على البنى الدلالية للتراكيب طابع الوضوح والبيان والتوكيد، يمثل

---

(١) الكتاب: ٢/ ٣٨٧ ، ومعاني القرآن (الفراء): ١/ ٨، والمصطلح النحوي: ١٦٣.

(٢) شرح قطر الندى وبل الصدى: ٤١٤.

(٣) بدائع الفوائد: ٤/ ٩٦٧.

(٤) معاني النحو: ٣/ ١٧٦.

(٥) المقتضب: ٤/ ٣٩٩ – ٤٠٠.

لذلك بقولنا: (رأيت زيداً أخاك)، فعمل عنصر الاسم (أخاك) وهو تابع لما قبله على الإيضاح دلالة التركيب الفعلي (رأيت زيداً) وتوكيدها، فأفاده البيان؛ لأنك إذا قلت: (رأيت زيداً أخاك) بيّنت أنك تريد بزيد الأخ لا غير، أما إفادته للتوكيد فعلى على نية تكرار العامل[1] فيصير - في التقدير- تركيبين: رأيت زيداً، رأيت أخاك، ومن هنا جاءت وظيفة التوكيد فيه؛ ولأنه دل على ما دل عليه الأول[2]؛ إذ ((إن مسألة العامل في البدل لها علاقة وثيقة بدلالته ووظيفته))[3].

بيد أنه قد ذهب بعض المتأخرين إلى أن التركيب البدلي ليس فيه توكيد، وإن العامل غير مكرر؛ ((وإنما قد يحصل التوكيد من اجتماع البدل والمبدل منه، كأن يكون البدل دالاً على الإحاطة والشمول فيفيد معنى الجميع، أو كأن يكون الاسمان يطلقان على ذات واحدة، فيفيد اجتماعهما فضل توكيد نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾[4]))[5]. ويمكن توضيح ذلك بهذه الترسيمة:

---

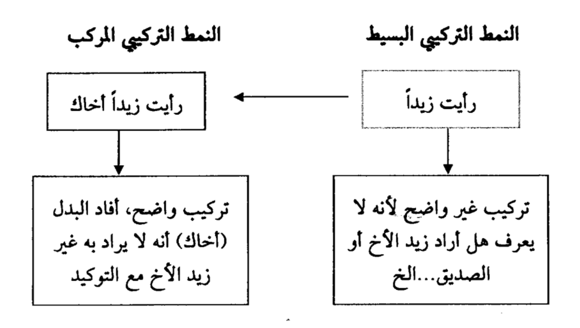
(١) الإتقان: ٢/ ٨٥٨.

(٢)الإتقان: ٢/ ٨٥٨.

(٣) التسهيل في شرح ابن عقيل: ٣/ ٢٢٢.

(٤) الأعراف/ ١٤٢.

(٥) معاني النحو: ٣/ ١٨٠ – ١٨١.



ويستقري السيوطي أنواع البدل ووظائفها الأدائية في فضاء التركيب كما يأتي:

أ- المطابق[1]: وهو ما كان البدل مطابقاً للمبدل منه في الدلالة، ولذلك سماه سيبويه (ت ١٨٠ هـ) (هوهو)[2]، ومنهم من يستحسن تسمية (بدل العين من العين)[3] ؛ لأن ((هذا البدل يجري فيما لا يقبل التبعيض والكل))[4] ، فاجتماع البدل والمبدل منه في بنية التركيب يؤدي وظيفة الإيضاح والتبيين، التي لا تؤدي بانفراد أحدهما عن الآخر. ويستشهد السيوطي لذلك بقوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾[5]،كان مدركاً أن الصراط المستقيم وصراط المنعم عليهم متطابقان معنى ؛ لأن كليهما يدلان على معنىً واحد، ونظيره في ذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ

(١) الإتقان: ٢/ ٨٥٨.
(٢) الكتاب: ١/ ١٥٠ – ١٥١ .
(٣) بدائع الفوائد: ٤/ ٩٦٧.
(٤)المصدرنفسه: ٤/ ٩٦٧.
(٥) الفاتحة/ ٦ـ٧.

لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾[1]. ويرى السيوطي أنه ليس كل بدل يراد به رفع التوهم الذي ينتاب المبدل منه، بل يراد به التأكيد قائلاً: ((وقال ابن السّيد: وليس كلّ بدل يقصد به رفع الإشكال الذي يعرض في المبدل منه، بل من البدل ما يراد به التأكيد، وإن كان ما قبله غنياً عنه، كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾ ألا ترى أنه لو لم يذكر الصراط الثاني لم يشك أحد في أن الصراط المستقيم هو صراط الله))[2].

ب- **التضمن في بدل البعض**[3]: وهو ما لم يتحدا-البدل والمبدل منه- في المفهوم، وأطلق عليه سيبويه(ت١٨٠هـ) مصطلح (شيء منه)[4]، ويستشهد السيوطي لذلك بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾[5]، فبدل (من استطاع) يراد به بعض الناس.

ج- **الاشتمال**[6]: وهو ما كان البدل شيئاً مما يشتمل عليه المبدل منه، على شرط أن لا يكون جزءاً منه، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ﴾[7]، فيرى السيوطي (النار) بدل الاشتمال من الأخدود؛ لأن الأخدود اشتمل على النار.

عطف النسق

يعد تركيب النسق تابعاً يتوسط بينه وبين متبوعه بمورفيم من مورفيمات النسق، مما يولد تركيبة متأصرة ومتعاضدة الأجزاء من جراء هذه العملية؛ ((إذ يلعب المكون النحوي دور المولد (الداينمو) في توليد العجينة أو البنية العميقة))[8].

---

(١) الشورى/ ٥٢-٥٣.

(٢) الإتقان: ٢/ ٨٥٩.

(٣) الإتقان: ٢/ ٨٥٨.

(٤) الكتاب: ١/ ١٥٠ – ١٥٤، ٣/ ١٣٢.

(٥) آل عمران/ ٩٧.

(٦) الإتقان: ٢/ ٨٥٨.

(٧) البروج/ ٤-٥.

(٨) اللغة العربية واللسانيات: ٤٢.

ويسلّط السيوطي الأضواء على البنيات التركيبية المنضوية تحت روابط العطف[1]، وتفكيكها إلى ذراتها الدلالية، والوظائف التي تؤدي هذه الروابط، وذلك تُضَم بها أجزاء الكلام بعضها إلى بعض بغية إضفاء الدلالة على أحسن هيئة وأتم صورة[2].

وكذلك يشير إلى أن الأصل في اللغة أن يعطف على اللفظ، وقد يعطف على المحل وهذا ما يسميه النحاة العطف على المعنى[3]، ويشترط في هذا النوع وإمكانية ظهوره ذلك ((المحل في الصحيح، فلا يجوز: مررت بزيد وعمراً؛ لأنه لا يجوز مررت زيداً))[4]؛ لأن العطف يكون على نية تكرار العامل و((العامل في المعطوف مقدّر في المعطوف عليه، وحرف العطف أغنى عن إعادته وناب منابه)) [5] ، ويضيف أن ((يكون الموضع بحق الأصالة، فلا يجوز: هذا الضارب زيداً وأخيه))[6]؛ لأن الوصف (اسم الفاعل) المستوفي شروط العمل لوقوعه صلة للألف واللام جارٍ مجرى الفعل[7]، لذلك يجب أن يقال: هذا الضارب زيداً وأخاه.

وصرح بنوع آخر من العطف في بنية التركيب، وسماه بـ(عطف التوهم)[8]، ويعزز لذلك بعينات كثيرة، نحو: (ليس زيداً قائماً ولا قاعدٍ)، بخفض لفظ (قاعد) عطفاً على توهم وجود الباء في خبر ليس (قائماً)؛ لأنه يكثر دخولها على خبرها، كما نجد ذلك في قول زهير[9]:

---

(١) الإتقان:١/ ٤٩٥ – ٤٩٨، ٥٠٨، ٥٢٦ – ٥٢٧، ٥٧٠ – ٥٧١، ٢/ ٨٦٠ – ٨٦١.

(٢) نحو المعاني : ٩٢.

(٣) معاني النحو: ٣/ ٢٢٩.

(٤) الإتقان: ١/ ٦٣٤.

(٥) بدائع الفوائد: ١/ ١٩٧.

(٦) الإتقان:١/ ٦٣٤.

(٧) الصرف الوافي:٨٥.

(٨) الإتقان: ١/ ٦٣٥.

(٩) ديوان زهير بن أبي سلمى: ٧٦.

بَدَا لِيَ أَنّي لَسْتُ مُدْرِكِ مَا مَضى وَلا سَابِقٍ شَيْئاً إذا كَانَ جَائِياً

ويستشهد بقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[1]، حيث قُرئ بنصب (يعقوبَ)[2]؛ ((لأنه على معنى: ووهبنا له إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب))[3].
وقد أشبع السيوطي هذا النمط التركيبي معالجة وجلاء، وذلك بإيراد شواهدقرآنية وتحليلها، وبيان قيمته الوظيفية الخلافية[4] ،حيث يعد التركيب العطفي أسلوباً بلاغياً أو تصريفاً لغوياً يكشف عن آصرة بين دلالتين من خلال صورة كلية يتحرك فيها المتعاطفان بتراسلها الخاص، وتكون مجالاً بنيوياً ذا إيحاء جديد خصب[5].

ويتضح لنا أنه ميّز بين العطف على المحل والعطف على التوهم، إذ إنّ العامل في العطف على المحل موجود وأثره مفقود، والعامل في العطف على التوهم مفقود وأثره موجود.

وعلى الرغم من كون مورفيم النسق شكلية تابعة لأبواب نحوية، فالعلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه دلالية؛ لذلك لا يكتسب مورفيم النسق معنى العطف إلا من خلال وقوعه في تركيب العطف.

وعيّن السيوطي مورفيمات النسق في تشكيل التركيب العطفي لاكتشاف خفاياها دلالية ووظيفية مرتبة فيما يأتي:-

(١) هود/ ٧١.

(٢) قراءة حمزة وابن عامر، ينظر: الحجة في القراءات السبع: ١٨٩، والعنوان: ١٠٨.

(٣) الإتقان: ١/ ٦٣٥.

(٤) الإتقان: ١/ ٦٣٥ وما بعدها.

(٥) بلاغة العطف: ٢٠٥.

الــواو

أجمع النحاة على أن المـورفيم النسـقي (الـواو) العاطفـة يفيـد مطلـق الجمـع لاشتراك المتعطافين لفظاً ودلالة، فإذا قلت: (ذهب احمد ومحمد)، فالمراد أنهمـا اشـتركا في الذهاب، فقد يحتمل ذهاب احمد قبل محمد، ويحتمل أنـه ذهـب بعـده، كمـا يحتمـل أنهما ذهبا معاً، كما أشار سيبويه(ت١٨٠هـ) بقوله: ((وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء، ولا بشيء مع شـيء، لأنـه يجـوز أن تقـول: مـررتُ بزيـدٍ وعمـرو، والمبدوء به في المرور عمرو، ويجوز أن يكون زيداً، ويجوز أن يكون المرورُ وقع عليهمـا في حالة واحدة. فالواو تجمع هذه الأشياء على هذه المعاني. فإذا سمعتَ المتكلِّم يتكلَّم بهذا أجبته على أيّها شئتَ؛ لأنهما قد جمعتا هذه الأشياء))[1].

وأومأ السيوطي إلى هـذه المسـألة قـائلاً: ((واو العطـف، وهـي لمطلـق الجمـع، فتعطف الشيء على مصاحـبه نحو قـوله تعـالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾[2]، وعلـى سابـقه نحو: ﴿أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾[3]، ولاحقه، نحـو: ﴿يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾[4]))[5].

وبين انه ينفرد بسمة تختلف عن سائر مورفيمات النسق في التحاقه ((بـ(إما)، نحـو: ﴿إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[6]، وبـ(لا) بعـد نفـي، نحـو: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ﴾[7]، وبـ(لكن) نحو: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾[8]))[9].

---

(١) الكتاب:١/ ٤٣٨.

(٢) العنكبوت/ ١٥.

(٣) الحديد/ ٢٦.

(٤) الشورى/ ٣.

(٥) الإتقان: ١/ ٥٧٠ – ٥٧١.

(٦) الإنسان/ ٣.

(٧) سبأ/ ٣٧.

(٨) الأحزاب/ ٤٠.

(٩) الإتقان: ١/ ٥٧١.

وتتميز (الواو) العاطفة بأنها تعطف العام على الخاص والعكس، وردَّ على بعضهم بإنكارها، وإنه أفرد الأول في البنى التركيبية بالذكر اهتماما بشأنه، وإضفاء دلالة التعميم[1]، ولدعم فكرته هذه استشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾[2]، مبيناً أن النسك أعم من الصلاة. وقد تعطف الخاص على العام في الإطار النسقي للتركيب لأداء دلالة التنبيه على فصله[3]، كقوله تبارك اسمه: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾[4]، فتركيب (الصلاة الوسطى) أفرد وعطف على الصلاة لانفراده بالفضل وهي صلاة العصر[5]. ويردف فيما ذهب إليه بنصوص قرآنية أخرى[6]. وسمى أبو جعفر بن الزبير هذا النمط من العطف بـ(التجريد) كأنه ((جُرِّدَ من الجملة، وأُفْرِدَ بالذكر تفضيلاً))[7].

ويشير السيوطي كذلك إلى أنه يعطف اسم على مرادفه؛ لإضفاء دلالة التوكيد، ويدلل على صحة رؤيته هذه بالاستشهاد بآيات قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[9]، مقراً أن اجتماع المترادفات في البنى التركيبية الواحدة يؤدي معنى زائداً، وهو التوكيد، ولا يحصل هذا المعنى عند انفرادهما، فكثرة الألفاظ تفيد زيادة المعنى[10]. فإن التركيب النسقي (المعطوف والمعطوف عليه) لا يؤدي الغرض المتوخي إلا باجتماع المترادفين المتصلين واحتسابهما هيئة تركيبية واحدة منبثقة من بنية دلالية مركبة .

(١) الإتقان:١/ ٥٧١، ٢/ ٨٦٢.

(٢) الأنعام/ ١٦٢.

(٣) الإتقان: ٢/ ٨٦٣.

(٤) البقرة/ ٢٣٨.

(٥) الكشاف: ١/ ١٤٦.

(٦) الإتقان: ١/ ٥٧١، ٢/ ٨٦١.

(٧) الإتقان: ٢/ ٨٦١.

(٨) يوسف/ ٨٦.

(٩) طه/ ١١٢.

(١٠) الإتقان: ٢/ ٨٦١.

ويختص مورفيم (الواو) بعطف الاسم المجرور على الجوار[1]، نحو قوله تبارك اسمه: ﴿بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾[2]، محللاً إياه بأنه جر (المعطوف) لمجاورة (رؤوسكم) المجرورة، ولكن اللغويين المتأخرين يرفضون مبدأ (الخفض بالمجاورة)؛ لأن مورفيم النسق يمنع هذه المجاورة المزعومة. وعلى هذا يكون تقديره ما يوجب الغسل فكأنه على تقدير (وأرجلكم غسلاً)[3].

الفـــاء

صرّح السيوطي أن التركيب العطفي المكون من مورفيم (الفاء) يؤدي وظيفة الترتيب[4]، والمراد به أن المعطوف به تالٍ لما قبله[5]، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾[6]، مبيناً أنه أفاد الترتيب المعنوي، فيكون المعطوف لاحقاً للمعطوف عليه من غير مهلة زمنية بينهما.

وقد يفيد الترتيب الذكرى إذا كان العطف مفصلاً على مجمل، ويستدل بقوله تعالى: ﴿سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[7]، فتركيب (أرنا الله جهرة) تفصيل لتركيب (سألوا موسى أكبر من ذلك)، فالسؤال مجمل بينه بتركيب (أرنا الله جهرة).

وردّ السيوطي على الفراء (ت ٢٠٧هـ)[8] بإنكاره لهذا النوع، واحتج بقوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾[9]، وأجاب أن المراد (أردنا اهلاكها)[10]، إذ دخلت

(١) الإتقان: ١/ ٥٧١.

(٢) المائدة/ ٦.

(٣) التوابع من خلال القرآن الكريم: ٩٠.

(٤) الإتقان: ١/ ٥٢٦.

(٥) معاني النحو:٣/ ٢٠١.

(٦) القصص/ ١٥.

(٧) النساء/ ١٥٣.

(٨) معاني القرآن (الفرّاء): ١/ ٢٧١-٢٧٢.

(٩) الأعراف/ ٤.

(١٠) الإتقان: ١/ ٥٢٦.

(الفاء) لترتيب اللفظ؛ لأن ((الهلاك يجب تقديمه في الذكر، لأن الاهتمام بـه أولى، وإن كان مجيء البأس قبله في الوجود))[1].

فمكون (الفـاء) الـداخل في التركيـب قـد يعطـى دلالـة التعقيـب، أي وقـوع المعطوف بعد المعطوف عليه بغير مهلة أو بمدة قريبة بحسب ما يقتضـيه الحـال، بخـلاف التراخي الذي بينهما مهلة زمنية، بقوله: ((التعقيب، وهو في كل شيء بحسبه، وبـذلك ينفصل عن التراخي))[2]. ويستدل بقوله عز وجل: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾[3]، فأفاد الربط بين التركيبين بإخراج الثمرات وأن خضرة الأرض لا تعقب نزول الماء مباشرةً بل بينهما مهلة ومدة.

ولمورفيم (الفاء) دلالة أخرى وهي المُسَبِّب[4]، ويكثر هذا النمط في التركيـب، ويستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾[5]، إذ يعطـف تركيـب (فقضـى عليه) على تركيب (وكزه موسى)، والعلاقة بين التركيبين المتعـاطفين سـببية، كـذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[6].

فالفاء العاطفة لا تدل على السبب دوماً[7]، كما في قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾[8].

ثُـــمَّ

يدخل مورفيم العطـف (ثـم) في الهيكـل النظمـي للتركيـب، ويضـفي دلالـة التراخي، ويتخذ الاشتراك في الحكم، فمسألة التشـريك في الحكـم يـدور بشـأن فكـرة

---

(١) بدائع الفوائد: ١/ ١٩٨.

(٢) الإتقان: ١/ ٥٢٦.

(٣) الحج/ ٦٣.

(٤) الإتقان: ١/ ٥٢٧.

(٥) القصص/ ١٥.

(٦) البقرة/ ٣٧.

(٧) معاني النحو: ٣/ ٢٠٥.

(٨) الذاريات/ ٢٦ ـ ٢٧.

الإسناد، وإثبات العلاقة المنطقية بين المسند والمسند إليه في بنية التركيب، مع أن هذه المسألة لا تتصل بالهيئة المنطقية للتركيب في كل حال بقدر ما تتصل بإيحائها الفني والجمالي[1].

وتطرق السيوطي إلى هذه الداخلة التركيبية مبيناً تأثيراتها السياقية والدلالية في مضمون التركيب، بقوله: ((ثم حرف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة، وفي كل خلاف، أما التشريك فزعم الكوفيون والأخفش: أنه قد يتخلّف بأن تقع زائدة، فلا تكون عاطفة البتّة ، وخرجوا على ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾[2]))[3]،إذ ذهب السيوطي بتقدير جواب الشرط بقوله: ((وأجيب بأن الجواب فيها المقدر))[4] على أنه: (رحمهم الله وغفر لهم)، ثم عطف على هذا الجواب المحذوف فقال: (ثم تاب عليهم) على أساس أن (ثم) عاطفة وليست زائدة.

وذهب كثير من العلماء إلى أن مسألة التشريك في الحكم في التركيب العطفي متصلة بمنطق الإسناد أكثر مما تتصل بالإيحاء الجمالي والتركيب البلاغي كما أشرنا، ولذلك لم يستطيعوا الخلاص من بعض المشكلات الأسلوبية التي واجهتهم في التراكيب القرآنية التي تتضمن عطفاً، ولا يخضع في الوقت نفسه لمنطقهم النحوي في معنى التشريك المطلق في الحكم ، من أجل ذلك لجؤوا إلى التقدير والحذف والقول بالزيادة[5].

وفي دلالة الترتيب ردّ السيوطي على قوم في عدم اقتضائها الترتيب واستدلوا بقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[6]، فإن خلق الزوج

---

(١) بلاغة العطف: ٥٩.

(٢) التوبة/ ١١٨.

(٣) الإتقان: ١/ ٥٠٨.

(٤) الإتقان: ١/ ٥٠٨.

(٥) بلاغة العطف: ٦٢ – ٦٣.

(٦) الزمر/ ٦.

ليس بعد خلقهم من نفس واحدة، وقوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ﴾[1]، فخلق الإنسان وجوداً مقدم على جعل نسل آدم -عليه السلام- وكلاهما مؤخر عن خلق الإنسان الذي هو آدم (من طين) ولكن حسن تقديم (ثم جعل نسله من سلالة) لما فيه من الترتيب؛ لأن مقصود السياق خلق الأصليين في الأصل، (ثم) الفرع في آدم وذريته على الترتيب، ثم ذكر بعد ذلك ما يتعلق بآدم من جهة أخرى[2]؛ وذلك لأن: ((ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الحكم))[3]، ولهذا جاء بهذا الأسلوب ؛لأن ((خلق حواء من آدم لم تجر العادة بمثله فجيءَ بـ(ثم) إيذاناً بترتيبه وتراخيه في الإعجاب وظهور القدرة لا لترتيب الزمان وتراخيه))[4].

ثم حدد السيوطي وظيفة عنصر المعطوف بمورفيم (ثم) مجرى العنصر المعطوف مورفيمي (الفاء ، والواو)، بقوله: ((أجرى الكوفيون (ثم) مجرى الفاء والواو في جواز نصب المضارع المقرون بها بعد فعل الشرط ، وخرّج عليه قراءة الحسن * بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾[5] ، بنصب (يدركه)))[6].

---

(١) السجدة/ ٧ – ٩.

(٢) البرهان الكاشف في إعجاز القرآن: ٢١٨.

(٣) الإتقان: ١/ ٥٠٨.

(٤) التوابع من خلال القرآن الكريم: ١٠٨.

* قراءة الحسن بن أبي الحسن. ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٢/ ١٥٧.

(٥) النساء/ ١٠٠.

(٦) الإتقان: ١/ ٥٠٨.

نصّ السيوطي بصدد دلالات مورفيم (أو) العاطفة في التركيب العطفي، وأنه لم يصرح به المتقدمون، بل قالوا: هو لأحد الشيئين أو الأشياء[1]. ومن هذه الدلالات المصفوفة من مورفيم (أو) في بنية التركيب هي:-

الأول: الشك[2]/ إذا كان المتكلم شاكاً في الأمر، نحو قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾[3]، إذ لم يعرفوا عدد الأيام.

الثاني: الإبهام[4]/ إذا كان المتكلم عالماً بالأمر ولكن يُبهمه على السامع، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[5]، مدركاً بعطف (إياكم) على اسم (إن)، وأنه أبهم على السامع بعد علم المتكلم بحقيقة الأمر المعين، فهم يعلمون من هو الضال ومن هو المهتدى ولكنهم يُبهمون[6].

الثالث: التخيير/ ويعين وظيفة (أو) العاطفة بارتكازها على التخيير بين المعطوفين ويمتنع الجمع بينهما[7]. وفات السيوطي بأنه يقتضي وقوعها بعد التركيب الطلبي الذي أومأ إليه ابن هشام قبله[8](ت ٧٦١هـ)، واستشهد بقوله تعالى: ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾[9]، وقوله: ﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[10].

(١) لتوكيد فيما يصرح به ينظر: الكتاب: ٣/ ٤٦ – ٥١، ١٦٩، ١٧٩ – ١٨٧، ٢٦١، ٤/ ٢٢٠، والمقتضب: ٢/ ٢٨ – ٢٩، ودلائل الأعجاز، ٢٢٤.

(٢) الإتقان: ١ / ٤٩٥.

(٣) المؤمنون/ ١١٣.

(٤) الإتقان: ١ / ٤٩٦.

(٥) سبا/ ٢٤.

(٦) التوابع من خلال القرآن الكريم: ١١٢.

(٧) الإتقان: ١/ ٤٩٦.

(٨) مغنى اللبيب: ٨٧.

(٩) البقرة/ ١٩٦.

(١٠) المائدة/ ٨٩.

وذهب بعض إلى أن الجمع بين المتعاطفين غير ممتنع في هذه الآية، ويرد عليهم السيوطي يستعين بقول ابن هشام (ت ٧٦١هـ)[١]، بقوله: ((وأجاب ابن هشام: بأنه ممتنع بالنسبة إلى وقوع كل كفارة أو فدية، بل يقع واحد منهن كفارة أو فدية، والباقي قربة مستقلة خارجة عن ذلك))[٢]. ولتوضيح ذلك استشهد بقوله تعالى: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾[٣]، مفسراً أنه ((على قول من جعل الخيرة في ذلك إلى الإمام، فإنه يمتنع عليه الجمع بين هذه الأمور، بل بفعل منهما واحداً يؤدي اجتهاده إليه))[٤].

أما دلالة الإباحة فلا يمتنع فيها الجمع بين المتعاطفين، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ﴾[٥].وإذا ورد مورفيم (أو) العاطفة في تركيب النفي امتنع الجمع، بقوله: ((قال أبو البقاء: (أو) في النهي نقيضة (أو) الإباحة، فيجب اجتناب الأمرين، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾[٦]، فلا يجوز فعل أحدهما، فلو جمع بينهما كان فعلاً للمنهي عنه مرتين؛ لأن كل واحد منهما أحدهما))[٧].

الرابع: الإضراب/ يتأتى مورفيم (أو) في الهيكل التركيبي مؤدياً وظيفة (بل) في إضفاء دلالة الإضراب وخرّج عليه قوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾[٨]، أي بل يزيدون، فهو يتابع الفراء (ت ٢٠٧هـ)[٩] في دلالة الإضراب، في حين يذهب بعض اللغويين المتأخرين إلى ((أن أقرب دلالة إليها في الآية الكريمة أنها على بابها من التخيير والترديد، والأمر بعد هذا يصور حال الناظر، فإن الله تعالى يعلم الشيء

(١) مغني اللبيب: ٨٨.
(٢) الإتقان: ١/ ٤٩٦.
(٣) المائدة/ ٣٣.
(٤) الإتقان: ١ / ٤٩٦.
(٥) النور/ ٦١.
(٦) الإنسان/ ٢٤.
(٧) الإتقان: ١/ ٤٩٨.
(٨) الصافات:١٤٧.
(٩) معاني القرآن: ٢/ ٣٩٣.

على ما هو عليه من عدد وعدّة، ولا يتصوّر عليه سبحانه شك أو تردد ولا يتصور عليه إرادة إبهام، فهؤلاء القوم المرسل إليهم من الكثرة بحيث يقول الناظر فيهم إنهم مائة ألف أو أكثر))[1]. ويدلل فيما ذهب إليه بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾[2].

الخامس: مطلق الجمع/ وقد يحوي مورفيم (أو) دلالة (العطف) في أداء وظيفة العطف للهيكل البنيوي للتركيب العربي، وذلك في أداء وظيفة مطلق الجمع[3]، كالواو، ويسوق السيوطي لهذه الرؤية الآية القرآنية: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[4]، غير أن د. فاضل السامرائي يرى أنها ليست كالواو تماماً، ((بل هي لأحد الشيئين أو الأشياء أيضاً، وليست للجمع، فقوله صلى الله عليه وسلم: (أسْكُنْ حَراء فما عَلِيكَ إلاّ نبيّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ)[5]، ليست (أو) فيه بمعنَى الواو وانما هي لأحد الأشياء ومعناه واحد نبي واحد صديق وواحد شهيد، ولو قيل بالواو لاحتمل التعبير أنه شخص واحد، اجتمعت فيه هذه الصفات، كقولك هو شاعر وكاتب وفقيه، ثم إن المعنى بـ(أو) أن عليك إما نبياً وإما صديقاً وإما شهيداً، وكل واحد من هؤلاء له من الفضل والشرف ما ينبغي أن تسكن له، والواو يحتمل المعنى أن السكون ينبغي أن يكون لاجتماع الثلاثة))[6].

السادس: التفصيل بعد الإجمال[7]/ يرصد دلالة التفصيل والتفسير للتركيب النسقي المحتوي على مورفيم (أو)، الذي استشهد له بقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾[8].

---

(١) التوابع من خلال القرآن الكريم: ١١٥ – ١١٦.

(٢) النحل/ ٧٧.

(٣) الإتقان: ١ / ٤٩٦.

(٤) طه/ ٤٤.

(٥) صحيح مسلم: ٨/ ١٨٦.

(٦) معاني النحو: ٣/ ٢٢١.

(٧) الإتقان: ١/ ٤٩٦.

(٨) البقرة/ ١٣٥.

السابع: عالج السيوطي في سياق التركيب العطفي تأثير المورفيم (أو) في عنصر المعطوف في حكمه النحوي، وذلك إذا أتى الفعل مضارعاً فنصبه بـ(أن) المضمرة الذي يكتسب من هذا السياق سمة دلالية (إلا) الاستثناء أو (إلى)، مستشهداً لـذلك بقولـه تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾[1]، معللاً : ((فقيل: إنه منصوب لا مجزوم بالعطف على (تمسوهنَّ)، لئلا يصير المعنى: لا جناح عليكم فيما يتعلق بمهور النساء إن طلقتموهنّ في مدة انتفاء أحد هذين الأمرين. مع أنه إذا انتفى الفرض من دون المسيس لـزم مهـر المثل، وإذا انتفى المسيس[*] مـن دون الفرض لزم نصف المسمى، فكيف يصح دفع الجناح عند انتفاء أحـد الأمـرين؟! ولأن المطلقات المفروض لهن قد ذكرن ثانياً بقوله: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ ﴾[2]، وترك ذكر الممسوسات لما تقدم من المفهوم، ولو كانت (تفرضوا) مجزوماً لكانت الممسوسات والمفروض لهن مستويات في الذكر، وإذا قدرت (أو) بمعنى (إلاّ) خرجت المفروض لهن عن مشاركة الممسوسات في الذكر، وكذا قـدرت بمعنى (إلى) وتكون غاية لنفي الجناح لا لنفي المسيس))[3].

بهذا يثبت السيوطي أن المواقف السياقية والمقامية تؤثر في تعيين السمات الدلالية للتراكيب النسقية التي لها تداعيات خاصة في المسلك التداولي التي ترتبط ارتباطا وثيقاً بالسمات اللغوية (**Linguistic Features**)، ومتغيرات الموقف (**Situation Variables**) بحيث ((تكون السمات اللغوية مطابقة لمتغيرات الموقف))[4].

---

(١) البقرة/ ٢٣٦.

(*) مسس: مَسِستُهُ، بالكسر، أمسُّه مسّه مسّاً ومسيساً : لَمَستُه، هذه اللغة الفصيحة، وأمسسته الشيء فمسّه... والمسيس: المسُّ..... والمسُّ : مسك الشيء بيدك . ويقال : مسست الشيء أمسّه مسّاً إذا لمسته بيدك، ثم استعير للأخذ والضرب لأنها باليد ، واستعير للجماع لأنـه لمس . لسان العرب مادة (مسّ): ٦/ ٢١٧ - ٢١٨.

(٢) البقرة/ ٢٣٧.

(٣) الإتقان: ١/ ٤٩٧.

(٤) اللغة والإبداع: ٤٧.

أم

لا تقتصر التراكيب العطفية على هذه المورفيمات العطفية المذكورة فحسب، وإنما تنجم عن التركيب المنضوي على مورفيم (أم)، وقد أومأ السيّوطي إليه وصنفه على ضربين:-

الأول: أم المتصلة:

ينصّ السيوطي أن هناك أواصر قوية بين البنى التركيبية إذ إن ((ما قبلها وما بعدها لا يستغني أحدهما عن الآخر))[1]، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾[2]، موضحاً أن (أم) تؤدي وظيفة التسوية لمعادلتها همزة الاستفهام دون (هل) و(متى) و(كيف)؛ لأن ((الهمزة هي أم الباب والسؤال بها استفهام بسيط مطلق غير مقيد بوقت ولا حال، والسؤال بغيرها استفهام مركب مقيد إما بوقت كـ(متى) ، وإما بمكان كـ(أين)، وإما بحال نحو (كيف)، وإما بنسبة، نحو: هل زيد عندك؟ ولهذا لا يقال: (كيف زيد أم عمرو)، ولا: (أين زيد أم عمرو)، ولا: (من زيد أم عمرو)))[3]، ويقتضي أن يتقدم على مورفيم (أم) التركيب الخبري مسبوقاً بهمزة التسوية، والتركيب الذي يقع بعده لا يحتاج جواباً؛ ((لأن المعنى معها ليس على الاستفهام، وإن الكلام معها قابل للتصديق والتكذيب لأنه خبر))[4].

ولا تقع (أم) المتصلة إلا بين تركيبين مؤولين منفردين، وقد يكون هذان التركيبان اسميين أو فعليين ، أو مختلفين ، نحو قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾[5].

---

(١)الإتقان: ١/ ٤٨٤.

(٢) البقرة/ ٦.

(٣) بدائع الفوائد: ١ / ٢٠٥.

(٤) الإتقان: ١/ ٤٨٤.

(٥) الأعراف/ ١٩٣.

وقد يتقدم عليها التركيب الاستفهامي المنضوي على همزة يطلب بها وبمورفيم (أم) وظيفة التعيين[1]، يردف فيما يشير إليه بقوله تعالى: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[2]، والمراد به أيهما حرم؟ لذلك تقتضي جواباً لتعيين الحرم منهما؛ لأن الاستفهام معها على حقيقته، وهذه تقع غالباً بين مفردين، نحو قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾[3]، ويكون ذلك بصورة أقل منه فيما بين تركيبين ليسا في تأويل المفرد[4].

الثاني: أم المنقطعة:

وتقع بين تركيبين مستقلين وتفيد الإضراب عن التركيب الأول، وتحوي دلالة (بل) والهمزة استفهامية في الغالب[5]، والتفت السيوطي إلى السياق القرآني الذي ورد فيه نمط التركيب العطفي حاملاً دلالة ((أم المنقطعة التى لا يفارقها – الإضراب، ثم تارة تكون له مجرداً، وتارة تضمن مع ذلك استفهاماً إنكارياً))[6].ولا يكتفي السيوطي بذلك، وإنما يفرِّع هذا التركيب العطفي إلى أصناف مختلفة ويتوغل في توجيه صيرورتها الدلالية، وهي:

- أن يسبق (أم) المنقطعة التركيب الخبري المحض[7]، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾[8]، متفطناً إلى أن البنية العميقة لتركيب هذه الآية هي (بل يقولون افتراه)، فجاء الاستفهام بـ(أم) وللتقرير بـ(بل)[9].

---

(١) الإتقان: ١/ ٤٨٤.

(٢) الأنعام/ ١٤٤.

(٣) النازعات/ ٢٧.

(٤) الإتقان: ١/ ٤٨٤.

(٥) معاني النحو: ٣/ ٢١٤ .

(٦) الإتقان: ١/ ٤٨٥.

(٧) الإتقان: ١/ ٤٨٥.

(٨) السجدة/ ٢ – ٣.

(٩) معاني النحو: ٣/ ٢١٧.

- ويسبقه التركيب المنظوي على الهمزة ولا تدل دلالة الاستفهام، نحو قوله تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ﴾[1]، مفسراً أن ((الهمزة في ذلك للإنكار، فهي بمنزلة النفي))[2].

- وقد يتقدم عليها التركيب الاستفهامي بغير الهمزة، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾[3]، موضحاً أنه أفاد مورفيم (أم) منقطعة هنا دلالة الإضراب (بل) فقط من دون الاستفهام؛ ذلك ((لأنه لا يدخل الاستفهام على استفهام))[4].

وقد تحتمل (أم) أن تكون متصلة أو منقطعة، قائلاً: ((قال الزمخشري: يجوز في أم أن تكون معادلة، بمعنى: أي الأمرين كائن؟ على سبيل التقرير لحصول العلم تكون أحدهما، ويجوز أن تكون منقطعة))[5]. كما يلحظ في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[6] ويستمر السيوطي في تعداد المورفيمات الناسقة منها (بل، حتى، لا) ومشيراً على أنهما لم يقعا في القرآن الكريم[7]. أما مورفيم (لكن) فيرد عاطفاً ويؤدي دلالة الاستدراك في هيكل التركيب العطفي إذا تلاه المفرد[8]، ويسوق لذلك آيات قرآنية منها، قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ ﴾[9]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ ﴾[10].

---

(١) الأعراف/ ١٩٥.

(٢) الإتقان: ١/ ٤٨٥.

(٣) الرعد/ ١٦.

(٤) الإتقان: ١/ ٤٨٥.

(٥) الإتقان: ١/ ٤٨٥.

(٦) البقرة/ ٨٠.

(٧) الإتقان: ١/ ٥٠٦، ٥١٢، ٥٤٤.

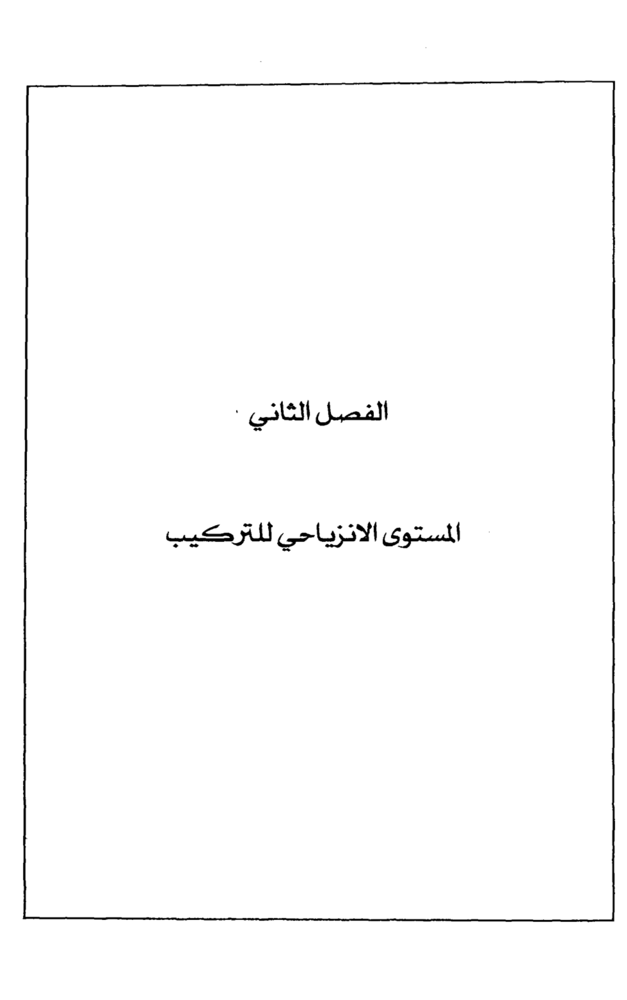
(٨) الإتقان: ١/ ٥٤٨.

(٩) النساء: ١٦٦.

(١٠) آل عمران/ ١٩٨.

نستدل مما سبق ذكره أن السيوطي أدرك أن دلالات الفصائل النحوية تتكفّل عملية انعقاد نظام لغوي منسق بين التراكيب، بحيث تأخذ الوحدات اللغوية والتراكيب بانضمام بعضها ببعض وتتآزر دلالتها، كأنها أمر حدث في قالب واحد، وتعرّف هذه العلاقة المعنوية الرابطة بين التراكيب في مثل هذه المواضع في الدرس اللغوي الحديث بـ(كمال الاتصال)[1].

(١) علم المعاني (عتيق): ١٧٧، وعلوم البلاغة: ١٥٣، ومن بلاغة النظم العربي: ١٨١، ونحو المعاني: ٩٨.



الفصل الثاني

المستوى الانزياحي للتركيب

الفصل الثاني

المستوى الانزياحي للتركيب

الانزياح المَوضعي

الانزياح الاختِزالي

الانزياح التَوسُعي

الانزياح الاستبدالي

الانزياح البَياني

الفصل الثاني

المستوى الانزياحي للتركيب

سبق القول إنّ ذكرنا أن للتراكيب أصلاً وهو نمطها المكون من ركني الإسناد، وقد يلحق بهذا النمط من الفضلات ما يكمل معناه، وعرفنا أن الأصل في التركيب الإفادة، إذ إن اللغة في نسقها المثالي ((ما هي إلا ثمرة ترابط بين ما يقول به النحاة وما يقول به اللغويون))[1]، ولكن يطرأ الانزياح في هذا النمط من التحويلات والتغييرات كالحذف والتقديم والتأخير والإستبدال والإضافة وغير ذلك من الظواهر التي يتميز بها الخطاب الإبداعي، وهذه الظواهر هي التي تسهم في منح التركيب اللغوي الخصوصية الجمالية، إذ إن للانزياح والازرار عن الإستعمال العادي غرضه الجمالي[2] من حيث كونه ظلالا لونية تمتلك مقومات الخصوصية الجمالية.

وتسمى هذه الظواهر التي تطرأ على النمط الأصلي في الدراسات الحديثة بـ(الانزياح) وهي ترجمة حرفية للمصطلح الفرنسي (Ecart) التي تقابل مفهوم (التجاوز) و (العدول) عند البلاغيين العرب[3]، والانزياح مصدر للفعل المطاوع (انزاح) أي ذهب وتباعد، الذي له ملامح دلالية من (الحركة، والانتقال، وإبعاد الشيء عن موضع محدد)[4]، والانزياح أكثر انتشاراً في الدراسات الأدبية مقارنة بمصطلحي (الانحراف والعدول) ، وذلك ((تفادياً للايحاء الأخلاقي المقصود المستثمر في كلمة

(١) نقد الشعر: ٥٣.

(٢) نظرية الأدب (أوستن وارين ورينيه ويليك): ٢٥٩.

(٣) الخصائص: ١/ ٢١٤، ٣٠٩-٣١٠، والمثل السائر: ٢/ ٧١، والإيضاح: ٢٢٩، والاسلوبية والاسلوب: ١٦٢ – ١٦٣، والأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ١٤٦.

(٤) الدلالة والحركة: ٣٣٣.

(إنحراف)))[1]. لذلك فإن أهمية ظاهرة الانزياح في التركيب اللغوي تكمن في جانبين هما:-

١. **الجانب الشكلي:** وهذا ما أومأ إليه الأسلوبيون ((أنه كلّما تُصرّف مستعمل في هياكل دلالاتها أو أشكال تراكيبها بما يخرج عن المألوف انتقل كلامه من السمة الاخبارية الى السمة الإنشائية))[2]، ولهذا كان كسر نمطية التركيب ظاهرة اسلوبية تدل على مقدار الانزياح المبدع عن الأصل؛ لأن ((أهم العناصر الخاصة بالقول الجمالي هو أن يكسر نظام الإمكانات اللغوية الذي يهدف إلى نقل المعاني العادية، ويهدف هذا الكسر بالذات إلى زيادة عدد الدلالات الممكنة))[3]، وبهذا المفهوم فالانزياح أحد أشكال التنوع الاسلوبي (**stylistic variation**)[4].

٢. **الجانب الدلالي:** ويتمثل في ان الانزياح ((يحقق على المستوى الدلالي تحويلاً دلالياً، لأن الخطاب الأدبي يقلص استخدام اللغة من حيث هي مكونات دلالية ونظام سيميائي بالدرجة الأولى))[5]، ولكونه مظهراً من مظاهر الاقتدار الفني من خلال عملية الانتقاء التي تتوخى من ورائها غاية معنوية، فتحول الدلالة من المعنى الموضعي إلى المعنى الايحائي. لذا يعد ((بمثابة المحرك لتحولات النص من سكون البنية إلى فضاء الأسلوب، ومن حيز التقريرية إلى حيز كل من التعبير فالتصوير فالترميز))[6].

لذلك فإن هذه الظواهر إلى جانب كونها تميزاً للخطاب الأدبي فلها أثر جمالي كبير يسهم في لفت إنتباه المتلقي، ومن ثمة التأثير فيه وتوصيل الرسالة التي يريدها إلى المخاطب.

---

(١) الانزياح في منظور الدراسات الاسلوبية: ١.

(٢) الاسلوبية والاسلوب: ١٦٣.

(٣) نظرية البنائية: ٣٧٥.

(٤) وينظر: من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم:١٠٧, Language and Linguistics: 290-291

(٥) شعرية الخطاب الأدبي: ٣.

(٦) مدخل إلى بنية اللغة الشعرية: ٤١.

وقد فطن السيوطي إلى أهمية هذه الظاهرة الاسلوبية وأثرها في إثـراء الرصـيد الدلالي واختزال الهيكل التركيبي للجملة، واسـتعان لـذلك بنصـوص قرآنيـة لتحليـل التراكيب وتوصيفه للبناء الخارجي والـداخلي لمعرفـة كيفيـة اختيـار أنسـب المكونـات الاسلوبية والأنظمة التركيبيـة في عمليـة الاتصـال اللغـوي، وتتضـح صـحة ذلـك في معالجته لأبرز الانزياحات التركيبية.

الانزياح الموضعي

يشمل هذا النمط من الانزياح ظاهرة التقديم والتأخير ويراد به التغييرات التي تطرأ على التسلسل الموضعي للمكونات اللغوية على مدار الخط الأفقي، وظاهرة التقديم والتأخير التي تقع في بؤرة الظواهر الاسلوبية الدائرة في فضاء التركيب ، وتكتسب هذه الظاهرة أهمية خاصة؛ لأنها تخضع في كل لغة للطابع الخاص بها فيما يتعلق بترتيب الأجزاء داخل التركيب[1].

وهو مظهر من المظاهر الاسلوبية التي تشكل قدرات بيانية وطاقات تعبيرية وإيحائية يديرها المنشيء فيسخرها تسخيراً منضبطاً للتعبير بأفكاره، ومواقع الكلمات من التركيب عظيمة المرونة كما هي شديدة الحساسية، فأي تغيير فيها يُحدث تغيراً جوهرياً في التشكيل الدلالي وألوان الحس والتأثير في النفس[2].

إن الانزياح عن تركيب نمطي يُعَد نوعاً من الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية، لذا صبّ البلاغيون عنايتهم في هذه الظاهرة ورصدوا عوارض بناء التركيب، وعدّوا التقديم أحد هذه العوارض فوضع المفردة في غير موضعها انزياح بها عن المألوف لسبب من الاسباب التي تتغير بها الدلالة تغيراً يُحتِّم لها المزية والفضيلة[3]، فالأداء الدلالي يستدعي اجراء مثل هذا التغيير الموقعي إذ ((تلعب العلاقات الموقعية... في البنية السطحية للجمل العربية دوراً مقرراً في تعيين المعنى))[4]، إذ إن النظام الترتيبي التركيبي ((يمكن مخالفته، ولكن مجرد المخالفة تنبيء عن غرض ما، وذلك الغرض هو إبراز كلمة من الكلمات لتوجيه التفات السامع إليها

(١) نظرية اللغة في النقد العربي: ٢١٥ – ٢١٦.

(٢) دلالات التراكيب: ١٧٥.

(٣) البلاغة والاسلوبية : ٢٤٨.

(٤) تشومسكي والثورة اللغوية: ١٤٣.

وتلك مسألة أسلوبية يمكن تتبعها إلى أقصى وقائعها))[1]. عليه فإن أهم العوامل المساعدة على تغيير مواقع الكلمات هي الدلالة.

فثمة بعض التراكيب النحوية التي تكون مواضع الكلمات فيها ثابتة تقديماً وتأخيراً تعرف بـ((الرتبة المحفوظة))[2]، واسناداً إلى هذا تعد قرينة الرتبة بشكل عام من الظواهر الشكلية التي يمكن بها تحديد موقع الكلمة في التراكيب اللغوية ((كما يمكن تحديد معنى الأبواب النحوية ومن ثم معرفة وظائفها))[3]؛ لأن تفكيك شفرات التركيب وتحليله يعتمد أساساً على ((موقع العنصر، وهو ثابت نسبياً في التركيب اللغوي))[4]، بحيث ((لو اختل هذا التسلسل الموضعي لاختلت الهندسة التشكيلية والمسلك اللغوي في ترتيب العناصر، وتنظيمها ضمن الفصائل التركيبية ذات الرتب المحفوظة))[5]، إذ إن هندسة التركيب العربي تحتم ترتيباً خاصاً على وفق قواعد اللغة المعمول بها وإذا اختلفت هذه الهندسة وكان هذا الاختلاف مخلاً بقوانين اللغة فإن السامع قد يضل عن مقاصد الكلام.

وتتمثل الرتب المحفوظة في رتبة الصلة مع الموصول، ورتبة الصفة مع الموصوف، وأدوات الصدارة[6]. وأومأ ابن الجني (ت ٣٩٢هـ) إلى هذا النوع من الرتب، بقوله ((لا يجوز تقديم الصلة ولا شئ منها على الموصول ولا الصفة على الموصوف...، ولا يجوز تقديم المضاف إليه على المضاف ولا شيء مما اتصل به))[7].

---

(١) اللغة (فندريس): ١٨٨، والتطور النحوي: ١٤٦.

(٢) أقسام الكلام العربي: ١٨٦، والبيان في روائع القرآن: ١/ ٦٨-٦٩.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٧، وأقسام الكلام العربي: ١٨٦.

(٤) البنى النحوية: ٧.

(٥) البحث الدلالي في كتاب سيبويه: ٢٩٩.

(٦) دور الرتبة المنزلة والموقع: ١٥.

(٧) الخصائص: ٢/ ٣٨٥ - ٣٨٧

في حين ثمة رتب في التركيب غير ثابتة وقابلة للتغيير في موقعها وهي تعرف بـ((الرتبة غير المحفوظة))[1]. التي تشكل ((مصدر الاتساع في اللغة، وتنوع الأساليب، والمعاني، والاعراب، أو هي مصدر ما يمكن أن تطلق عليه لغة الابداع، والتفنن، ونقل الكلام من مستوى اللغة المثالي إلى مستوى اللغة الابداعي، التي يتفاوت المتكلمون في استخدامها كأساليب للتعبير عن مكوناتهم))[2]، لذلك فإن (الالتزام الرتبي بين الألفاظ أمر مسلم به داخل تركيب منطق علماء النحو، بيد أن الاخلال به -أحياناً- لا يعني بالضرورة وقوع الباتّ في المحضور اللغوي؛ لأن هذا الانزياح عن الأصل الموضوع للرتبة تقتضيه دلالات نحوية))[3].

وقد وصف فندريس القيمة الفنية أو الاسلوبية لهذا الانزياح بإنه ((في غاية الدقة ويتطلب حساً لغوياً مدرباً ولطفاً عالياً في الذوق الأدبي، يضاف إليها معرفة نادرة بالظروف الفيلولوجية للغة المدروسة))[4].

إذن هذه الظاهرة تأتي في هذا الاطار النظمي، وتحدث تغييراً في هيئة التركيب بمقتضى قواعد تحويلية لتحقيق غرض دلالي جديد إذ إن ((أي تعديل في نظام ترتيب الكلمات في التركيب يحدث تغييراً في المعنى))[5]

لذا كان الانزياح الموضعي من أهم المظاهر النحوية التي عُنِيَ بها النحاة واللغويون، ولم يغفل القدماء[6] أهمية هذه الظاهرة المنزاحة ووقفوا عليها، ومنهم

---

(١) أقسام الكلام العربي: ١٨٨، والبيان في روائع القرآن ١/ ٦٩.

(٢) دور الرتبة المنزلة والموقع: ١٦.

(٣) الاتساق في قصص القرآن الكريم: ٩٠.

(٤) اللغة (فندريس): ١٨٨ ، ونظرية اللغة في النقد العربي: ٢١٦.

(5) Discovering Grammar:5.

(٦) الكتاب: ٢/ ١٢٧، ومعاني القرآن (الفراء): ١/ ٢٣٨، ٢/ ١٩٥، ومجاز القرآن: ١/ ٢٠، ١٧٣، ١٨٥، ٢/ ١٥٤، ومعاني القرآن (الأخفش): ٢/ ٥٢٠ – ٥٢٢، وتأويل مشكل القرآن: ٢٠، ٢٠٥، ٢٠٨، والمقتضب: ٣/ ٩٥ – ٩٦، والكامل: ١/ ٢٨، والواضح: ١٧٩، والخصائص: ١/ ٢٩٣ – ٢٩٩، ٢/ ٣٨٢ –٢٩١، والصاحبي: ٢٤٦ – ٢٤٧، وفقه اللغة: ٣٠٢ – ٣٠٣، وأمالي المرتضى: ١/ ٥٤، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٨١، والعمدة: ١/ ٢٦٠ – ٢٦١، وتفسير التبيان: ٢/ ١١، ١٩٦، وسر الفصاحة: ١٠١ – ١٠٨.

صاحبنا السيوطي الذي أدخله ضمن اسلوب المجاز، قائلاً ((عدّه قومٌ من المجاز؛ لأن تقديم ما رتبته التأخير -كالمفعول- وتأخير ما رتبته التقديم - كالفاعل- نقل لكل واحدٍ منهما عن مرتبته وحقه))[1]. ويؤكد قولهم ويدخله ضمن باب المجاز، وذلك في أثناء تعريفه للحقيقة بقوله: ((وهي كل لفظ بقي على موضوعه، ولا تقديم فيه ولا تأخير))[2].ففي كلامه هذا إشارة واضحة إلى إن التقديم والتأخير يدخل ضمن دائرة المجاز؛ لأنه نوع من الخروج عن الحقيقة.

وللسيوطي في الإتقان وقفات تناولت ظاهرة التقديم والتأخير، وإن كانت قليلة إذا ما قورنت بوقفاته التي تناولت الظواهر النحوية، ويمكن بيان جهوده في هذه الظاهرة في الصفحات الآتية.

وقد التفت السيوطي إلى هذا الإجراء الألسني موضحاً الأسرار الدلالية والوظيفية التي تقف وراء هذا السلوك الانزياحي، فجعله على قسمين:

الأول/ تقديم المعمول على عامله:

ويشمل تقديم عنصر الفاعل على فعله، وتقديم عنصر المفعول على فعله، وتقديم الخبر على المبتدأ، إذ لمح فيه الدلالات المختلفة التي تحصل من تغيير نظام التركيبة الأساسية والموقعية التي عليها مكوناتها بقوله: ((ما أشكل معناه بحسب الظاهر، فلما عرف أنه من باب التقديم والتأخير اتّضح))[3].

وكانت دراسة السيوطي للتقديم والتأخير تعتمد على أقوال من سبقه، لذا ساق كلامه بكلمة (يقال).

---

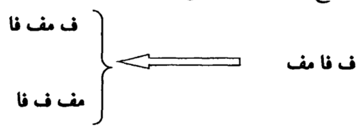
(١) الإتقان: ٢/ ٧٧١.

(٢) الإتقان: ٢/ ٧٥٣.

(٣) الإتقان: ٢/ ٦٧١.

تقديم المفعول

المألوف أن يتصدر الفعل في الإطار النسقي للتراكيب الفعلية النمطية المتمثلة بـ(ف، فا، مف)، وبمقتضى قواعد التحويل يُنقَل المفعول إلى مقدمة الفعل إو الفاعل، ويمكن توضيح ذلك بهذا التحليل(*):



لقد حاول معظم العلماء التدليل على اختلاف الدلالات باختلاف التراكيب لهذه الظاهرة مع بيان الفروق الدقيقة بين تراكيب، مثل: (ضربت زيداً) و (زيداً ضربت) و (ضرب زيداً عبدالله) و (زيداً ضرب عبدالله) وفسروا اسلوب التقديم على أنه تركيز العناية واهتمام بالعنصر المقدم؛ لأن ((المقدم بؤرة التعبير))[1]، فالمتكلم يختار ترتيباً دون آخر باعتبار الظروف والمقاصد.

وبين السيوطي في تحليل الشبكة العلائقية الملتحمة للمكونات اللغوية في مثل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[2] الانزياح الموضعي لهذه المكونات؛ لإستنباط القيمة الجمالية والفنية والطاقة البيانية المؤثرة في هيكلة البناء الخارجي، وذلك بجمع السيوطي أقوال من سبقه من العلماء لتأييد فكرته بشأن الآية السابقة الذي يرى فيها

(*) هذا الترتيب الأساسي والجوهري للعناصر اللغوية في توليد التركيب الفعلي في العربية. ينظر: اللسانيات واللغة العربية: ١/ ١٠٥ – ١٠٦، والألسنة التوليدية والتحويلية: ٢٩، والألسنية – المبادئ والأعلام: ٢١٥ – ٢١٦.

(١) في سيمياء الشعر: ٧٤، والأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ١١٢، وبنية اللغة الشعرية: ١٨٤، والتقديم والتأخير في القرآن الكريم: ٩٤ و ١٢٨، وأساسيات علم الكلام: ١٧.

(٢) الفاتحة/ ٥.

أنه قدم عنصر المفعول (إياك) في التركيب الفعلي على الفعل (نعبد)؛ لإفادة دلالة الحصر[١].

ونقل عن أهل البيان أنهم يقدمون عنصر المفعول سواء أكان مفعولاً أم مجروراً لإفادة الحصر[٢]، ولهذا أتى بهذه التشكيلية المنزاحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، لإعطاء معنى ((نخصك بالعبادة والاستعانة))[٣]، لكونه يمثل التركيب الفعلي التحويلي الانزياحي المولد من البنية الداخلية بوساطة قانون الترتيب؛ للتركيز على تخصيص العبادة والاستعانة بالله دون سواه؛ ذلك ((أن الاختلاف الظاهري نتج عن نقل احدى المفردات (بقاعدة تحليلية اختيارية) من موقع إلى موقع آخر لتوكيد فكرة معينة (Focusing)))[٤].

ويستشف هذا الانزياح الموضعي من عنصري الفعل والمفعول، ويُعَلَّل لتحويل رتبته التوليدية غير المحفوظة بإرادة العناية، والإهتمام بالعنصر المنزاح عن حيزه المعهود، فالعبادة والاستعانة مختصتان باللّـه ، فلا يعبد أحد غيره ، ولا يستعان به ، وهذه الدلالة لا تكون له إلا اذا تأخر، وسرُّ ذلك ((أن الفعل إذا ذكر ابتداءً فمتعلقاته تعادل أن تنسب اليه، واقدامها مستوية في ذلك لا يتقدم بعضها على بعض إلا بتخصيص المتكلم وليس كذلك فيها إذا ذكر متأخراً))[٥].

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٦]، فقدم المفعول على فعل العبادة؛ لأن العبادة مختصة بالله، ولو قال: (بَلْ اعْبُدْ اللهَ) لجاز ايقاع الفعل على أي مفعول نشاء[٧].

---

(١) الإتقان: ٢/ ٨٠٠.

(٢) الإتقان: ٢/ ٨٠٣.

(٣) الإتقان: ٢/ ٨٠٣.

(٤) التقدير وظاهر اللفظ: ١١.

(٥) البرهان الكاشف في اعجاز القرآن: ٢٣٠.

(٦) الزمر/ ٦٦.

(٧) المثل السائر: ٢/ ٢١٨.

وحكي عن ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) أنه خالف في ذلك ولا يرى في تقديم المفعول به فائدة الاختصاص، فقال: ((الاختصاص الذي يتوهمه كثير من الناس من تقديم المعمول وَهْمٌ))[١] ، واستدل على هذا الاعتراض بقوله -جل ذكره-: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[٢]، و ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾[٣]. في حين دحض السيوطي رأيه قول أهل البيان بأن الكلام في سياق ﴿مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ في هذه الآية أغنى عن إفادة الحصر في الآية الأولى، ولو لم يكن فما المانع من ذكر المحصور في محله بغير صيغة الحصر[٤]، في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾[٥]، وقوله: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾[٦].

وأفصح السيوطي أن قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾[٧] أبلغ وأقوى دلالة على الاختصاص؛ لأنه يفيد قصر إفراد لإضرابه عن الشركة[٨]، بدليل الآية ما قبلها : ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[٩]، ومشيراً إليها فلو لم يكن للإختصاص، وكان معناها: (اعبد الله) ولما حصل هذا الإضراب.

وذكر السيوطي أن ابا حيان(ت ٧٤٥هـ) وافق ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) في هذه المخالفة في تصريحه بعدم إفادة دلالة الإختصاص[١٠]، وحجته لذلك قول تبارك اسمه: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ﴾[١١]، فإن (غير) في هذه الآية مفعول به لفعل (اعبد)، وقدم المفعول على الفعل؛ لكون الإنكار متجهاً إلى عبادة غير الله، وليس إلى

---

(١) الإتقان: ٢/ ٨٠٣.

(٢) الزمر/ ٢.

(٣) الزمر/ ٦٦.

(٤) الإتقان: ٢/ ٨٠٣.

(٥) الحج/ ٧٧.

(٦) يوسف/ ٤٠.

(٧) الزمر/ ٢٢.

(٨) الإتقان: ٢/ ٨٠٣.

(٩) الزمر/ ٦٥.

(١٠) الإتقان: ٢/ ٨٠٤.

(١١) الزمر/ ٦٤.

العبادة ذاتها[1]، وهذا يدل على أن تقديم المعمول على العامل ليس دليلاً قاطعاً لأداء الدلالة التخصيصية.

ويتضح مما سلف ذكره أن السيوطي في عرضه لأقوال العلماء في عدم اقتصار دلالة التقديم هنا على دلالة التخصيص، وعدم دحض أقوالهم دليل على أنه كاد يقترب من رؤية المحدثين في أن التراكيب المتنوعة والمتغايرة في التشكيلات البنيوية تنتج صوراً دلالية متباينة، ويختار كل منها لأنسب المقامات؛ وذلك ((إن اختلاف(صورة) الكلام أو أسلوبه أو نظمه لابد أن يقود إلى اختلاف في المعنى، مثل اختلاف الناس بعضهم عن بعض بسبب اشكالهم وصورهم))[2].

تقديم الفاعل

اتفق نحاة البصرة على أن الفاعل متأخرٌ عن الفعل[3]، وكان منهجهم هذا يقتضي منع تقديم الفاعل على خبر الفاعل، أي (الفعل)، و ((انما وجب تقديم خبر الفاعل يعني –الفعل- لأمر وراء كونه خبراً، وهو كونه عاملاً، ورتبة العامل أن يكون قبل المعمول، وكونه عاملاً فيه سبب أوجب تقديمه))[4]. وينزل الفاعل مع الفعل منزلة الجزء من الكلمة، ولذلك لا يجوز الفصل بينهما لئلا يختل معناهما[5]. في حين ذهب نحاة الكوفة مذهباً معاكساً فرأيهم يتفق مع الدرس اللغوي الحديث، إذ يرون أن تقديم الفاعل على الفعل هو لغرض في المعنى[6].

ويعد عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) أول من أومأ إلى تقديم عنصر الفاعل على الفعل في التركيب الفعلي، وبين الصور البلاغية والمعاني المتوخاة من ذلك، ولا

---

(١) البحر المحيط: ٧/ ٤٣٨.

(٢) محاضرات في تأريخ النقد: ٢٩٥.

(٣) الكتاب: ١/ ٣١، والمقتضب: ٤/ ١٢٨، والواضح: ١٧٩، والخصائص: ٢/ ٣٨٤، واللمع في العربية: ٨٨.

(٤) شرح المفصل: ١/ ٧٤.

(٥) المصدر نفسه: ١/ ٧٥.

(٦) معاني القرآن (الفراء): ٢/ ٢٤٤، ومعاني القرآن (الأخفش): ٢/ ٥٣٤.

نجد أحداً من العلماء الذين سبقوه قال بتقديمه أو أشار إليه مبيناً الأسرار البلاغية المتوخاة من ذلك[1].

وقد بين السيوطي انزياح الفاعل في البنية التركيبية الفعلية ، فيقدم على الفعل لإفادة دلالة التخصيص في أحوال عديدة، وحاصل ذلك يتفق مع رأي عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، وذلك على النحو الآتي:

الأول/ يفيد دلالة التخصيص، إذا كان التركيب الفعلي مثبتاً وفاعله معرفة، ويمثل لذلك بنحو: (أنا قُمْتُ)، و (أنا سَعَيْتُ في حَاجَتِكَ)، ومفسراً: ((فإن قصد به الإفراد أُكِدَ بنحو (وحدي)، أو قصر القلب أكد بنحو (لا غيري)))[2]. أي أن يكون الفعل فعلاً قد اردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له وتزعم أنه فاعل دون آخر أو دون كل أحد، تريد أن تدعى الانفراد بذلك والاستبداد به. ويستشهد أيضاً بنصوص قرآنية أخرى، منها قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[3]، واستدل بذلك على ما سبق من قوله: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾[4]، محللاً أياه على لسان صاحب عروس الأفراح[5] أن ((لفظ (بل) المشعر بالاضراب يقضي بأن المراد (بل أنتم لا غيركم). فإن المقصود نفي فرحه هو بالهدية، لا إثبات الفرح لهم بهديتهم))[6].

فرؤية السيوطي قد تتفق مع رؤية اللغويين المعاصرين في أن اطار الدليل النواتي لمثل هذه التراكيب يمثل نظام التركيب الفعلي النمطي (vso)، وبموجب قواعد التحويل يتم انزياح عنصر الفاعل عن موقعه ويقدّم على الفعل، وبهذا يتحول نمط

(١) دلائل الإعجاز: ١٢٤ – ١٢٥.

(٢) الاتقان: ٢/ ٨٠١.

(٣) النمل/ ٣٦.

(٤) النمل/ ٣٦.

(٥) عروس الأفراح: ١/ ٢٣٦.

(٦) الاتقان: ٢/ ٨٠١.

التركيب الفعلي من (vso) إلى (svo) لتحقيق قصد دلالي جديد هو ((الاختصـاص)) ويمكن توضيح ذلك بهذا التحليـــل[1]:

الإنزياح

vso ⟹ = { S + v + O / Agent + v + }

الموضعي

وقد يأتي الفاعل مقدماً في النسق الأصلي؛ لإعطاء دلالة التأكيد والتقوية دون دلالة (الاختصاص)، فيتكفل سياق الحال والكلام باظهـاره لترجيـع فيمـا يـؤمى إليـه السيوطي ويستدل بقول الشيخ بهاءالدين السبكي (ت ٧٧٣هـ) قائلاً[2]: ((ولا يتميـز ذلك إلا بما يقتضيه الحال وسياق الكلام))[3].

ويؤيد الدرس اللغوي الحديث وجهة نظر السيوطي في ربط دلالة كل تركيـب وتحويله البنيوي بالمتغيرات الخارجية اقتضاءً للمقام وسياق الحال، وهـذا مـا نـادى بـه العالمان (مالينوفسلى وفيرث)[4].

الثاني/ يشير السيوطي إلى الانزياح الموضعي بين عنصري الفعل والفاعـل مـن خلال تحديد الدليل النمطي لتركيب الفعل المنفـي، ويمثـل بنحـو: (أنْـتَ لا تَكْـذِبْ)، فتقديم الفاعل (أنت) على خبره الفعلي

(١) المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي: ١١٤.

(٢) عروس الأفراح: ١/ ٢٣٧.

(٣) الاتقان: ٢/ ٨٠١.

(٤) اللغة (فنـدريس): ٢٣١، ونظريـة النحـو العربـي: ٨٥ – ٨٦، وعلـم الدلالـة (بـالمر): ٦١، واللغـة والمعنـى والسـياق: ٢٤٠، وجـدل اللفـظ والمعنـى: ٣٩ – ٤٠ ومنـاهج الـدرس النحـوي: ٣١٣، والأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ١٤، وعلم اللغة المعاصر: ٣٧.

أعطى معنى بلاغياً جديداً هو (الاختصاص)[1]، ولا نجده مع التأخير وإذا كان الفاعل محكوماً عليه فتقديمه يعطي من القوة ما لا نجده في التأخير، فإنه أبلغ من **(لا تكذب)** ومن **(لا تكذب أنت)**.

وهذا دليل على أن السيوطي قد أكد ((أن العربية تلجأ إلى طرق بنيوية في تأكيد الكلمة وتخصيص دورها الدلالي، بتغيير التركيب (**Syntax**) الكلّي للتعبير؛ لتوفّر مدى أبعد من الحرية في التعامل مع المكونات اللغوية على صعيد البنية فيها))[2].

الثالث/ وصرّح بتقديم الفاعل إذا كان نكرةً مثبتاً، ويضرب السيوطي أمثلةً دليلاً على صحة ما يذكره بنحو: (**رجلٌ جاءني**)، يستشف هذا الانزياح الموضعي من عنصري الفعل والفاعل، ويعلل انزياح رتبته الأصلية بإرداة دلالة التخصيص بالعنصر المنزاح عن حيزه المألوف بإفصاح هذا النوع من التقديم، في مثل(**رَجُلٌ جَاءَنِي**) على نوعين[3]:-

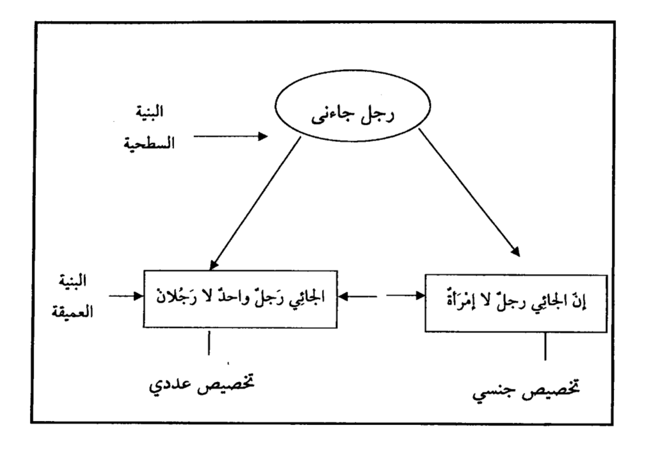
1. **تخصيص الجنس**: إذا كان المخاطب قد ادرك إنه قد أتاك آتٍ، ولا يعلم جنسه، فيقدم الفاعل النكرة؛ لإزالة الشك الذي يخالج ذهنه، أي (**أنَّ الجائِيَ رجلٌ لا امرأةٌ**).
2. **تخصيص العدد**: أن يراد من تقديمه تخصيص الجائِي رَجُلٌ واحدٌ لا رَجُلان، ويمكن وصف ذلك بهذا الشكل:-

---

(1) الاتقان: ٢/ ٨٠١.

(2) في البنية الايقاعية: ٣٠٩.

(3)الإتقان: ٢/ ٨٠١.



الرابع: قد يأتي الفاعل بعد مورفيم النفي، فيفيد دلالة التخصيص، ومثل بقولـه: (مَا أنَا قُلْتُ هَذا)، محللاً إياه أن تنفي عنـه القـول وانمـا القائـل غـيره[1]، فانـت في هـذا التركيب تنفي عنك فعلاً يثبت أنه مفعـول[2]، فانـت أوقعـت نفـي الفعـل عـن نفسـك وأعترفت بأن هذا الفعل كائن لكنك لم تفعله أنت وانما فعله سواك.فانزاح الفاعـل عـن موضعه وقدم لكون الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل، ((فالقول مقول ولكن المنـاظرة مع الفاعل))[3]، فأردت أن تنفي أن تكون القائل.

(١) الاتقان: ٢/ ٨٠٢.

(٢) البلاغة العربية في ثوبها الجديد: ١/ ١٤٩.

(٣) التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ٨٢.

ويستشهد كذلك بقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾[1] مبيناً أنه يراد به العزيز علينا رهطك لا أنت[2]، ولذا قال: ﴿أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾[3]؛ لأنه ((قد دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾ بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال في جوابهم (رَهْطي أعَزّ عَلَيكُمْ نبي الله)، ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب))[4].

صفوة القول: يفهم مما ذكره السيوطي أنه يجب تقديم ما يشك فيه في سياق النفي، فإذا كان الشك متجهاً الى الفاعل فيقدم الفاعل.

تقديم الخبر

يمثل تقديم عنصر الخبر في التركيب الاسمي على المبتدأ لوناً آخر من الانزياح الموضعي، وأجاز العلماء هذا اللون من التقديم، إذ قال ابن جني (ت٣٩٢هـ): ((ومما يصحُّ ويجوزُ تقديمه خبرُ المبتدأ على المبتدأ، نحو: قَائِمٌ أخُوكَ، وفي الدارِ صاحبك))[5].

وبما أن بنية تركيب الجملة في اللغة العربية مكونة من المسند والمسند إليه فيلزم تقديم أحدهما وتأخير الآخر؛ لأنه ليس بامكان الناطق أن ينطق بهما دفعةً واحدة[6]. لذلك وقع المبتدأ في أول التركيب لأنَّ((حق المنسوب أن يكون تابعاً للمنسوب إليه وفرعاً عليه. وأما تقدم الخبر فلأنه محط الفائدة، وهو المقصود من الجملة؛ لأنك إنما ابتدأت بالاسم لغرض الاخبار عنه، والغرض –وإن كان متأخراً في الوجود– فهو متقدم في القصد))[7].

---

(١) هود/ ٩١.

(٢) الاتقان: ٢/ ٨٠٢.

(٣) هود/ ٩٢.

(٤) الكشاف: ٢/ ٢٣١.

(٥) الخصائص: ٢/ ٣٨٢، واللمع في العربية: ٨٦، وهمع الهوامع: ١/ ١٠٢-١٠٣.

(٦) علم المعاني (عتيق): ١٤٨، والتقديم والتأخير في القرآن الكريم: ٥٩، ودلالة الجملة الأسمية: ٢٠٣، والبيان في روائع القرآن: ١/ ٦٧.

(٧) همع الهوامع: ٢/ ٩.

لذلك فإن النسق الأصلي للتركيب النمطي الاسمي يمثل بـ(م + خ)، وبمقتضى قواعد التحويل ينزاح الخبر من موضعه الى مقدمة هذه التراكيب لغرض فائدة، فمعنى الاخبار كامن في المسند، سواء تقدم أو تأخر. ولكن إذا تقدم فيكون لغرض دلالي فضلاً عن معنى الاخبار الذي هو في التركيب أصل. وهو إثارة انتباه السامع اليه[1].

فصرح السيوطي أن تقديم الخبر على المبتدأ يؤدي دلالة الاختصاص نحو قولنا: (**تميميٌّ أنا**)، وذلك نقل عن رأي السكاكي[*] (ت ٦٢٦هـ) وابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) وغيرهما[2]. فأدرك السيوطي أن تركيب (**تميميٌّ أنا**) منزاح عن النسق التوليدي النمطي المتمثل بـ(م + خ) (**أنا تميمي**) باتخاذها الهيئة المنزاحة المتمثلة بـ(خ + م) المؤمئ بانتاج دلالة الاختصاص بالمقدم والتركيز عليه؛ لبيان أهميته المضمونية في السياق، ذلك أن ((أهمية المعنى تأتي من أهمية موقع الكلمة، وتحريك الكلمة أفقياً الى الأمام، أو الى الخلف يساعد مساعدة بالغة في الخروج باللغة من طابعها النفعي الى طابعها الابداعي))[3].

أما تركيب (**أنا تميمي**) فيمثل جملةً توليدية اسمية ((لا تركيز فيها على أي جزء من أجزاء المعنى، وهدفها نقل الخبر من صورته الذهنية في ذهن المتكلم الى صورة (فونولوجية) منطوقة تقع على سمع السامع، فيدرك المطلوب منها وهو الاخبار لا غير))[4]. ولكن اذا أراد المتكلم أن يجذب انتباه السامع الى عنصر معين في التركيب، أو أراد التركيز على عنصر معين في نظره زبدة الحديث اللغوي فإنه يلجأ الى خرق هذا النسق بالانزياح عنه[5]، كما يظهر فيما يأتي:-

---

(١) الوجيز في فقه اللغة: ٣٣٧.

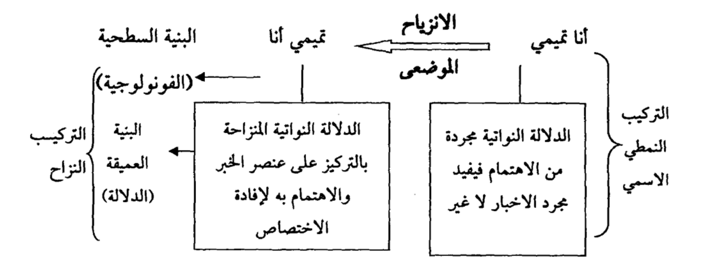
(*) هو يوسف السكاكي أبو يعقوب العلامة، كان علامة بارعاً في فنون شتى، ولا سيما المعاني والبيان، وهو صاحب كتاب مفتاح العلوم. ينظر: بغية الوعاة: ٢/ ٣٦٤.

(٢) الاتقان: ٢/ ٨٠٢.

(٣) جدلية الافراد والتركيب: ١٦١ – ١٦٢.

(٤) في نحو اللغة وتراكيبها: ٩٤.

(٥) الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة: ٦٤٤.



الثاني/ تقديم اللفظ وتأخيره عن غير العامل:

من خلال تصفحنا الكتب البلاغية نلحظ أن كثيراً من البلاغيين عنوا بمباحث ظاهرة التقديم والتأخير من خلال الجمل والتركيب الاسنادي، وكانت دراستهم لهذه الظاهرة قاصرة محددة، إذ كانت عنايتهم بإجراء التقديم والتأخير خارج نطاق الجملة قليلة، بيد لأن المفسرين وممّن اهتم بإسلوب القرآن، كانت دراستهم لموضوع التقديم والتأخير في هذا الجانب أكثر عمقاً وأكثر فائدة للدارسين[1].

والسيوطي من بيّن هؤلاء المفسرين إذ تناول هذا النوع من التقديم، وإن كان ذلك نقلاً عن رأي العلاّمة شمس الدين بن الصائغ (ت ٧٧٦هـ)[*] الذي يرى أنه الى جانب العناية والاهتمام هناك أسباب أخرى تدعو الى تقديم اللفظ ويمكن أجمالها على النحو الآتي[2]:-

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢/ ٣٢٩.

(*) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن الزمردي الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي النحوي، كان بارعاً في اللغة والنحو والفقه. ينظر: بغية الوعاة: ١/ ١٥٥.

(٢) الاتقان: ٢/ ٦٧٣ وما بعدها.

الأول/ التبرك: وذلك مثل تقديم لفظ الجلالة في الأمور ذات الشأن، كالذي في قوله -تبارك اسمه-: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾[1] .

الثاني/ التشريف: وقد يكون التقدم بحسب الفضل والشرف ومنه تقديم السمع على البصر كقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾[2]؛ لأن حاسة السمع أفضل من حاسة البصر لتلقي الرسالة، ويستطيع تبليغها الى قومه ولكن فاقد السمع لا يستطيع ذلك[3].

وقيل ((ان مدى السمع أقل من مدى الرؤية فقدم السمع للترقي من الأدنى الى الأعلى، فالسمع يوحي بالقرب، فالذي يسمعك يكون في العادة قريباً بخلاف الذي يرى، فقد يرى الشخص ولكن لا يسمع ما يقول))[4]. ويستشهد لذلك بنصوص قرآنية كثيرة[5].

الثالث/ التعظيم: كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾[6]، فقدم الله سبحانه وتعالى على الرسول.

الرابع/ المناسبة: يقدم اللفظ بحسبما تقتضيه مناسبة سياق الكلام، كما نجد في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ ﴾[7]، فقدم لفظ الحُكم وإن كان العلم سابقاً عليه[8]؛ لأنه مذكور في السياق أول الآية: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾[9].

---

(١) آل عمران/ ١٨.

(٢) البقرة/ ٧.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٢٥٤، والتعبير القرآني: ٥٣.

(٤) التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ١٤٣.

(٥) الاتقان: ٢/ ٦٧٣ – ٦٧٥.

(٦) النساء/ ٦٩.

(٧) الأنبياء/ ٧٩.

(٨) الاتقان: ٢/ ٦٧٦.

(٩) الأنبياء/ ٧٨.

الخامس/ يقدم اللفظ بغية الحث عليه والحض على القيام به، حذراً من التهاون به[1]، ويستشهد بقوله عز وجل: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾[2]، فقدم الوصية في هذه الآية على لفظ الدين، مع أن الدين يجب وفاؤه من تركة المتوفىً قبل تنفيذ وصيته[3]، وذلك حذراً من التهاون به في عدم القيام به.

السادس/ السبق في الزمان إما باعتبار الايجاد كما نرى في تقديم الليل على النهار، والظلمات على النور، وآدم على نوح، ونوح على ابراهيم وهكذا، فيستشهد بنحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾[4]، فقدمت (السنة) في الآية الكريمة وهي النعاس والفتور الذي يصيب الإنسان قبل النوم[5]، لذا بدأ بالسنة ثم بالنوم.

أو باعتبار الانزال كذكر التوراة أولاً والإنجيل ثانياً ثُم الفرقان بحسب تسلسل زمن الانزال، كقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾[6]. أو باعتبار الوجوب والتكليف، نحو: ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾[7]؛ لأن الركوع قبل السجود في الطبع والزمان والعادة لأنه انتقال من علو إلى انخفاض، والعلو بالطبع قبل الإنخفاض[8].

---

(١) الاتقان: ٢/ ٦٧٦.

(٢) النساء/ ١١.

(٣) شرح مصطفى البغا بهامش رقم (١) في الاتقان: ٢/ ٦٧٧.

(٤) البقرة/ ٢٥٥.

(٥) التعبير القرآني: ٥١.

(٦) آل عمران/ ٣ – ٤.

(٧) الحج/ ٧٧.

(٨) بدائع الفوائد: ١/ ٧٢.

السابع/ السببية[1]: كما جاء في قوله تعالى:﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[2]، فقدم لفظ (التوابين) على (المتطهرين)؛ لأن التوبة سبب الطهارة؛ لأن العبد أول ما يدخل في الإسلام فقد تطهر بالتوبة من الشرك، ثم يتطهر بالماء من الحدث[3].

الثامن/ تقديم الأكثر على الأقل[4]: ورد في القرآن الكريم تقديم يعتمد على كثرة الشيء وقلته، فيبدأ بالكثير وينتهي بالقليل، كقوله تعالى: ﴿ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾[5]، فقدم لفظة الكفار؛ لأن عددهم أكثر من المؤمنين في الدنيا، ونظيره من هذا النمط من التقديم قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾[6].

التاسع/ التقديم للترقي[7]: ويكون من الأدنى إلى الأعلى، كقوله عز وجل: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ﴾[8]، مبيناً تقديم الأدنى لغرض الترقي؛ ((لأن اليد أشرف من الرجل، والعين أشرف من اليد، والسمع أشرف من البصر))[9].

العاشر: التدني من الأعلى إلى الأدنى: مثل قوله تعالى: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾[10]، فترتيب الجمل القرآنية وتركيبها صورة لتلك المعاني كما هي في النفس الإنسانية كاشفة لأحوال النفس وما يثار فيها[11].

---

(١) الاتقان: ٢/ ٦٧٨.

(٢) البقرة/ ٢٢٢.

(٣) بدائع الفوائد: ١/ ٧٦.

(٤) الاتقان: ٢/ ٦٧٨.

(٥) التغابن/ ٢.

(٦) المائدة/ ٣٨.

(٧) الإتقان: ٢/ ٦٧٩.

(٨) الأعراف/ ١٩٥.

(٩) الإتقان: ٢/ ٦٧٩.

(١٠) الكهف/ ٤٩.

(١١) التعبير القرآني والدلالة النفسية: ٣٠٤.

يتضح مما سلف أن السيوطي قد أدرك أن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها سياق الكلام والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة. وقد بلغ القرآن العظيم في هذا اللون ((الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي يستحقه في التعبير، بحيث تستقرفي مكانها المناسب))[1]، إذ المقام قد يقتضي تقديم المفضول على الفاضل، وقد يقتضي العكس، ومن ذلك ما ورد في القرآن الكريم من تقديم الكافرين على المؤمنين.

وقد بين السيوطي أن هناك سبباً آخر يدعو إلى التقديم والتأخير، وهو مراعاة الفواصل[2]، واستدل له بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾[3]، محللاً أنّ لفظة (أحوى) وهي صفة (المرعى) منزاحةٌ عن موضعها؛ وذلك مراعاة للفاصلة القرآنية التي تسهم في بناء النسق الموسيقي للتركيب[4].

وهذا ما نبّه عليه العلماء إذ إن للفواصل القرآنية أثراً بارزاً في التقديم والتأخير وفي إظهار الإيقاع الموسيقي، وهي تلك النهايات التي تذيل بها الآيات القرآنية، فهي طريقة تميز بها القرآن الكريم عن سائر الكلام، وتشبه موقع القافية في البيت الشعري، لذا جاءت مشحونة بالتنغيم، فضلاً عن شحنة الدلالة المكملة للآية[5].

وقد يتأتى التقديم والتأخير للتفنن في الفصاحة وإخراج الكلام بطرق مختلفة وأساليب متباينة، وهذا ما أشار إليه السيوطي[6]، واستشهد لذلك بنصوص قرآنية منها قوله تعالى: ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾[7]. وقوله: ﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ

(١) التعبير القرآني: ٥١.

(٢) الإتقان: ٢/ ٦٧٣، ٩٥١.

(٣) الأعلى/ ٤-٥.

(٤) التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ١٥٢.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٥٤.

(٦) الإتقان: ٢/ ٦٨٠.

(٧) البقرة/ ٥٨.

سُجَّدًا ﴾[1]. ذهب بعض الباحثين إلى أن مثل هذا التقديم والتأخير لا يتعرض للمعنى المراد إنما سيق من أجل اخراج الكلام على أساليب مختلفة[2]، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) فقال ((فإن قلت كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة، قلت لا بأس بإختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض))[3].

وبالإمكان – بعدما تقدّم – أن نصل إلى أن السيوطي أدرك أنّ الانزياح الموضعي تحكمه الأبعاد النفسية الانطباعية؛ ذلك ((إن النفس تُعنى وتتطلع إلى تقديم معرفة الذي بيانه لها أهم، وهي بشأنه أعنى. فقد يشغل نفس المتلقي أمر من الأمور وتتطلع إلى خبره وتتشوق إلى ما تم بشأنه؛ لكون التعرف عليه مهما لديها، أو لأن أموراً مهمة تترتب عليه، فحينئذ، ولكي يكون التعبير أكثر قدرة و قابلية على التأثير والإثارة، يقدم فيه ما انعقد القلب به وان كان حقه الرتبي من حين الوجود الذهني التأخير، وذلك حتى يعجل للنفس ما تريد التعرف عليه، فتطمئن وتستقر، وإلا فقد النص قيمته لانشغال النفس عما يريد فيه بما تعلقت به وتأخر بيانه في النّطق))[4].

(١) الأعراف/ ١٦١.

(٢) التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ١٤٨.

(٣) الكشاف: ٢/ ٩٩.

(٤) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ١١٧.

الانزياح الاختزالي

يقوم الانزياح الاختزالي بتقليص مسافة التركيب؛ وذلك باختزال بعض العناصر اللغوية على الخط الافقي في التركيب النمطي؛ لِيرد في عملية الاتصال والتداول اقتضاءً لحاجة المقام، ولإفراز حمولات دلالية ترفد بنية التركيب عموماً بقيم فنية وجمالية قادرة على خلق حالة نفسية وانفعالية مؤثرة تسهم في تحقيق الوظيفة التأثيرية أو الانتباهية عند المتلقي(١).

وتناول اللغويون والمفسرون(٢) ظاهرة الحذف، كما تناولوا ظاهرة الذكر ضمنها؛ لكونها تمثل البنية الأساسية في خلق التراكيب اللغوية عموماً، لقيام أصل هذه التراكيب على ذكر المكونات اللغوية وإدراجها في نسق الخطاب، ويأتي الحذف ظاهرة طارئة على طائفة من هذه المكونات، وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء التركيب بعد الحذف مغنياً في الدلالة، كافياً في أداء المعنى(٣).

وهذا ما يراه النحاة إذ إن الأصل في البنية الأساسية للتركيب الذكر، ولا يحذف منه شيء إلا بدليل(٤)، سواء أكان هذا الدليل معنوياً، أي يقتضيه المعنى أم صناعياً أي تقتضيه الصناعة النحوية، وسواء دلت عليه قرينة لفظية أو دلت عليه قرينة المقام.

---

(١) اللسانيات بين لغة الخطاب وخطاب الأدب: ٧٠، والبنيات الأسلوبية: ١٣٩، والنص القرآني: ٣٢.

(٢) الكتاب: ١/ ١٣٨،١٤٣ – ١٤٤، ٢/ ٦٥ – ٦٦، ومعاني القرآن (الفراء): ١/ ٦١ – ٦٢، ومجاز القرآن: ١/ ٤٧، ٣٠١، ومعاني القرآن (الأخفش): ١/ ٢٠٧ – ٢٠٩، وتأويل مشكل القرآن: ٢١٣-٢١٤، والمقتضب: ٢/ ١٥١ – ١٥٢، والكامل: ١/ ٣٧٨، والنكت في اعجاز القرآن: ٥١-٥٣، والصناعتين: ١٧٩ – ١٩٥، والصاحبي: ٢٠٥ – ٢٠٦، ٢٣١ – ٢٣٦، وفقه اللغة: ٣١٧ – ٣٢٠، وأمالي المرتضى:١/ ١-٢، ٢٠٢ – ٢٠٥، وسر الفصاحة: ٢٠٠ – ٢٠٦.

(٣) بناء الجملة العربية: ٢٥٩.

(٤) الخصائص: ٢/ ٣٦٠.

ويُعَدّ أسلوب الاختزال من ناحية كونه أسلوباً بلاغياً ذا أثر في بلاغة الكلام العربي، فيما يضيفه من سحر وجمال وطاقات إيحائية، ويكاد يكون ((ظاهرة مشتركة في اللغات الإنسانية))[(١)].

ويجعل السيوطي مبدأ (كثرة الدوران في الكلام) قياساً أساسياً في الجنوح إلى الانزياح الاختزالي، فكأن بينهما حالة من المد والجزر التي تستوجب تنافراً بين نسبة الاستعمال وتقليص مدى التركيب لمقتضى الحال تناغماً مع العملية التواصلية، ويبرز تمنعه لهذا الانزياح بشكل مؤطر بربطه نقص بعض المكونات اللغوية بالميل إلى ((التخفيف لكثرة دورانه في الكلام، كما في حذف حرف النداء، نحو ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ ﴾[(٢)]... والياء ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾[(٣)]. وسأل المؤرِّج السدوسي الأخفش عن هذه الآية فقال: عادة العرب أنها إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه، والليل لما كان لا يسري، وإنما يُسْري فيه نقص منه حرف، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾[(٤)]؛ الأصل (بغية) فلما حوِّل عن الفاعل نقص منه حرف))[(٥)].

وبيَّن السيوطي كذلك أن غياب بعض العناصر اللغوية يبرز أثرها الأسلوبي أكثر من وجودها، وذلك بالاستناد إلى قول عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)[(٦)]: ((ما مِنْ اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذَف فيها إلاً وحَذْفُه أحسن من ذكره))[(٧)]. فضلاً عن ذلك يشير إلى الطاقة البلاغية لهذا الانزياح وضرورة تحقيق مبدأ الاقتصاد في المجهود اللغوي باستخدام القليل من الوحدات اللغوية، والاقتصار على بعض منها،

(١) النحو العربي والدرس الحديث: ١٤٩.

(٢) يوسف / ٢٩.

(٣) الفجر/ ٤.

(٤) مريم/ ٢٨.

(٥) الإتقان: ٢/ ٨١٩.

(٦) دلائل الاعجاز:١٥٣.

(٧) الإتقان: ٢/ ٨٢١.

على أن ((الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهمّ))[1].

وهذا ما أكده الدرس اللغوي الحديث الذي يرى أن ((اللغة قائمة على أساس ما يعرف بقانون الاقتصاد الأدائي، وهو الذي يدفع بكل مستعمل للّسان الطبيعي إلى أن يركب كلامه بما يسمح له بإبلاغ أكبر كمية ممكنة من المعلومات بأقلّ ما يمكن من المجهود الأدائي في استخدام جهاز التصويت، وبناءً على هذا القانون تحدد استعمال الإنسان للغة بما يعرف بنزعة المجهود الأدنى))[2].

وبهذا يكون الغرض منه الايجاز والاقتصاد من ناحية الهيئة والشكل، والتسهيل من ناحية أداء الألفاظ وذلك أن ((الاقتصار نوع من تكثيف الكلام واختزاله دون إخلال، وهو سمة جوهرية من السمات الشعرية))[3].

تناول السيوطي هذه الظاهرة على وفق منهج انزياحي وتحويلي مقارن بين صورتي الذكر والحذف في التراكيب النمطية مبيناً الطاقة الإيحائية والقيمة الجمالية وراء إجراء هذا التغيير البنيوي على الهيئة التركيبية النواتية، وهذا ما نراه جلّياً في الصفحات الآتية، والجدير بالملاحظة أنه حينما تحدث عن الاختزال قسمه على ضربين: الضرب الأول/ الاختزال بالقصر أما الثاني فهو الاختزال بالحذف.

أولاً: الاختزال بالقصر

يقصد به تقصير البنية التركيبية، وتضييق نسبة علاقاتها السياقية مع توسع الرقعة الدلالية التي تتراكم جزئياتها وتتكاثف بعلاقة عكسية التي تستند إلى ((نسبة عالية من الاقتصاد الذهني والأسلوبي لقدرته على تأطير مفاهيم ذهنية متشعبة في حيز خطابي مختصر ومحدد))[4]، وقائم على الاقتصاد في المجهود اللغوي أو الاختصار

---

(١) الإتقان: ٢/ ٨١٨.

(٢) ما وراء اللغة: ٥٤ – ٥٥.

(٣) النص القرآني: ٣٢.

(٤) البحث الدلالي في كتاب سيبويه: ٢٧١.

(Reduction) الذي يعتمد على الاختزال من استخدام الوحدات اللغوية للإيفاء بالمقاصد، والإيحاء بالدلالات المطلوبة، وهذا ما يعنى به الدرس اللغوي الحديث ويعول عليه في قياس الاطر الجمالية لنصوص اللغة العربية[1]، وانطلاقاً من هذا السلوك الكلامي تقصى السيوطي التركيب القرآني المختزل بإجراء القصر التقليصي، كما تبين ذلك في قوله تعالى: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾[2]، مبيناً بناها الدلالية بقوله: ((دلّ بهاتين الكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام، من العشب والشجر والحبّ والثمر والحطب واللباس والنار والملح؛ لأن النار من العيدان والملح من الماء))[3].

وقد يوفر جميع أجناس الكلام لإضفاء الدلالة المتكاملة للتراكيب المختزلة، كما يتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[4]، موضحاً أن الجمع في بنية هذه الآية المقتصرة على أحد عشر جنساً من الكلام منها: ((نادت، وكنّت، ونبّهت، وسمّت، وأمرت، وقصّت، وحذّرت، وخصّت، وعمّت، وأشارت، وعذرت، فالنداء (يا) والكناية (أيّ) والتنبيه (ها) والتسمية (النمل) والأمر (ادخلوا)، والقصص (مساكنكم)، والتحذير (لا يحطمنكم)، والتخصيص (سليمان)، والتعميم (جنوده)، والاشارة (وهم)، والعذر (لا يشعرون) فأدت خمسة حقوق: حق الله، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيتها، وحق جنود سليمان))[5].

---

(١) جوانب من نظرية النحو: ١٠ – ١١، النحو العربي والدرس الحديث: ١٤٠، وفي علم اللغة التقابلي: ٦٩.

(٢) النازعات/ ٣١.

(٣) الاتقان/ ٢/ ٨١٢.

(٤) النمل/ ١٨.

(٥) الاتقان: ٢/ ٨١٢ – ٨١٣.

ويورد السيوطي شواهد أخرى من التراكيب القرآنية[1] المقتصرة، التي تحمل مضامين دلالية مكثفة مع قصرها وإيجازها، لذلك تحتاج إلى مهارة لغوية لصب إفرازات فكرية داخل المختزلات الأدائية، ضمن قوانين الاختيار لتشكيل الهياكل التراكبية متناسبة ومتلائمة للسياقات الخارجية؛ لأن ((استعمال الصور الاستعمالية يرجع إلى أسلوبية الاختيار))[2].

ثانياً: الاختزال بالحذف

تطرق السيوطي إلى الاختزال بالحذف، ولم يقتصر على تحديد الاختزال بالمفردة فحسب بل بحث في الاختزال التركيبي أيضاً، فنوّع فيه بين المفردة والتركيب، ويتدرج تحت الاختزال المفردي، حذف الاسماء نحو: حذف المبتدأ والفاعل والمفعول به والمضاف والمضاف إليه والصفة والموصوف وكذلك حذف الفعل.

ثم عرّج على الاختزال التركيبي الذي يتمثل في حذف أسلوب من الأساليب اللغوية نحو أسلوبي الشرط والقسم. كما بحث أيضاً في الاختزال الحرفي، نحو: همزة الاستفهام، مورفيم الجر، مورفيم النداء، مورفيم العطف، مورفيم (قد)، اللام الموطئة للقسم، وكما يأتي لاحقاً.

١. حذف الأسماء :

أ- حذف المبتدأ

بناء التركيب العربي -كما بيّناه-[3] يتألف من ركنين جوهريين هما: (المسند والمسند إليه)، فالمسند إليه هو صاحب الوظيفة الرئيسة في التركيب الجملي؛ بل أحد الأركان المهمة في التركيب؛ ((لأنه يمثل المحور الثابت في حين يمثل المسند المحور المتغير فيها))[4]، لذا اشترط غيابه في التراكيب على وجود القرينة الدالة على حذفه لوجوده

(١)الاتقان:٢/ ٨١٣ – ٨١٧.

(٢) بنية اللغة الشعرية: ٤٥.

(٣) تنظر: الصفحة (٢٧) في هذا الكتاب.

(٤) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ٢٦٦.

محتماً في التركيب، لذا يعد ((السياق أو المقام الذي تقال فيه الجملة من الأدلة التي تقوم بدور ريئسي في تحديد العنصر (المورفيم) المحذوف))[1]. ولولا القرينة لكان الحذف نقصاً وعيباً.

ولا ينكر إفادة السيوطي من العلماء الأوائل في الانتباه إلى ظاهرة الحذف الواقعة على مورفيم الاسم بتمعّنه لطاقة التماسك الثنائية لعلاقة الإسناد الجامعة بين ركني (المسند والمسند إليه)، فقدر الركن الغيابي تبعاً للعناصر الداخلية للسياق والأبعاد الخارجية للمقام الذي يكون عنصراً فعالاً في الحكم على إبراز العناصر التركيبية أو إزالتها.

ويستعرض نصوصاً قرآنية كثيرة[2] مشيراً إلى مورفيم الحذف محدداً المحذوف بالرجوع إلى مكون التركيب النمطي كما يتجلى في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3]. إذ يرى تقدير البنية السطحية هو (هو ربّ، الله ربّكم، الله رب المشرق)[4]، وذلك ببحثه عن العنصر المفقود في بنية التركيب وإعادة التشكيل الأصلي لها استناداً إلى الجو الدلالي العام للسياق بغية تطبيق الموازنة على التركيبين المتغايرين الأصلية والمنزاحة لتركيب واحد.

إذ أدرك أن بنية التركيب الاسمي مكون من الوحدات اللغوية على النحو الاتي:-

المبتدأ (المسند إليه) + الخبر (المسند)

م + خ

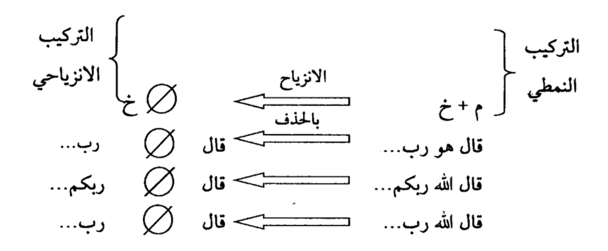
(١) في نحو اللغة وتراكيبها: ١٣٦.

(٢) الاتقان: ٢/ ٨٢٠، ٨٣٣، ٨٣٤.

(٣) الشعراء/ ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨،.

(٤)الإتقان: ٢/ ٨٢٠.

ووجد أن حذف مورفيم الابتداء في هذه الآية يؤدي إلى إبقاء فصيلة الخبر لوحدها، وانزياح التركيب النمطي إلى تركيب مولد جديد ويتضح في هذه المعادلة:



إن السيوطي كان يرمي من خلال تركيزه على أسلوب الحذف وبيان قيمته الفنية، وذلك صيانة الله عز وجل عن ذكر اسمه تشريفاً لعظمته، بقوله: ((لأن موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال، فأضمر اسم الله تعظيماً وتفخيما))[1]، وجاء حذفه للمبتدأ لكون المحذوف معلوماً عند السامع؛ لأنه ((كلما قلت الحروف فيه كان المعنى بها أتم وأخلص، وكلما كثر اللفظ كان ما يراد به، ويعني فيه أنقص))[2].

وذكر السيوطي أن حذف المبتدأ يقع في مواطن كثيرة في القرآن، يمكن اجمالها بما يأتي:

أ. ذكر كثرة حذف عنصر المبتدأ إذا وقع جواباً للاستفهام[3]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾[4]، فقدر البنية السطحية في المستوى التركيبي لهذه الآية بـ(هي نار).

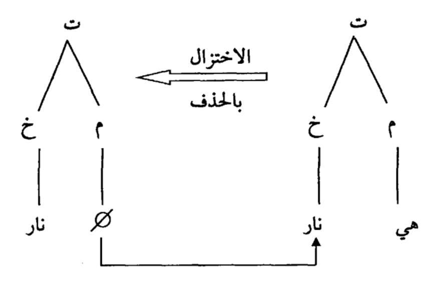
(١) الإتقان: ٢/ ٨٢٠.

(٢) المختار في المقابسات: ٤٥.

(٣) الإتقان: ٢/ ٨٣٣.

(٤) القارعة/ ١٠ ، ١١.

ويمكن توضيح بنية هذا التركيب بالمخطط الشجري (**Tree Diagram**) الآتي:



ب- عند وقوع المبتدأ بعد مورفيم الفاء المقترنة في التركيب الاسمي الواقع جواباً للشرط، واستشهد بقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾[1]، مدركاً أن الانزياح قد نجم نتيجة حذف عنصر المبتدأ، مبيناً أن أصل التركيب هو ((من عَمِلَ صالحاً فعمله لنفسه وإساءتها عليها))[2].

ج- عند وقوع المبتدأ بعد (القول)، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[3].

إذن الحذف يحقق فاعلية في التركيب عن طريق تكثيف التركيب وايجازه، إذ إن في الإيجاز تكمن في البلاغة ويسمو الكلام حتى يصل إلى قوة السحر في التأثير وتكون التركيب مع الحذف أشد وقعاً في النفس وأتم بياناً، وافصح من الذكر[4].

وزعم أيضاً يغيب المبتدأ إذا وقع الخبر صفة له في المعنى والشاهد الذي أورده لذلك قوله تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾[5]. مبيناً حذف مورفيم الاسم في عملية الاسناد،

---

(١) الجاثية/ ١٥.

(٢) الاتقان: ٢/ ٨٣٣.

(٣) الفرقان/ ٥.

(٤) دلائل الاعجاز: ١٤٦-١٥٣، التراكيب اللغوية: ١٣٦.

(٥) البقرة: ١٨.

وأصل التركيب الاسمي (هم صم بكم عمي) أو (المنافقون صم بكـم عمـي)، وعلـلّ حذفه (صيانة اللسان عنه تحقيراً له)[1]. أي هم صم بكم عمي، فقـد اسـقط المبتـدأ في النظم القرآني الضمير (هم)[2]، العائد على مشتري الضلالة بالهدى، ودلّ عليـه بـذكر أخبارهم ونعوتهم؛ وذلك للدلالة على استحقار امرهم، وصون اللسـان عـن جريـان ذكرهم عليه تطهـيراً لـه، وتعـالج الدراسـات اللغويـة الحديثـة أحـوال حـذف المبتـدأ ويجعلونها محور دراستهم؛ وذلك لأنها؛ ((أصلح الأبواب للدرس التحويلي))[3].

ب- حذف الفاعل

الفاعل هو ((مكون من مكونات الجملة العربية ويؤدي وظيفة دلالية (دور المنفذ)، ووظيفة تركيبية (فاعل) ووظيفة تداولية (محور أو بؤرة)))[4].

وأدرك سيبويه(ت١٨٠هـ) أن التركيب الفعلي قابل للتغيير مـن حالـة إلى اخـرى بإجراء عملية الحذف على فصيلة الفاعل بموجب دلالات معينة لكل حالة يراد البيـان عنها[5]. واقتفى أثره معظم العلماء، ولكـن بعضـهـم ذهبـوا إلى أن عنصـر الفاعـل لا يحذف لكونه عمدة في الكلام، ومنهم على سبيل المثال المبرد (ت ٢٨٥هـ) يقول: ((لا بد لكل فعل من فاعل... فقد صار الفعـل والفاعـل بمنزلـه شـيء واحـد؛ إذ كـان لا يستغنى كلُّ واحد منهما عن صاحبه، كالابتداء والخبر))[6].

ولقد أخطأ كثير من المحدثين والفلاسفة فيما ذهبوا إليه إذ إن التركيب لابد له من وجود هـذين الـركنين لإفـادة معنـى يحسـن السـكوت عليـه؛ وذلـك نتيجـة الـتفكير الفلسفي، إذ قالوا باستحالة وجود حدث دون محدث، ويبنى على هذا أن من المحال أن يوجد التركيب الفعلي دون أن يكون له فاعـل، بيـد أن الـدرس اللغـوي الحـديث لا

(١) الإتقان: ٢/ ٨٢٠.

(٢) معاني القرآن (الفراء): ١/ ١٦، والكشاف: ١/ ٣٩.

(٣) في علم اللغة التقابلي: ٧٨.

(٤) مناهج الدرس النحوي: ٣٤٣.

(٥) الكتاب: ١/ ٣٣ - ٣٤، والاصول في النحو: ١/ ٨١ — ٨٦.

(٦) المقتضب: ٤/ ٥٠.

يعترف بهذه النظرة في فهم التركيب كما سبقت الاشارة إليها[1]. لذلك فإن غياب عنصر الفاعل يضفي على التركيب الطاقة التعبيرية والقيمة الجمالية وفقاً للأغراض البلاغية منها ((للعلم به – للجهل به رغبةً في إضفائه للإبهام- للخوف عليه أو للخوف منه أو للتعظيم به))[2].

واشترط السيوطي أن الفاعل لا يجوز غيابه في السياق اللغوي إلا في المصدر[*]، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾[3]، مدركاً أن الأصل التركيب الفعلي هو (دعائه الخير)[4]. وفيه إضافة المصدر إلى فاعله، وقد تحقق فيه الانزياح على البنية المورفولوجية السطحية بموجب قانون غياب العناصر التركيبية، فولد تركيب منزاح من إجراء هذا النقص في مورفيم الفاعل، ويمكن جلاء هذا الإجراء الانزياحي فيما يأتي:

---

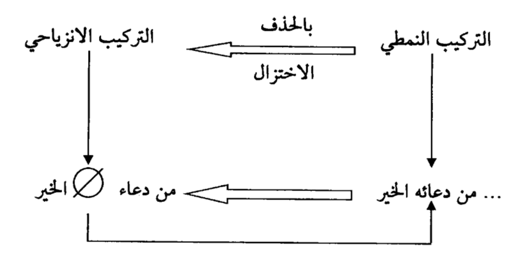
(١) تنظر: الصفحة (٢٧) في هذا الكتاب.

(٢) الإيضاح: ٥٥، همع الهوامع: ١/ ١٦١، علوم البلاغة: ٨٣-٨٥.

(*) فصّل العلماء في إعمال المصدر عمل فعله، وذلك أما بدخول مورفيم (ال) التعريف عليه كما في نحو:(عجبت من الضرب زيداً)، أو بالحاق لاحقة التنوين بالمصدر، نحو: (عَجِبتُ من ضَرْبٍ زيداً بكرٌ). وفصلوا الحديث عن اعماله في حالة الاضافة، واتفقوا على أن عنصر المصدر يؤدي وظيفة الفعل رافعاً الفاعل إذ أما اضيف إلى عنصر المفعول، وناصباً المفعول إذا ما اضيف إلى عنصر الفاعل، وساقوا شواهد كثيرة للتدليل على ماذهبوا إليه.ينظر:الكتاب: ١/ ١١٥ – ١١٦، ١٨٩ – ١٩٤، ومعاني القرآن (الأخفش): ١/ ٢٦٥، ٢/ ٦٠١ – ٦٠٢، والمقتضب: ١/ ١٣ – ١٦، ٤/ ١٥٧، والأصول في النحو: ١/ ١٦٢ – ١٦٤، والواضح: ١٩٠، واللمع في العربية: ٢٥٦ – ٢٥٧.

(٣) فصلت/ ٤٩.

(٤) الاتقان: ٢/ ٨٣٥.



وبما أن مورفيم (الفاعل) المحذوف لدلالة السياق عليه يجتنب ذكره؛ لأنـه ((حـذف لغرض بلاغي ،فليس من حق السامع أن يبرز هذا المحذوف، وأنه إذ فعل فقد أفسد هذا الغرض البلاغي))[1]. وإن وجد فعل قادر على استدعاء الفاعل ابتغاء الإيجاز[2].

ج- **حذف المفعول**

ذهب النحاة[3] إلى أن عنصر المفعول من الفضلات، ويدخل ضمن التركيب الفعلي، وتفطنوا إلى أن الدليل النمطي في التركيب الفعلي قد لا يقتصر على إثبات الفعل للفاعل، وإنما يتعدى إلى المفعول بقصد إتمام دلالة التركيب.

وأدركوا أيضاً أن بنية هذا التركيب قابلة للتغيير والاختزال من حالة إلى أخرى بإجراء نوع من أنواع الانزياح، الا وهو الاختزال بالحذف على المفعول وفقاً للأغراض والمقاصد الخاصة.

---

(١) في نحو اللغة وتركيبها: ١٦٧.

(٢) علم المعاني (الجندي) : ٨١، وعلم المعاني (عتيق) : ١٤٣.

(٣) الكتاب: ١/ ٣٣ – ٣٤، ٣٧، والمقتضب: ٣/ ١٦٦، ٤/ ٥٠.

وبسط السيوطي الحديث عن حذف عنصر المفعول في التراكيب التي غياب فيها عنصر المفعول فيها على صعيد البنية السطحية والعميقة، ويكون على ضربين كما استدلَّ بقول ابن هشام[(١)] (ت٧٦١هـ).

أحدهما: أن يحذف من الكلام لفظاً لكنه مراد معنى وتقديراً، وهو الذي يسمى بـ(الحذف اختصاراً)[(٢)]، ولا يحذف إلا لدليل؛ وذلك ((لأن القصد بين المتكلم والسامع مع حذفه (المفعول) يكون جلياً واضحاً لا لبس فيه))[(٣)]. ويوحى إلى أن يقدر في كل موضع ما يليق به، واحتج السيوطي لذلك بقول بعض العلماء قائلاً: ((ولا يقدر من المحذوفات إلا أشَدّها موافقةً للغرض وأفصَحها؛ لأنَّ العرب لا يقدرون إلاَّ ما لو لفظوا به لكان أحسَن وأنسب لذلك الكلام، كما يفعلون ذلك في الملفوظ به))[(٤)]. استشهد بقوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾[(٥)]، مبيناً تقدير البنية السطحية عند بعضهم بـ(جعل الله نصب الكعبة)، وقدره غيره: (حرمة الكعبة) غير أنه أكد التقدير الثاني؛ لأن ((تقدير الحرمة في الهدى والقلائد والشهر الحرام لا شك في فصاحته، وتقدير النصب فيها بعيد من الفصاحة))[(٦)]. وقال: ((ومهما تردد المحذوف بين الحسن والأحسن، وجب تقدير الأحسن؛ لأن الله وصف كتابه بأنه أحسن الحديث، فليكن محذوفه أحسن المحذوفات، كما أن ملفوظهِ أحسن الملفوظات))[(٧)]

ثانيهما: وقد يحذف عنصر المفعول في الدليل النظمي اقتصاراً لغير دليل، وهو أن يقتصر على الحدث وصاحبه من غير ارادة للمفعول وليس له تقدير ولا نية، وينزل

---

(١) مغني اللبيب: ٨٢٨ – ٨٣٠.

(٢) الإتقان: ٢/ ٨٢١.

(٣) في نحو اللغة وتراكيبها: ١٤٦ وما بعدها.

(٤) الإتقان: ٢/ ٨٢٧.

(٥) المائدة/ ٩٧.

(٦) الإتقان: ٢/ ٨٢٧.

(٧) الإتقان: ٢/ ٨٢٨.

الفعل المتعدى منزلة اللازم[1]، ويعد هذا اللون من حذف المفعول ((... تحويلاً بلاغياً... يقود إلى المعنى، ويمثل أصلاً كبيراً عظيم النفع في البناء اللغوي))[2].

ثم فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ﴾[3]، فحدد السيوطي[4] التشكيل الأصلي لهذه الآية بتقدير العنصر المحذوف (أوقِعوا الأكلَ والشربَ)؛ لأنه لم يرد الأكل من معين وإنما أراد وقوع هذين فعلين[5].

وقد يكـون عنصر المفعول معروفاً لا يتصور غيره، ولكن يحـذف لغرض مهم وقصد بارع ،وهو أن تتوجه النفوس لإثبات الفعل للفاعل، ولا يسمى محذوفاً؛ لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول له، فيكون الفعل المتعدي[6].

واستدل لهذا الضرب بنصوص قرآنية كثيرة، منها قوله -تبارك أسمه- ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾[7].

فيرى أن الانزياح قد حصل من جراء حذف مفاعيل للأفعال المتعدية (يسقون، تذودان، لا نسقي، فسقى لهما) اقتضاءً لحاجات مقامية والسياق اللغوي الذي تقتضيه البنية الدلالية أن تتوجه النفوس لإتيان الفعل للفاعل مطلقاً، فالاستغناء عنهما فقط للإخبار حقه الذّياد عن المرأتين ووقوع السقي على قومهما، لا لكون مذودهما غنماً وسقيهم إبلاً[8]، وهذا الواقع كان سبباً في إثارة رحمة وشفقة النبي

(١) الاتقان: ٢/ ٨٢١.

(٢) في نحو اللغة وتراكيبها: ١٤٦.

(٣) الطور/ ١٩.

(٤) الإتقان: ٢/ ٨٢١.

(٥) مغنى اللبيب: ٧٩٧، والبرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٧٦.

(٦)الإتقان: ٢/ ٨٢١.

(٧) القصص/ ٢٣ – ٢٤.

(٨)الإتقان: ٢/ ٨٢٢.

موسى – عليه السلام– عليهما، ولولا هذا الانزياح الاختزالي في البنية السطحية لتغيّرَت البنية العميقة وفات الغرض المراد.

لذلك فإن الارتكان إلى ذلك يوصلنا إلى أن السيوطي قد أدرك ((أن بعض النسقات الفعلية ذات الأفعال المتعدية أزيل عنصر المفعول فيها من الناحية المورفولوجية؛ لأن القدرة النحوية لهذه الأفعال قد أهملت وعوملت معاملة الأفعال اللازمة من حيث عدم الاحتياج إلى ذكر المفعول))[1].

ثم يبين التراكيب التي يعرض لها الاختزال بالحذف على عنصري الفاعل والمفعول، والإتيان بمصدر الفعل مع فعل الوجود العام، ومثّل لذلك بقوله: ((حصل حرقٌ أو نهبٌ))[2]. ويفسر التمثيل الدلالي لهما بوقوع الحدث بشكل مطلق كأنه حدث من تلقاء نفسه من غير أن ينسب إلى فاعل أو مفعول ما.

وصرّح السيوطي أن غياب عنصر المفعول في التركيب يؤدي مقاصد عديدة ودواعي مختلفة منهـا:

أ- **قصد البيان بعد الإيهام:** يوضح السيوطي أن غياب عنصر المفعول في بنية التركيب يؤدي إفادة البيان، ولذا سماه عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) بـ(الإضمار على شريطة التفسير)[3] وهو كثير الوقوع في فعل المشيئة، مثل بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ ﴾[4]، مستدركاً أن بنية هذه الآية حصل فيها الانزياح الاختزالي، وذلك بغياب مفعول المشيئة، فقدر البنية السطحية بـ(ولو شاء هدايتكم)[5].

وقد يراد بالعنصر المحذوف إبهام المعنى لتوضيحه بما يرد بعد المحذوف، و ((بناء الكلام على الإيضاح بعد الإبهام من أبرز المزايا البلاغية في صياغة العبارة

(١) الثنائيات المتغايرة: ٧٥.

(٢) الإتقان: ٢/ ٨٢١.

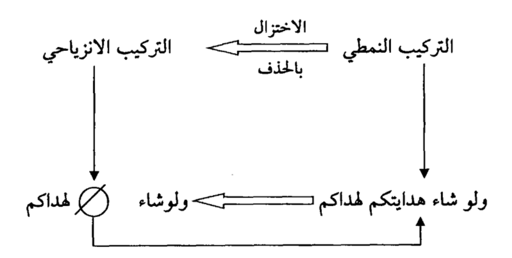
(٣) دلائل الاعجاز: ١٦٣.

(٤) النحل/ ٩.

(٥) الإتقان: ٢/ ٨٢٠.

وأمسها بطبائع النفس))[1]. وصرّح السيوطي أن بمساندة القرينة اللفظية (لهداكم) الذي وقع في جواب الشرط عُرِفَ أن مفعول المشيئة محذوف، بقوله: ((إذا سمع السامع (ولو شاء) تعلقت نفسه بمُشاءٍ أنبهم عليه، لا يدري ما هو، فلمّا ذُكر الجواب استبان بعد ذلك وأكثر ما يقع ذلك بعد أداة الشرط؛ لأن مفعول المشيئة مذكور في جوابها))[2].

يتضح مما ذكره أن البيان إذا ورد بعد إبهام وبعد تحريك له أبداً لطفاً ونبلاً، لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرك، وأنت إذا قلت: لو شئت – علم السامع أنك قد علقت هذه المشيئة في المعنى بشيء، فهو يضع في نفسه أن ههنا شيئاً يقتضي مشيئته له أن يكون أو ألاّ يكون، فإذا قلت (لهداهم) عرف ذلك الشيء[3]. وينبه إلى إجراء تغيير بنيوي في الإطار النسقي لهذه الآية بغياب عنصر المفعول (هدايتكم) لفعل الشرط (لو شاء) وإتيانه لجوابه؛ لأن ذكره في الجواب أصح قرينة دالة على الأول، ويتجلى ما ذكره السيوطي بهذه المعادلة:



(١) خصائص التراكيب: ٢٧٩.

(٢) الإتقان: ٢/ ٨٢٠.

(٣) دلائل الاعجاز: ١٦٣ – ١٦٤، التراكيب النحوية: ١٦٣.

وقد فطن السيوطي إلى الاستدلال بغياب مفعول المشيئة بغير مورفيم الشرط[1]، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[2]، وهذا ما ذهب إليه بعض الباحثين المتأخرين ومنهم الدكتور فاضل السامرائي الذي يرى اشتراط حذف المفعول بدخول أداة الشرط غير صحيح، بقوله: ((بل ورد الحذف كثيراً من غير دخول أداة شرط، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[3]. أي كيف يشاء أن يصوركم))[4].

ب- رعاية الفاصلة: زعم السيوطي أن عنصر المفعول قد يحذف في البناء الخارجي لفضاء التركيب بغية تناغم الفواصل[5]، والشاهد الذي ذكره قوله عز وجل: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[6]، فالتقدير (وما قلاك) فحذف المفعول في بنية التركيب؛ لأن فواصل الآية على الألف[7]، بغية تحقيق التنغيم الصوتي[8].

بيد أن بعضاً من الباحثين ومنهم الدكتورة عائشة عبد الرحمن أكدت أن المفعول حُذِفَ لغرض دلالي مبينة أن المعنى هو الذي اقتضى ذلك لا لرعاية الفاصلة: ((إنما اقتضاه المعنى في سياق البشرى والنذير إذ الآخرة خير وأبقى وعذابها أكبر وأشد وأخزى وأبقى، وإن الآخرة هي دار القرار))[9]. أما الدكتور فاضل السامرائي فيرى أن لهذا الحذف غرضاً بديعاً وسراً لطيفاً علاوة على الذي ذكر: ((وهو أن الحذف ههنا

---

(١) الإتقان: ٢/ ٨٢٠.

(٢) البقرة/ ٢٥٥.

(٣) آل عمران/ ٦.

(٤) معاني النحو: ٢/ ٨٧.

(٥) الإتقان: ٢/ ٨٢٠.

(٦) الضحى/ ٢.

(٧) ظاهرة الحذف: ٩٩ – ١٠٠.

(٨) السياق الموسيقي للجملة العربية: ٥٥.

(٩) التفسير البياني للقرآن الكريم: ٢/ ١١٤.

للإكرام والتعظيم وذلك أنه تعالى لم يرد أن يواجهه بالقلى فيقول (وما قلاك) وإنما اكتفى بالمفعول السابق إكراما لرسول الله من أن يناله الفعل))[1].

ج- قصد العموم والشمول: نصّ السيوطي على أن التركيب الفعلي قد يحذف منه عنصر المفعول لإعطاء دلالة العموم والشمول وعدم تقييد دلالته في نطاق معين بغية تحقيق مبدأ الإيجاز في الاستخدام اللغوي، وهذا ما دعا إليه الألسنيون، وسموه بمبدأ الاقتصاد اللغوي كما سبقت الاشارة إليه[2]، للاستغناء البنيوي عن استخدام مكونات لغوية ذات دلالة العموم والشمول[3]. ويستشهد السيوطي لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[4]، فالدعوة إلى دار السلام أي الجنة دعوة عامة لا يختص فيها واحد دون الآخر، فكأنه قال: ((والله يدعو كل ما تصح دعوته إلى الجنة))[5].

وصفوة القول: أن حذف مورفيم المفعول في هذه البنية هو لافادته دلالة العموم، ولو ذكر هذا المورفيم لفاتت الدلالة المتوخاة؛ لأنه ((لو استكملت العناصر اللغوية في التركيب الفعلي، وذكرت عناصر (الفعل والفاعل والمفعول) أفادت البنية الدلالية تقييد الدلالة الاسنادية القائمة بين الفعل والفاعل بجهة معينة، أما في حالة حذف عنصر المفعول والاكتفاء بعنصري الفعل والفاعل حين يكون الأمر المذكور حالة عامة عند الناس كلهم، فتعم الدلالة الاسنادية الكائنة بين الفعل والفاعل))[6].

ويمكن توضيحه بهذه الترسيمة:

---

(١) معاني النحو: ٢/ ٨١.

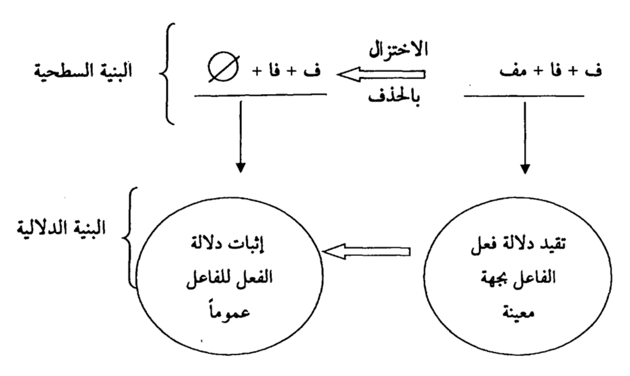
(٢) تنظر: الصفحة من هذا الكتاب.

(٣) علم المعاني (الجندي): ٨١، وعلم المعاني (عتيق): ١٤٢.

(٤) يونس/ ٢٥.

(٥) خصائص التراكيب: ٢٨٦.

(٦) الثنائيات المتغايرة: ٨٠.



د- حذف المضاف أو المضاف إليه

المضاف والمضاف إليه في التركيب كالكلمة الواحدة بينهما علاقة تلازم وهو الاضافة، وقد تطرق العلماء وفي مقدمتهم سيبويه(ت١٨٠هـ)[١] إلى هذه الظاهرة وبينوا التحويلات التي تجرى عليها اقتضاءً للسياق اللغوي وحاجة المقام.

- **حذف المضاف/** لقد شغف النحويون والبيانيون ببيان غياب مورفيم المضاف لاحتوائه سراً لغوياً وسحراً بيانياً يتمثلان في التعبير عن معانٍ كثيرة بأقل اللفظ مما لايمكن تحققه لو كان المضاف مذكوراً[٢].

نصّ السيوطي على كثرة وقوع حذف عنصر المضاف في القرآن الكريم، ويقوي نصّه بقول ابن جني(ت٣٩٢هـ)، قائلاً (حتى قال ابن جني: في القرآن منه زُهاء ألف موضع)[٣].ولكثرة حذف المضاف عدّه ابن جني (ت ٣٩٢هـ) ضرباً من الاتساع[٤].

(١) الكتاب: ١/ ١٧٦ – ١٧٨، ٢/ ٦ – ٧، ٢٧ ، ٢١٥، ٣/ ٨٢، ٤١٢ – ٤١٤.
(٢) النكت في اعجاز القرآن: ٧٥-٧٧، كتاب الصناعتين: ١٨٧.
(٣) الإتقان: ٢/ ٨٣٣.
(٤) الخصائص: ٢/ ٣٦٢.

ويستشهد السيوطي لذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾[1]. وقد اهتدى إليه من خلال مكونات التركيب والسياق وتحري البنية العميقة للتركيب التي تغيرت من خلال قاعدة الإنزياح (حذف) البنية السطحية. فقدرّ البنية السطحية بـ(حج اشهر) أو اشهر الحج. ويورد كثيراً من النصوص القرآنية[2]. موضحاً الحذف فيها بيان الهيئة التركيبية النمطية وهيئة التركيبية المنزاحة على النحو الآتي:

هيئة التركيب النمطي		هيئة التركيب الانزياحي
ولكن ذا البر من آمن	⟸	﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[3]
حرمت عليكم نكاح أمهاتكم	⟸	﴿عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾[4]
فأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات	⟸	﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾[5]
في تحرير الرقاب	⟸	﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾[6]

وعيّن السيوطي مواضع المباني المحذوفة في الآيات السابقة: (ذا البر) و(نكاح) و(عذاب) و(تحرير). إذن يتضح من وراء غياب العنصر اللغوي في التركيبة اضفاء المتعة النفسية من خلال تحريك الحس وتنشيط العقل لإيجاد العنصر المفقود في الكلام[7].

- **حذف المضاف إليه/** يحذف المضاف إليه، ولكن حذفه قليل قياساً بالمضاف وذلك أن المضاف يكتسب من المضاف إليه تعريفاً وتخصيصاً فحذفه يخلّ بالكلام

(١) البقرة/ ١٩٧.
(٢) الإتقان: ٢/ ٨٣٣.
(٣) البقرة/ ١٧٧.
(٤) النساء/ ٢٣.
(٥) الإسراء/ ٧٥.
(٦) البقرة/ ١٧٧.
(٧) التعبير القرآني والدلالات النفسية: ٣٢٨.

ويذهب بفائدته، خلاف المضاف نفسه فانه لا يخل حذفه من جهة ان المضاف إليه يذهب بفائدته ويقوم مقامه، في حين ذهب بعض العلماء إلى أن حذف عنصر المضاف إليه كثير الوقوع في اللغة لغرض الاختصار والتخفيف[1].

وذكر السيوطي اطّراد حذف هذه الظاهرة في المورفيم الشخصي (ياء) المتكلم، واستشهد لذلك بالآية القرآنية: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾[2].

وبيّن ورود حذف المضاف إليه في التراكيب بعد الظروف الزمانية[3]، واستشهد بقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[4]. فقدر السيوطي البنية السطحية بـ(من قبل الغلب ومن بعد)[5]، بيد أن بعضهم قدره بـ(من قبل كل شيء، ومن بعد كل شيء)[6]. ويوجد أكثر من تأويل لهذه الآية، غير أنه لا يخرج عن حذف عنصر المضاف إليه، ويتراءى مما سلف ذكره أن في حالة حذف المضاف يكون للمضاف إليه حالتان:-

١- أن يقوم مقام المضاف المحذوف فيعرب بإعرابه.

٢- بقاء مضاف إليه على جره بعد حذف المضاف.

ولا تتم الحالة الأولى إلا بشرط أمن اللّبس ووجود قرينة تدل على المضاف المحذوف[7]. إذ لا يصح الحذف إلا إذا دل عليه العقل؛ لأنه لا يصح الكلام ما لم يكن هناك مقدر محذوف، كقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[8]. أي تقديره (أمر ربك)، بمعنى

---

(١) مغني اللبيب: ٨١٤، ومعترك الاقران: ١/ ٣٢٤.

(٢) الأعراف/ ١٥١.

(٣) الإتقان: ٢/ ٨٣٣.

(٤) الروم/ ٤.

(٥) الاتقان: ٢/ ٨٣٣.

(٦) إعراب القرآن: ٣/ ٢٤٠، والخصائص: ٣/ ٣٦٣، وشرح المفصل: ٣/ ٣٠.

(٧) سر الفصاحة: ٢٠٢، والنكت في اعجاز القران: ١٠٣.

(٨) الفجر/ ٢٢.

عذابه؛ لأن العقل دل على استحالة مجيء البارئ عز وجل، ولا سيما أن المجيء من خصائص الحادث[1].

وكذلك بين السيوطي أنه قد يُستغني عن المضاف والمضاف إليه مستشهداً لذلك بطائفة من النصوص القرآنية[2]، منها قوله تعالى:﴿ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[3]. ذاكراً أن عنصر المحذوف يؤدي إلى الإيحاء بالأغراض والمقاصد المرجوة، وهو ((تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب))[4].

وقد افصح السيوطي عن حذف ثلاثة مضافات في بنية التركيب، واستدل بقوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾[5]. فقدره بالبنية السطحية: (كان مقدار مسافة قربه قاب قوسين)[6] فحذف ثلاثة من اسم كان وواحداً من خبرها.

هـ ـ حذف الصفة والموصوف:

ذكر السيوطي أن عنصر الموصوف يغيب في التركيب النحوي والمعوّل عليه في قوة الدلالة. ويدلل على ما ذهب إليه بقوله تعالى بـ ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾[7]. فأدرك بتمعنه الحاد وجود نقص الموصوف في هذه الآية، وذلك اعتماداً على أثره في البنية التحتية، وقد افصح لهذا التغيير الأسلوبي بأن الله أراد أن يبين فخامة وعظامة (الحور) لذا حذفت في هذه البنية التركيبية[8]؛ لأن في ذكرها طولاً وسامة، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفي بالحال عن ذكرها.

(١) الإتقان: ٢/ ٨٢٣.
(٢) الإتقان: ٢/ ٨٣٩ – ٨٤٠.
(٣) الحج/ ٣٢.
(٤) الإتقان: ٢/ ٨٣٩.
(٥) النجم/ ٩.
(٦) الاتقان: ٢/ ٨٤٠.
(٧) الصافات/ ٤٨.
(٨) الاتقان: ٢/ ٨١٨.

أما حذف الصفة، فنجد لدى استقراء العلماء للقرآن الكريم وكلام العرب قلة حذفها إلا عند وجود قرينة تدل عليها؛ لأنها ((جيء بها لغاية وفائدة، فالأصل عدم الحذف إذا دلت عليه الحال عليها، ولم تذكر للعلم بها))[1]. إذ أن الصفة تأتي لإيضاح الموصوف وبيانه، فيكثر قيامها مقام الموصوف.

ويرى ابن جني (ت٣٩٢هـ) إن قرينة (التنغيم) لها أثر فعال في بيان عنصر النقص في الدليل النظمي في التركيب، وذلك عند حذف صفة لموصوف ما. وقد استند في كلامه هذا إلى ما حكاه سيبويه(ت١٨٠هـ) من قولهم:((سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه لِما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: (طويل)))[2]. بإطالة الصوت استغناءً عن التصريح بصفات الممدوح وهي أبلغ في الدلالة من التصريح بالأوصاف، فالتنوع الصوتي كشف وجود نقص الصفة في البنية السطحية.

وذهب السيوطي إلى أن الصفة تنقص في التراكيب، ولا يسوغ هذا الحذف إلا في صفة تقدمها في التركيب ما يدل عليها، يستعرض لذلك بطائفة من آيات الذكر الحكيم[3]، منها قوله عز وجل: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾[4]. إذ يرى وجود عنصر نقص الصفة في البنية الخارجية؛ لأنه تقدم ما يدل عليها – المحذوف- قوله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[5].فإن عيبه اياها دليل على أن المأخوذ من السفن صحيح دون المعيب[6].وقد بسط د.مصطفى البُغا القول بشأن غرض الصفة المحذوفة بأنه ((لو لم تقدر الصفة المحذوفة لكان مفهوم كلامهم أنه لم يجيء بالحق قبل الآن، وذلك تكذيب للنبي المرسل،

---

(١) مسائل النحو والصرف:٢/ ٢٥٧.

(٢) الخصائص: ٢/ ٣٧٠ – ٣٧١.

(٣)الإتقان: ٢/ ٨٣٤.

(٤) الكهف/ ٧٩.

(٥) الكهف/ ٧٩.

(٦) المثل السائر: ٢/ ٣١٦.

وهو كفر))[1] فقد قدر السيوطي، صفة السفينة واستدل على الحذف بالقرائن اللفظية في الآية: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ ، إذ لا يطرأ على التركيب الاختزال بالحذف إلا بقرينة لفظية أو حالية تفهم من سياق الكلام ويكون تقديره بمساندة هذه القرينة[2].

وقد وسع السيوطي بحثه المتواصل عن العناصر المفقودة في السلوك اللغوي النمطي، في أسماء أخرى، كحذف (المعطوف عليه – المعطوف مع العاطف – المبدل منه – الحال – المنادى – مخصوص نعم – الموصول)[3].

٢- حذف الفعل:

تنبّه السيوطي إلى غياب الفعل في التراكيب الفعلية، وإطراد حذفه إذا كان مفسراً في الإطار النسقي للتراكيب الفعلية، ويمكنَ أن يقال في التركيب ذات الفاعل المقدم المسبوق بمورفيم الشرط (أن – إذا – لو) المختص بالدخول على الفعل[4].

واستدل لذلك بقوله تبارك اسمه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾[5]. إذ يرى وجود عنصر محذوف وهو (الفعل) في التركيب التوكيدي إذ إن الفعل المفسر (استجارك) دل على الفعل المحذوف[6]، فقدر البنية السطحية بـ(ان استجارك أحد من المشركين استجارك) ويتبين أنه قد أيد البصريين في إن (أحد) فاعل لفعل محذوف مذكور بعده، فلذلك يمكننا أن نعبر عن تفسير الآية التي ذكرها بالمنهج التحليلي المعاصر مما يأتي[7]:

S ⟶ =Art (vso/// + vso///)

(١) شرح مصطفى البغا بهامش رقم (٣) في الاتقان: ٢/ ٨٣٤.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٩.

(٣) ينظر: الإتقان: ٢/ ٨٣٤ـ٨٣٦.

(٤) الإتقان: ١/ ٤٧١، ٥٥٣، ٢/ ٨٣٦.

(٥) التوبة/ ٦.

(٦) مجمع البيان: ٥/ ١٤، والكشاف: ٢/ ١٤٠.

(٧) المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي:١٢٢.

ولقد أدرك السيوطي أن مورفيم (إن) يدخل على التركيب الفعلي، ولما أتى الاسم بعد هذا المورفيم جُعِلَ فاعلاً للفعل المحذوف ،وذلك لاختصاص دخوله على التركيب الفعلي ،وهذا ما أكده سيبويه(ت١٨٠هـ) قبله، بقوله إن مورفيمات الجزاء يقبح أن تقدم الاسماء فيها قبل الأفعال، ذلك لأنهم شبهوها بما يجزم[١].

وذكر كثرة حذف الفعل (القول)، والآية التي أوردها لذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا﴾[٢]. فقدر الكلام بـ(يقولان: ربنا)[٣]. وهذا لإجراء الأسلوبي كفيل بالانزياح من الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي، وإعادة العنصر المحذوف والتلفظ به مما يؤدي إلى الاستمرار في الاسلوب الخبري، مما يتضاءل النص القرآني من فحوى التلوين الاسلوبي الدال على حركة الحياة الحاضرة[٤].

ثم حكى أن عنصر الفعل ينقص من التركيب القرآني من غير تعيين للدلالة، وإنما يستعين بدليل آخر وهو أحكام الشرع، كالذي في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[٥]. موضحاً أن العقل هو الذي يحدد في هذه الآية العنصر المحذوف، بقوله ((فإن العقل يدل على أنها ليست المحَّرمة؛ لأن التحريم لا يضاف إلى الإجرام ، وإنما هو الحل يضافان إلى الأفعال، فعلم بالعقل حذف شيء وأما تعيينه وهو التناول فمستفاد من الشرع، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (وإنما حُرِمَ أكلها)[٦]؛ لأن العقل لا يدرك محل الحل، ولا الحُرمة))[٧].

---

(١) الكتاب: ٣/ ١٠١.
(٢) البقرة/ ١٢٧.
(٣) الإتقان: ٢/ ٨٣٧.
(٤) التصوير الفني في القرآن: ٤٩.
(٥) المائدة/ ٣.
(٦) صحيح البخاري: ٥/ ٣٥٠.
(٧) الإتقان: ٢/ ٨٢٣.

٣- حذف الحروف:

الأصل في الحروف إثباتها في التركيب، وعدم حذفها؛ لأنها ((هي التي وضعت لتدل على المعاني المختلفة كالنفي، والاستفهام، والظرفية، والاستعلاء والاستعانة، والاصاق وغير ذلك من المعاني التي قد لا تقع تحت حصر))[١]. غير أنه يؤتي بها لإختصار الكلام إذ إن ((حذف الحروف ليس بقياس... وذلك أن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصراً لها هي أيضاً، واختصار المختصر إجحاف به))[٢]. أي أن استخدام الحروف في الكلام هو لغرض الاختصار، فإذا حذف من الكلام، فإنه يعني اختصار المختصر، وهذا ما يرفضه القياس. وكان السيوطي قد عُنِيَ بهذا اللون من الاختزال، فأولاّه حقه من العناية، ودرسه دراسة مفصلة قائمة على رصد الوان الاختزال باشكاله وصوره وربطه بالدلالة، والغرض الذي حذفت فيه من أجله، ويتجلى ذلك بما هو آتٍ.

- حذف همزة الاستفهام:

قد تستغنى تركيب الاستفهام عن (الهمزة) الاستفهامية لدلالة سياق الكلام ونغمة المتكلم عليها، وللنحاة في جوازحذفها مذاهب، فسيبويه(ت١٨٠هـ) جعل غيابها ضرورة شعرية[٣]، واشترط غيره من النحاة لجواز غيابها أن يكون في الكلام ما يدل عليها، ولا سيما وجود مورفيم (أم) المعادلة لها[٤].

واستشهد السيوطي بنصوص قرآنية كثيرة مذكَّراً بغياب همزة الاستفهام في الدليل النمطي لتركيب الجملي، وكما يتضح فيما يأتي:

---

(١) نحو المعاني: ٧٦.

(٢) الخصائص: ٢/ ٢٧٣.

(٣) الكتاب: ٣/ ١٧٤.

(٤) شرح المفصل: ٨/ ١٥٤ – ١٥٥.

التركيب المنزاح			التركيب النمطي
﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾[1]	⟸ الاختزال بالحذف	سواء عليهم أأنذرتهم	
﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[2]	⟸	أهذا ربي	

- حذف مورفيم الجر:

نصّ السيوطي على حذف مورفيم الجر قبل (أنْ) و (أنَّ) المصدريتين بكثرة[3] ((وهو حذف قياسي لكثرة وروده في اللغة))[4]، ويستشهد بآيات قرآنية عديدة[5]، منها قوله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ ﴾[6]، إذ كان مدركاً لغياب مورفيم الجر في البنية السطحية فقدره بـ(بأن)، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى﴾[7]، أي أصل التركيب هو: في أن يغفر لي .

وتلتقي توجه المحدثين مع رؤية السيوطي [8] في حذف مورفيم الجر قبل الأداة (That) في الإنجليزية، إذ لا يكون النقص في هذا الموقع حاصلاً عن تكرار بعض العناصر في التركيب، كما هو الغالب، كما يتبين في الأمثلة الآتية:-

1. **I am Certain ∅ that Dick is loyal.**
2. **I am Certain of Dick's layality.**

حيث حذف مورفيم الجر (of) في البنية التركيبية للجملة الأولى قبل (that) .

(١) البقرة/ ٦.
(٢) الانعام/ ٧٦ – ٧٧.
(٣) الإتقان: ٢/ ٨٣٧.
(٤) ظاهرة الحذف: ٢٣٧.
(٥) الاتقان: ٢/ ٨٣٨.
(٦) الحجرات/ ١٧.
(٧) الشعراء/ ٨٢.
(٨) ظاهرة الحذف: ٢٣٧.

- **حذف مورفيم النداء:**

اتفق جلّ النحاة على أن مورفيم النداء ينوب مناب الفعل (أريد وأدعو وأعني)؛ لأنه ((مما يدّلك على أنه ينتصب على الفعل وأنّ (يا) صارت بدلاً من اللفظ بالفعل قول العرب: يا إيَّاك، إنما قلتَ: يا إيَّاك أعْني))[1].

يؤدي التركيب الندائي الوظيفة الانتباهية والانفعالية من القيمة الإبلاغية والحدة التعبيرية ما لا طاقة لغيرها به[2]، وذلك بالاستعانة بالمورفيمات الندائية، لكون ((أدوات النداء بأنواعها، والصيحات، والأصوات التلقائية الناتجة من الانفعالات الحادة أو العنيفة ترجع كلها إلى اللغة في خطواتها الأولى))[3].

وأجاز النحويون حذف مورفيم النداء في بنية التركيب، ومن ذلك قول المبرد (ت ٢٨٥هـ): ((هذا بابَ ما يجوز أن تحذف منه علامة النداء وما لا يجوز ذلك فيه، تقول: زيدُ أقْبل، وتقول: مَن لا يزال مُحسناً، تعالَ، وغلام زيدٍ، هَلُمَّ، ربِّ اغفر لنا))[4]. وورود تركيب النداء بمورفيم محذوف كثير في القرآن وكلام العرب بنظمه ونثره[5]، ويستثنى منه المندوب والمستغاث والمتعجب[6].

وقد أشار السيوطي إلى هذا الحذف، مبيناً علة الحذف تخفيفاً لكثرة دورانه في الكلام[7]، ويستشهد له بقوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ ﴾[8]، فحذف مورفيم النداء (يا) في بنية التركيب، والأصل التركيبي النمطي (يا يوسف أعرض) ويمثل لذلك بآيات

---

(١) الكتاب: ١/ ٢٩١، وينظر: المقتضب: ٤/ ٢٠٢، واللمع في العربية: ١٩٦، وشرح المفصل: ٩/ ٦٦، وهمع الهوامع: ١/ ١٧١.

(٢) مدخل إلى دراسة الصرف: ٩٥ – ٩٦، وقضايا الشعرية: ٢٧ – ٣٣.

(٣) العربية الفصحى: ١٨١.

(٤) المقتضب: ٤/ ٢٥٨.

(٥) التأويل النحوي: ١/ ٨٢٣.

(٦) همع الهوامع: ١/ ١٧٣، التأويل النحوي: ١/ ٨٢٣ وظاهرة الحذف: ٢٤٣.

(٧) الإتقان: ٢/ ٨١٩.

(٨) يوسف/ ٢٩.

قرآنية كثيرة[١]، ويرى السيوطي نقلاً عن الكرماني (ت ٥٠٠هـ) كثرة حذف (((يا) في القرآن من الرب تنزيهاً وتعظيماً؛ لأن في النداء طرفاً من الأمر))[٢]. وهذا ما أثبتته الدراسات الحديثة في أن التركيب الندائي يساوي التركيب الأمري في احتواء الخاصية الافهامية المشتركة بينهما[٣].

- حذف مورفيم النفي (لا):

يُعّد (لا) مورفيم النسق ينفي الفعل المضارع مثل: (لا يفلح الخائن)[٤]، ويكثر حذفه في المصادر المؤولة بـ(أن) والفعل[٥]، نحو قوله تبارك اسمه: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾[٦]، أي أن لا تضلوا، فضلاً عن ذلك يطّرد حذفه في جواب القسم إذا كان المنفي مضارعاً ناقصاً نحو: (ما زالَ – ما فتىء – ما انفك – ما برح) وهذا ما أومأ إليه السيوطي[٧]، ويستشهد لذلك بطائفة نصوص قرآنية، كقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ﴾[٨]، فتنبه إلى أن أصل التركيب هو (تالله لا تفتأ)، لأنه لو كان الجواب مثبتاً لدخلت اللام على الفعل وأكد بالنون وجوباً[٩]، ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾[١٠]، فالسياق دليل على النفي المحذوف لدى عامة أهل اللغة من الدلالة المتصلة بالصناعة النحوية وهي التي لا يدركها إلا المتخصصون[١١].

---

(١) الإتقان: ٢/ ٨٣٨.

(٢) الإتقان: ٢/ ٨٣٨.

(٣) قضايا الشعرية: ١١٠.

(٤) الصاحبي: ١٦٥.

(٥) التأويل النحوي: ١/ ٨٠٢.

(٦) النساء/ ١٧٦.

(٧) الإتقان: ٢/ ٨٣٨.

(٨) يوسف/ ٨٥.

(٩) الإتقان: ٢/ ٨٢٥.

(١٠) الانبياء/ ٥٧.

(١١) ظاهرة الحذف: ١١٢ وما بعدها.

وهذا ما أكده الدرس الحديث في أن القياس أن يقال (لا تفتأ)؛ لأن استعمالها نفي أو شبه نفي، إذا لم تأتِ بـ(لا) فهو نفي قطعاً، وقد أورد قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، فلم يحذف مورفيم (لا)؛ لأن هذا القول قاله إخوة يوسف، لكن هم أقسموا على أمر يتصورنه فالأمر إذن ليس مؤكداً ولم يحصل أصلاً فالذكر آكد من الحذف، ولذا لم تذكر (لا) في جواب القسم، ولقد جاء في الآية ما يفهم المعنى من دون الحاجة لذكر (لا) ولأن الذكر آكد من الحذف ولأن الأمر ليس مؤكداً عند إخوة يوسف[2].

- حذف مورفيم العطف:

بيّن السيوطي[3] أن مورفيم العطف قد يغيب في التركيب العطفي، إذا استدل عليه، واستدل بقول بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾[4]، موضحاً حذف مورفيم العطف (الواو) قبل (وجوه)؛ لأنه معطوف على الآية السابقة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾[5]، وقد ذكر أيضاً حذف المعطوف مع العاطف[6]،استدل بقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾[7]، فأصل التركيب النمطي لهذه الآية (والشر).

- حذف مورفيم (قد):

يختص مورفيم (قد) بالدخول على الفعل الماضي والمضارع المتصرفين والمثبتين ويشترط في الفعل المضارع أن يتجرد من النواصب والجوازم والسين وسوف[8].

(١) النساء/ ٦١.
(٢) التوسع في المعنى في القرآن الكريم: ٢- ٣.
(٣) الإتقان: ٢/ ٨٣٨.
(٤) الغاشية/ ٨.
(٥) الغاشية/ ٢.
(٦) الاتقان: ٢/ ٨٣٥.
(٧) آل عمران/ ٢٦.
(٨) الكتاب: ٣/ ١١٤-١١٥.

وتؤدي دلالة (تحقيق أو تقليل أو توقع أو تقريب أو تكثير)[1] بحسب ورودها في سياق التركيب.

ونصّ السيوطي على أنه قد يحذف (قد) مع الفعل الماضي إذا وقع حالاً[2]، نحو: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾[3]، التقدير: (وقد اتبعك) وهو مذهب البصريين، والكوفيون يخالفون ذلك إذ لا يرون في مثله حذفاً[4].

- حذف لام التوطئة:

سميّتَ بـ(اللام الموطئة) لأنها وطأت الجواب للقسم أي مهدته له، ويطلق عليها اللام المؤذنة ((لأنها تؤذن بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها))[5].

وتقع هذه اللام عند اجتماع الشرط والقسم قبل (إن)، للدلالة على أن الجواب بعدها إنما هو جواب لقسم مقدر قبلها، لا جواب الشرط، وجواب القسم قائم مقام جواب الشرط ومغنٍ عنه[6]. وإذا حذف القسم فالجواب أن تذكر اللام[7] كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ ﴾[8]، بيد أنه ورد حذفها في القرآن الحكيم على الرغم من حذف القسم قبلها، وهذا ما أشار إليه السيوطي[9]، ومستشهداً بقوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾[10].

---

(١) الإتقان: ١/ ٥٢٩ – ٥٣٠.

(٢) الإتقان: ٢/ ٨٣٩.

(٣) الشعراء/ ١١١.

(٤) مغني اللبيب: ٨٣٣.

(٥) ظاهرة الحذف: ٢٤٩.

(٦) الكتاب: ٣/ ١٠٧-١٠٨.

(٧) ظاهرة الحذف: ٢٤٩.

(٨) يوسف/ ٣٢.

(٩) الإتقان: ٢/ ٨٣٩.

(١٠) الأنعام/ ١٢١.

٤- حذف التركيب الجملي

القياس أن يذكر التركيب في سياق الكلام، بيد أنه يجوز في سياقات معينة حذف تركيب إذا دلت القرائن عليه؛ وذلك ((تجنباً للإطالة وجنوحاً إلى الاختصار))[١]، وقد تناول السيوطي حذف التركيب في اسلوبين وهما:

- **تركيب أسلوب الشرط**: إن أسلوب الشرط مكون من تركيبين فعليين، وكان الأصل في التركيب الفعلي ان يستقل الفعل بالفاعل نحو: قام زيد، إلا أنه لما دخل مورفيم الشرط ربط كلاً من التركيبين الشرط والجزاء أحدهما بالآخر، حتى أصبحا كالتركيب الواحد، فكما أن المبتدأ لا يستقل إلا بذكر الخبر كذلك الشرط لا يستقل إلا بذكر الجزاء، لصيرورة الشرط والجزاء كالتركيب الواحد[٢]. وبناء على ذلك وجد السيوطي[٣] أن بعض النصوص القرآنية أزيل أحد تركيبيها منها من الناحية المورفولوجية من غير أن يذكر الغرض البلاغي أو الدلالي من وراء ذلك الانزياح، ومن ذلك كثرة حذف تركيب الشرط المكون من (مورفيم الشرط + الفعل) بعد التركيب الطلبي، وأورد له عدداً من النصوص القرآنية، منها قوله تبارك اسمه: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٤]، فالتقدير: إن اتبعتموني. أما حذف تركيب جواب الشرط فساق لذلك أيضاً بشواهد قرآنية كثيرة[٥]، منها قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٦]، مبيناً حذف تركيب جواب الشرط في البنية المورفولوجية، وهي (فافعل).

---

(١) ظاهرة الحذف: ٢٥٣.

(٢)شرح المفصل: ١/ ٨٩.

(٣)الاتقان: ٢/ ٨٤٠.

(٤) آل عمران/ ٣١.

(٥) الاتقان: ٢/ ٨٤٠ – ٨٤١.

(٦) الأنعام/ ٣٥.

- **تركيب أسلوب القسم:** ويشبه بالحذف الذي يعترى أسلوب الشرط في الخط الأفقي لتقليل المعدل الكمي للعناصر السياقية، ما وقع في أسلوب القسم، ويعزى حذفه من قبيل النحاة[1] لكثرة الاستعمال، كما يعزى إلى طول مديات السياق لإشتماله على التركيبين، الأول تركيب القسم، والثاني تركيب جواب القسم، وفضلاً عن الترابط المعنوي بين هذين التركيبين، حيث يكون تركيب القسم تأكيداً لجواب القسم فلما كان ((كل واحد من القسم والمقسوم عليه جملة، والجملة عبارة عن كل كلام مستقل قائم بنفسه وكانت إحداهما لها تعلق بالأخرى، ولم يكن هناك من روابط تربط احداهما بالأخرى، كربط حرف الشرط بالجزاء))[2].وتنبّه السيوطي إلى الاختزال بالحذف في تركيب القسم أو تركيب جواب القسم وذلك لتفهمه لطاقة التماسك الثنائية لعلاقة الربط الجامعة بين التركيبين في أسلوب القسم، مستشهداً لذلك بالآيات الحكيمة[3]، ومن حذف تركيب القسم قوله تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾[4]، فحذف تركيب القسم (والله) ويصرح بكثرة حذف جوابه ((إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه، فإن المقصود يحصل بذكره، فيكون المقسم عليه أبلغ وأوجز))[5]. نحو قوله تعالى: ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾[6]. مبيناً أن ((في المقسم به من تعظيم القرآن، ووصفه بأنه "ذو الذكر" المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه والشرف والقدر، ما يدلّ على المقسم عليه، وهو كونه حقاً من عند الله غير مفترى كما يقول الكافرون))[7].ويومئ السيوطي كذلك إلى حذف أكثر من تركيب في النظم القرآني[8]،

---

(١) شرح المفصل: ٩/ ٩٤.

(٢)المصدر نفسه: ٩/ ٩٦.

(٣) الاتقان: ٢/ ٨٤١، وتنظر: ٢/ ١٠٥١ -١٠٥٢.

(٤) النمل/ ٢١.

(٥) الاتقان: ٢/ ١٠٥٢.

(٦) ص/ ١.

(٧) الاتقان: ٢/ ١٠٥٢.

(٨)الاتقان: ٢/ ٨٤١.

ويستدل بقوله تعالى: ﴿ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾[1]، فحصل الإختزال بالحذف في البناء الخارجي، والأصل: فارسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، ففعلوا، فأتاه فقال له: يا يوسف فيعزى كثرة هذا الحذف في ميدان القصص القرآني بغية ((الوصول إلى العناصر الجوهرية في القصة وإبرازها جلية واضحة، وفي تخطيها أيضاً حث للمخاطب وتحريك لمشاعره وإثارة لذهنه، إذ يفهم ذلك المشاهد المطوية ويقف عليها من خلال تأمله وتدبره أحداث القصة))[2].

(١) يوسف/ ٤٥ـ ٤٦.

(٢) علم المعاني (بسيوني): ٤٠٣.

الانزياح التوسعي

الانزياح التوسعي يعني تلك التغييرات السياقية التي عالجها القدماء ضمن فصائل إضافية زيدت على التركيب النمطي لتوكيد الدلالات الثانوية التي لا تتحصل في التركيب النمطي، وهذه الإضافات هي توسيع لنطاق التركيب، سواء أكان بتكثير التراكيب ورصفها بوساطة فن الإطناب البلاغي أم بإدخال مورفيمات لإضفاء دلالة التوكيد أو النفي أو دلالات زمنية... الخ.

إذ إن الانزياح التوسعي يتحقق بإكثار المكونات اللغوية؛ لأن ((كلّ ما يضاف إلى النواة الإسنادية... بصفة وظيفية عملية هو من الناحية التركيبية توسعه))[1]، أي أن هذا الإنزياح يقوم بتوسيع مَدَيات التركيب النمطي على مستوى الهيئة الخارجية والداخلية[2]؛ لإضفاء الطاقة الإيحائية والقيمة الجمالية وراء إجراء هذا التغيير البنيوي.

وهذا ما فطن إليه السيّوطي بتصنيفه هذا الإنزياح إلى صنفين ضمن فن الإطناب:-

١- **التوسّع بتعداد التراكيب:** وهو الصنف الخاص بالإطناب الذي يكون بتوسيع نطاق السياق بتعداد التراكيب المختلفة؛ لإنتاج دلالات خاصة، كما يتضح في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3].فحصل التوسع بإكثار التراكيب في هذه الآية لكون((الخطاب مع الثقلين، وفي كل عصر وحين، للعالم منهم

---

(١) مفاتيح الألسنية: ١١٦، وعلم الدلالة (بالمر): ٢٢١، والنص والسلطة والحقيقة: ٢٠٥.

(٢) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ٣٨١.

(٣) البقرة/ ١٦٤.

والجاهل، والموافق منهم والمنافق))[1]. ويستشهد السيوطى لذلك أيضاً بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾[2]، معللاً بتوسيع بنية تركيب هذه الآية بتركيب (يؤمنون به)؛ لأن ((إيمان حَمَلَة العرش معلوم، وحسّنه إظهار شرف الإيمان تركيباً فيه))[3]، مدركاً أن الهيئة التركيبية النمطية ناهضةٌ على أساس مراعاة الموقف الخارجي والأبعاد التداولية (Pragmatics) المحيطة بالسلوك اللغوي.

٢- **التوسع بالإضافة:** يعمل الانزياح بالإضافة على إثراء الإجراءات التركيبية بإدخال مورفيمات إلى نطاق التراكيب النمطية؛ لانزياحها إلى تركيبة مستجدة بُغية تزويدها بدلالات لا تنجم في غياب هذا الإجراء التوسعي الذي يمثل قيمة أسلوبية، وتتجلى أهميته في ((البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة))[4]، وهذه التغييرات البنيوية الجارية على الأسلوب يدعوها (ريفانير) التحفيز المضاعف[5].

وقد عرض السيوطي لهذا الانزياح بطائفة من المورفيمات التي تضاف إلى بنية التركيب بغية توسيع مَدَيات التركيب وإضفاء دلالات مستحدثة، وهذا الصنف يكون على أنواع وكما يأتي:-

أولاً/ الإضافة بالمورفيمات المؤكدة: يقوم هذا الانزياح بتحريك الخط التركيبي أفقياً ؛لإعطاء طاقات دلالية ثانوية، فيتم توسيع رقعة التركيب الاسمي النمطي بإضافة إحدى مورفيمات التوكيد المتمثلة بـ(إنّ)؛ لاعطاء التركيب دلالة التوكيد والتحقيق كان عند السائل شك في سؤال. ويشير السيوطي إلى نسب تفاوت التركيب النمطي ما بين مستويات من أداء المركب الاسمي، بحسب قوة إنكار المخاطب للكلام وضعفه[6].

---

(١) الإتقان: ٢/ ٨٤٢.

(٢) غافر/ ٧.

(٣) الإتقان: ٢/ ٨٤٢.

(٤) علم الأسلوب: ٨٦.

(٥) معايير تحليل الأسلوب: ٧٦.

(٦) الإتقان: ٢/ ٨٤٢، وينظر:١/ ٤٩٤.

وأورد لهذه المسألة آيات من الذكر الحكيم ،وهي خير شاهد يصور هذا الأصل الدقيق في بناء الأسلوب، فقوله تعالى في المرة الأولى: ﴿ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾[1]، مبيناً أن خطاب الرسول -عليه السلام- لأصحاب القرية مؤكداً في التركيب الأول بإضافة مورفيم (إنّ) في بنية التركيب الاسمي؛ وذلك لأنهم كذبوا وهم منكرون رسالته، وقد ردّ أصحاب القرية كلام الرسل بعد هذا الخطاب الأول في المرة الثانية: ﴿ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾[2]، فخاطبهم للمرة الثانية بإسلوب أكثر توكيداً، وذلك بإضافة مورفيمَي (إنَّ واللام) في إطار التركيب الاسمي، وبإضافة القسم (ربنا يعلم)؛ لكونه ((جارٍ مجرى القسم في التوكيد))[3].

ويَصِفُ السوطي تركيب الآية الثانية بأنها أقوى من الآية الأولى وأوكد؛ وذاك ((إذا اجتمعت (إنّ) و(اللام) كانتا بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات؛ لأن (إنَّ) أفادت التكرير مرتين، فإذا دخلت اللام صارت ثلاثاً)) [4]. ويبدو من كلامه أن التراكيب التي تدخلها (إنَّ) المشددة بمثابة تكريرها ثلاث مرات.

وفي المرة الثالثة كان أصحاب القرية أشد إنكاراً مما سبق، لذا خاطبهم في هذه الحالة بقولهم: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾[5]، أي لستم رسلاً؛ لأنهم يعتقدون أن الرسل ليسوا بشراً، وينكرون أن الله أنزل شيئاً عليهم وعلى غيرهم، وسموا رسل الله بالكذب، ولما عجز التركيب السابق عن إقناع أهل القرية؛ وذلك لشدة إنكارهم وعنادهم، فإن كان ((إنكاره إنكاراً غير مستحكم في نفسه أكد بمؤكد واحد، وإن كان مستحكماً تضاعفت عناصر التوكيد بمقدار تصاعد حالة الإنكار))[6].

---

(١) يٰس/ ١٤

(٢) يٰس/ ١٦.

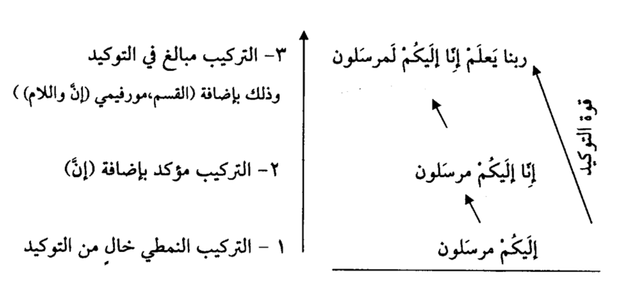
(٣) الكشاف: ٣/ ٢٨٣.

(٤) الإتقان: ٢/ ٨٤٤.

(٥) يٰس/ ١٥.

(٦) خصائص التراكيب: ٤٨.

المورفيمات المضافة موضحاً إياها بأسلوب التدرج في توكيد مضمون التراكيب اللغوية، ولا سيما التركيب الاسمي بحسب ما يتطلبه المقام الخارجي، فكأن الأداء اللغوي يستمد طاقته التوكيدية من المعطيات الاجتماعية؛ إذ ((تتكاثر عناصر التوكيد وفقاً لتصاعد أحوال المنكر))[1]، ويمكن توضيح رؤيته اللغوية بهذا المخطط الآتـي:-



وتمثل (إنَّ) في هذه المهمة التركيبية والدلالة التوكيدية (أنَّ) ويميّز السيّوطي بين وظيفة مورفيم (إنّ) ومورفيم (أنّ) في إضفاء دلالة التوكيد مبيناً أن مورفيم (إنَّ) آكد منها؛ ((لأن التأكيد في المكسورة للإسناد، وهذه لأحد الطرفين))[2].

وفيما يخص مورفيم (ألاَ) الاستفتاحية حكى السيّوطي عن الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)[3] وظيفة (ألا) بأنه يدخل على البنى التركيبية الفعلية والاسمية، ويتم توسيع نطاقه التركيبي تناسباً مع دلالة التنبيه والتحقيق لما بعدها ((ولذلك قل وقوع الجمل بعدها إلاَّ مُصَدَّرة بنحو ما يُتلقى به القسم))[4]، ولتوثيق ذلك يستشهد بقوله تعالى:

(١) المصدر نفسه: ٤٦.

(٢) الإتقان: ١/ ٤٩٤ .

(٣) الكشاف: ١/ ٣٣.

(٤) الإتقان: ١/ ٤٨٠.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾[1]، وقوله: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾[2]، فأدرك السيوطي كيفية تغيير الدليل النظمي لهذين التركيبين بإجراء عملية الإضافة على عناصره النحوية بغية الجمال التركيبي والدلالي وكما يأتي:-

إنَّهم هَم السُّفَهاءَ ⟵ الانزياح بالإضافة ⟵ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾

يَوْمَ يَأْتِيهمْ لَيْسَ مَصْروُفاً عَنْهُم ⟵ ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾

وينزاح التركيب الفعلي إلى هيئات منزاحة متنوعة بإدخال المورفيمات عليه؛ لإنتاج دلالات متباينة تحددها نوعية المورفيم ومؤشرها الدلالي، فضلاً عن المقام الذي يكتنف عملية إضافته إلى السياق[3]. ومن ذلك إضافة (قد) إلى الفعل الماضي، وتؤدي حينئذ دلالة تحقيق وتقريب زمن الماضي من الحال[4]، ويستشهد السيوطي بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[5]، ويمكن توضيحه بهذه المعادلة:

ت. ف = قد أفلح المؤمنون

ت. ف = (ف+فا)e/

و((ألحقت العربية (قد) بالبناء... ليدل المركب على معنىً زائد على ما يدل عليه البناء المطلق نفسه من تأكيد وقوع الحدث وإزالة الشك في وقوعه، وهو ما عبر عنه النحو بالتحقيق))[6]

---

(١) البقرة/ ١٣.

(٢) هود/ ٨.

(٣) الفعل زمانه وأبنيته: ٢١، وأقسام الكلام العربي: ١٠٨، ١٦١.

(٤) الإتقان: ١/ ٥٢٩.

(٥) المؤمنون/ ١.

(٦) في النحو العربي نقد وتوجيه: ١٤٨- ١٤٩.

ويجري السيوطي الموازنة بين التركيب النمطي الخالي من (قد) والتركيب المنزاح المضاف بـ(قد) الذي يعمل على إيصال المضمون الإخباري بصورة قطعية وجلية مجردة من الدلالات الاحتمالية بقوله: ((تقول: قام زيد، فيحتمل الماضي القريب والماضي البعيد، فإن قلت: قد قام، اختصَّ بالقريب))[1]. وإذا أضفت (قد) على الفعل المضارع فأنها تفيد دلالة (التقليل، والتكثير)[2] بحسب معطيات السياق اللغوي والمقام الخارجي، ويستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[3]، فيرى معناه على قول الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)[4]: (تكثير الرؤية).

وقد يتم توسيع إطار التركيب الاسمي بإضافة إحدى المورفيمات المشبهة بالفعل وهي (لعلَّ، ليتَ، كأنَّ) التي لا تستغنى بنفسها عن الدلالة الإسنادية الأصلية في التركيب الاسمي، بل تتسرب الدلالات التوكيدية إلى هذه الدواخل التركيبية من (ترَجّ وتَمَنّ وتشبيه)، وتعمل هذه الدواخل على إحداث تغير وظيفي إجباري حيث يتغير ركن المسند إليه (المبتدأ) من حالة الرفع إلى النصب، وهذا ما أشار إليه السيّوطي[5]، ومثّل لكل منهما بنصوص قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[6]، فأفاد دخول (لعل) في البنية التركيبية لهذه الآية دلالة التوقع والتوكيد والتَرَجّي.

ويبين السيوطي على لسان بعضهم أن مورفيم (كأن) يضاف في نطاق التركيب التشبيهي؛ لإعطاء قوة التشبيه، حتى يكاد الرائي يشك في أن المشبه هو المشبه به أو غيره[7]، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى على لسان بلقيس:﴿ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾[8].

---

(١) الإتقان: ١/ ٥٢٩ – ٥٣٠.

(٢) الإتقان: ١/ ٥٣٠.

(٣) البقرة/ ١٤٤

(٤) الكشاف: ١/ ١٠٠.

(٥) الإتقان: ٥٣٤، ٥٤٩، ٥٥٧.

(٦) البقرة/ ١٨٩.

(٧) الإتقان: ١/ ٥٣٥.

(٨) النمل/ ٤٢.

فيضاف مورفيم الشرط (أمّا) على بنية التركيب الاسمي النمطي، فيوسع إطارها النمطي لأداء دلالة التوكيد، وقد أجرى السيوطي موازنة بين التركيب النمطي الخالي من (أما) والتركيب المنزاح المزود بـ(أما) على الصعيد الخارجي والداخلي، موضحاً تفسير الزمخشري(ت٥٣٨ هـ) لهذه الهيئة بقوله: ((فقال الزمخشري: فائدة أما في الكلام أن تعطيه فضل توكيد، تقول: (زيد ذاهب)، فإذا قصدت توكيد ذلك، وأنه لا محالة ذاهب، وأنه بصدد الذهاب، وأنه منه عزيمة، قلت: (أمّا زيدٌ فذاهبٌ)؛ ولذلك قال سيبويه في تفسيره فمهما يكن من شيء فزيد ذاهب))[١]. فيلحظ أنه بنى التمايز الدلالي بين الهيئة التركيبية النمطية والمنزاحة على أساس الحاجات المقامية التي لها انعكاس إحالي في فضاء التركيب وطبيعة إطاره النسقي.

وتضاف بعض المورفيمات الدالّة على أبعاد زمنية نحو: (السين وسوف) إلى التركيب الفعلي المضارعي؛ لتحرير زمن المضارع من دائرته الضيّقة –الحال- إلى دائرة أوسع، وهو الاستقبال[٢] ونقل السيوطي عن بعضهم ((أنها قد تأتي للإستمرار لا للإستقبال، كقوله تعالى: ﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ ﴾[٣]، و ﴿ سَيَقُولُ ﴾[٤]؛ لأن ذلك إنما نزل بعد قولهم: (ما وَلاَّهُمْ) فجاءت السين إعلاماً بالاستمرار لا للاستقبال))[٥].

بيد أنه لا يتفق مع رأي هؤلاء بدليل عرض قول ابن هشام (ت ٧٦١هـ)[٦]، قائلاً: ((وهذا لا يعرفهُ النحويون، بل الاستمرار مستفاد من المضارع، والسين باقية على الاستقبال، إذ الاستمرار إنما يكون من المستقبل))[٧]. ويتفق مع مذهب البصريين في أن مورفيم (سوف) أوسع زماناً من مورفيم (السين) بقوله: ((سوف: كالسين،

(١) الإتقان: ١/ ٤٨٦.

(٢) مغني اللبيب: ١٨٤، الزمن واللغة: ١٦٢- ١٦٣.

(٣) النساء/ ٩١.

(٤) البقرة/ ١٤٢.

(٥) الإتقان: ١/ ٥١٦.

(٦) مغني اللبيب: ١٨٤.

(٧) الإتقان: ١/ ٥١٦.

وأوسع زماناً منها عند البصريين؛ لأن كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى... وتنفرد عن السين بدخول اللام عليها، نحو: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾[1]))[2].

ويوجب السيوطي صُوَراً تساعية أخرى للتراكيب اللغوية، وذلك بإضافة المورفيمات المزيدة؛ التي ((تفيد فضل تأكيد وبيان بسبب تكثير اللفظ بها، وقوة اللفظ مؤذنة بقوة المعنى، وهذا المعنى لا يتحصل إلا مع الكلام))[3]. ويفهم من هذا النص أن المورفيمات المزيدة تفيد التوكيد وتضفى على التركيب دلالة أقوى، وهذا ما نجده في عرضه.

لقول بعضهم عن هذه المسألة، قائلاً: ((وسئل بعضهم عن التأكيد بالحرف وما معناه، إذ إسقاطه لا يخلّ بالمعنى؟ فقال: هذا يعرفه أهل الطباع، يجدون من زيادة الحرف معنى لا يجدونه بإسقاطه. قال: ونظيره العارف بوزن الشعر طبعاً، إذا تغيّر عليه البيت بنقص أنكره وقال: أجد نفسي على خلاف ما أجدها بإقامة الوزن، فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع بنقصانها، ويجد نفسه بزيادتها على المعنى بخلاف ما يجدها بنقصانه))[4].

وذكر السيوطي طائفة من هذه المورفيمات منها: (إن، أن، إذ، إذا، أم، الباء، الفاء، الكاف، اللام، لا، ما، من، الواو)[5]. وفيما يأتي عرض لبعض هذه المورفيمات ولا نتناول جميعها لضيق المجال ومنها:

أ. **الباء**: وهي من المورفيمات التي تزاد في بنية التركيب الاسمي فيوسع حدود تركيبها لأداء دلالة التوكيد؛ و ((ما يستغنى عنه إعراباً، ولا يحتاج إلى متعلق ولا

(١) الضحى/ ٥.

(٢) الإتقان: ١/ ٥١٦.

(٣) شرح المفصل: ٨/ ٤.

(٤) الإتقان: ٢/ ٨٤٥.

(٥) الإتقان: ١/ ٤٦٨، ٤٧٣، ٤٨٢، ٤٨٥، ٤٩٠، ٤٩٣، ٥٠٤، ٥٢٨، ٥٣١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٥، ٥٥٩، ٥٦٤، ٥٧٢، ٢/ ٨٤٥.

يستغنى عنه معنى؛ لأنه يؤتى به لتوكيد مضمون الكلام))[1]. وتزاد في مواضع كثيرة، وقد فصل النحاة القول فيها[2]، وهذا ما نجده عند السيوطي، إذ لم يكتفِ بتحديد العنصر المزوّد أو المضاف، بل ذكر ما يرافقه من أحكام الوجوب أو الجواز، قائلاً: ((فتزاد في الفاعل وجوباً في نحو: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾[3]، وجوازاً في الأغلب، نحو قوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[4]، فإن الاسم الكريم فاعل، و (شهيداً) نصب على الحال أو التمييز، والباء زائدة، ودخلت لتأكيد الاتصال؛ لأن الاسم في قوله: (كفى بالله) متصل بالفعل اتصال الفاعل))[5]. ويقوى فيما يذهب إليه بقول ابن الشجري(ت٥٤٢هـ)[*]، قائلاً: ((وفعل ذلك إيذاناً بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره في عظم المنزلة، فضوعف لفظها لتضاعف معناها))[6].

ب. **الكاف**: يُوَسَّع إطار التركيب المنفى بـ(ليس) بإضافة مورفيم (الكاف) في عنصر الاسم؛ لإعطاء دلالة توكيد النفي[7]، و بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ﴾[8]، فبيّن السيوطي أنه لم تقدر الكاف الزائدة لزم إثبات المثل وهو محال، والقصد بهذا الكلام نفيه، ويتوغل الدكتور مصطفى البُغا في تعليل ذلك ((إذ يصير المعنى: ليس مثل مثله شيء، فيكون النفي لمثل المثل، وهو إثبات للمثل))[9]، والقصد ((نفي مثله سبحانه وتعالى، إذ كان له مثل لكان هو مثل مثله، إذ التقدير: أنه موجود، ومغايرته لما تقدم أن

(١) الرشيد في النحو العربي: ٣٧.

(٢) مغنى اللبيب: ١٣٧-١٥١، والبحر المحيط: ٢/ ٧١.

(٣) مريم/ ٣٨.

(٤) النساء/ ٧٩.

(٥) الإتقان: ١/ ٥٠٤.

(*) هو هبة الله علي بن محمد بن عبدالله، المعروف بابن الشجري، كان أوحد زمانه، وفرد أوانه في علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها. ينظر بغية الوعاة : ٢/ ٣٢٤.

(٦) الإتقان: ١/ ٥٠٤.

(٧) الإتقان: ١/ ٥٣١.

(٨) الشورى/ ١١.

(٩) شرح الدكتور مصطفى البغا بهامش رقم (١) في الإتقان: ١/ ٥٣١.

مبناه إثبات اللزوم بين وجود المثل ووجود مثل المثل؛ ليكون نفي اللازم كناية عن نفي الملزوم دون العكس))[1].

ج. لا: ويشير السيوطي إلى حالة أخرى لاتساع نطاق التركيب بإضافة (لا) إليه لأداء دلالة التوكيد، مثل قوله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾[2]، كأنه قال ((ليعلموا))[3]، ونقل عن ابن جني(ت٣٩٢هـ) بقوله: ((لا هنا مؤكدة، قائمة مقام إعادة الجملة مرة أخرى))[4].

وأشار لذلك أنها تزاد في السياق توطئةً وتمهيداً لنفي الجواب، كما في قوله تعلى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[5]، والتقدير: ((لا أقسم بيوم القيامة لا يتركون سُدًى))[6]، والقصد من ذلك ((أنه لا يعظم بالقسم؛ لأنه في نفسه عظيم أقسمَ به أولاً ويرتقي من هذا التعظيم إلى تأكيد المقسم عليه، إذ المبالغة في تعظيم المقسم به تتضمن المبالغة فيه... والمعنى على تعظيم المقسم عليه لا المقسم به))[7].

د. مِنْ: ويوسع المورفيم (مِنْ) حدود تركيب السياق في النفي أو النهي أو الاستفهام بدخوله كمورفيم إضافي لإضفاء دلالة التوكيد[8]، وأورد السيوطي لهذا الانزياح آيات قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾[9]، فأدرك أن مورفيم (من) زائدة جاءت في سياق النفي للتوكيد.

---

(١) روح المعاني: ٢٥/ ١٩.

(٢) الحديد/ ٢٩.

(٣) الإتقان: ١/ ٥٤٥.

(٤) الإتقان: ١/ ٥٤٥.

(٥) القيامة / ١.

(٦) الإتقان: ١/ ٥٤٥.

(٧) روح المعاني: ٢٩/ ١٣٦.

(٨) الإتقان: ١/ ٥٦٤.

(٩) الأنعام/ ٥٩.

التركيب النمطي { وما تسقط مِنْ ورقةٍ إلا يعلمها ⟸ (الانزياح بالإضافة) وما تسقط ورقةٍ إلا يعلمها } التركيب المنزاح

ويبيّن السيوطي أنَّ بعض القومِ أجاز إضافةَ (مِنْ) في سياق الإيجاب[1]، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2].

ثانيا/ الإضافة بمورفيمات النفي: تقوم مورفيمات النفي بتوسيع مَدَيات التركيب النمطي على مستوى الهيئة الخارجية والداخلية؛ لإمكانية هذه المورفيمات التوسعية من انزياح التركيب المُثبَت إلى التركيب المَنفي، بيد أن هذه المورفيمات على الرغم من امتلاكها قدرة استلابية لمضمون التركيب المثبت، فبعضها تؤدي مؤشرات زمنية، مما يدل على أن هذه المورفيمات النافية تتسم بسمة المورفيمات الموسومة (Marked) في مقابل المورفيمات غير الموسومة (Un Marked)[3].

فالمورفيمات النافية تُعَدّ جزءً من البناء التركيبي اللغوي عند تحديد الزمن النحوي في الفعل، فقد تحدث اللغويون القدامى والمحدثون عن تخصيص المورفيمات لمعاني أبنية الفعل وتنويعها[4]، وقسم السيّوطي تركيب النفي تبعاً للزمن الذي تنفيه المورفيمات على الأقسام الآتية:-

(١) الإتقان: ١/ ٥٦٤.

(٢) الأنعام/ ٣٤.

(٣) بلاغة الخطاب: ٩٩، وأفكار وآراء حول اللسانيات: ٩٦، ونظرية النحو العربي: ١٤.

(٤) الكتاب: ١/ ٥٧، والمقتضب: ١/ ٤٦ – ٤٧ و ٢/ ٦ – ٧ و ٣٣٤ – ٣٣٥، وشرح المفصل: ٧/ ٢٩، ٨/ ١٠٧-١١٢، والجنى الداني: ٢٨٠، ٢٨٤، ٣٠٠، ومغني اللبيب: ٣١٣، ٣٣٥، وفي النحو العربي نقد وتوجيه: ١٥١ – ١٦٠ ، ٢٤٨,٢٤٩ ,وأساليب النفي: ٣٥ – ٣٨، ٥٥- ٥٦، ١٠٠، ١٠٧ – ١٠٩، ومعاني النحو: ٤/ ١٦٢-١٩٠، واللغة العربية معناها ومبناها: ٢٤٠ – ٢٥٦.

أولاً: مورفيمات الحال:

أ- **لا/** توصف مورفيم (لا) بوظيفة نفي زمن الحال في التركيب العربي، وهو أقدم مورفيمات النفي في العربية[1]، وبيّن السيوطي أوجه مورفيم (لا) النافية الداخلة على التركيب والدلالة التي تؤديها، منها تفيد التنصيص على استغراق نفي الجنس كله، وهي الداخلة على تركيبة اسمية، فيعمل عمل (إنّ)[2]، ويسمى بـ(لا التبرئة)[*]. التي لا تدخل إلا على اسم نكرة بإجماع جمهور البصريين[3].

ويؤكد السيوطي أن دلالة اسم (لا) المفرد عندما تكون لنفي الجنس هي دلالة شاملة، بحيث لا يخرج عن أحد أفراده، ويكون مبنياً في حالة المفرد، فيعامل معاملة تركيب خمسة عشر[4]، وإنما يظهر نصبها إذا كان اسمها مضافاً أو شبهه[5]، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[6]، نفى عنه الريبة بمورفيم (لا) على سبيل الاستغراق، مع أنه ارتاب فيه المرتابون، لكن نزل منزلة العدم؛ تعويلاً على ما يزيله من الدلالة الباهرة، كما نزّل الإنكار منزلة عدمه[7]؛ لذلك ((ما نفى أنّ أحداً لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقاً للمريب ومظنة له؛ لأنه من وضوح الدلالة وسطوح البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع منه))[8].

---

(١) أساليب النفي: ٣١، والتطور النحوي: ١٦٨، ومعاني النحو: ٤/ ١٧٥، والتراكيب اللغوية: ٢٦٨.

(٢) الإتقان: ١/ ٥٤٤.

(*) وقد استخدم هذه التسمية الفراء لتبرئة المتكلم وتبرئة الجنس عن معنى الخبر. ينظر: معاني القرآن (الفراء): ١/ ١٢٠.

(٣) همع الهوامع: ١/ ١٢٥.

(٤) مغني اللبيب: ٣١٣.

(٥) الإتقان: ١/ ٥٤٤.

(٦) البقرة/ ٢.

(٧) الإتقان: ٢/ ٨٤٣.

(٨) الكشاف: ١/ ١٩.

يلحظ أن دخول (لا) تفيد دلالة عنصر نفي الجنس نفياً عاماً على سبيل التنصيص، وهذا النوع يقول عنه المستشرق (غراتيشيا غابوتشان): ((أما الاسم بدون الأداة (ال) الذي يعبر عنه معنى التعميم، فينظر إليه على أنه نكرة في صيغته ولكنه معرفة في مضمونه))[1].

وتوصل السيوطي من خلال استقرائه للحدث اللغوي أن بعض التراكيب اللغوية تؤدي دلالة النفي العام المستغرق لجميع الأعضاء بحسب عنصر الخبر وذلك بقوة مورفيم (لا) النافية للجنس الداخلة، كما يلحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾[2].

وصرّح كذلك أنه ينفي زمن الحال إذا عمل مورفيم (ليس)[3]، مثل قوله تبارك اسمه: ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[4]، أما دخوله في البنية التركيبية الفعلية فينفي حدوث الفعل، وإذا دخل على فعل الماضي فتنفيه بشرط تكرارها[5]، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾[6]، فكرر مورفيم (لا) مع الفعل؛ وذلك ((تقوية للكلام، وتوكيداً للنفي))[7].

ب- **ليس/** تطرق العلماء القدماء إلى مورفيم (ليس) في فضاء التركيب الجملي، فقال الجمهور بفعليتها مطلقاً[8]؛ لاتصال تاء التأنيث الساكنة وضمائر الرفع البارزة بها، وهذا هو رأي صاحبنا السيوطي[9] في فعلية هذا المورفيم.

---

(١) نظرية أدوات التعريف والتنكير: ٦١ نقلاً عن التعريف والتنكير في النحو العربي: ١٦٦.

(٢) البقرة/ ٢٥٤.

(٣) الإتقان: ١/ ٥٤٤.

(٤) يونس/ ٦١.

(٥) الإتقان: ١/ ٥٤٤ – ٥٤٥.

(٦) القيامة/ ٣١.

(٧) التراكيب اللغوية: ٢٦٩.

(٨) الكتاب: ١/ ٤٥-٤٦، ٢/ ٣٧، ٣٤٧- ٣٤٨، والمقتضب: ٤/ ٨٧، ٤٠٦، وشرح المفصل: ٧/ ١١١- ١١٢، ٢/ ٩٦، والجنى الداني: ٤٥٩، ومغني اللبيب: ٣٨٩، وهمع الهوامع: ١/ ١١٥.

(٩) الإتقان: ١/ ٥٧٧.

ولسنا بصدد تحقق القول في الأصل الذي جاء منه مورفيم (ليس)[*]، ولا في الصيغة التي تطورت عنها، فبدخول مورفيم النفي على تركيب اسمي يتم توسيع إطارها الشكلي وتتحول دلالتها من حكم الإثبات إلى حكم النفي، وصرّح السيوطي بوظيفته في إطار التركيب، وهو نفي مضمونه في زمن الحال، وتنفي أزمنة أخرى بحسب ما تدل عليه القرائن في السياق وأستدل فيما يشير إليه وقوّاه بقول أبن الحاجب(ت٦٤٦ هـ)[1] في قوله تعالى: ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا ﴾[2]، فأفاد مورفيم ليس نفي زمن المستقبل؛ وذلك لوجود قرينة لفظية وهو الفعل المضارع (يأتيهم) في سياق الآية.

ويضارع مورفيم (لا) التبرئة في حمله لدلالة نفي العام المستغرق للجنس[3]، وذلك نقلاً عن ابن مالك(ت٦٧٢ هـ)، واحتج عليه بقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾[4].

ج- ما/ يكون الاتساع في سياق النفي بإضافة (ما)، والوظيفة التي تؤديها في بنية التركيب تكون على نوعين: الأول، وهي عاملة إذا دخل في التركيب الاسمي؛ لأنها تضارع (ليس) في نفي الحال، بيد أنها آكد من (ليس)؛ ((فإنـها تقع جـواباً للقسم، تقول: (واللهِ مَا هو بِمنْطَلِقٍ) بخلاف (ليس)))[5]. وهي أوسع استعمالاً من (ليس)،

(*) زعم الخليل ومن خلفه أن أصلها من (لا أيس) فطرحت الهمزة، والزِقتَ اللام بالياء، فالعرب تقول: ائتيني به من حيث أَيسَ ولَيْسَ، أي من حيث هو ولا هو فأيس يعني الوجود وليس بمعنى عدم الوجود. ويقابل ذلك في الارامية المادة ْيثْ التي تفيد الوجود، والمادة ْايشْ في العبرية، فكأن ليس: أيس ومعناها لا شيء ثم قوى التركيب على طريقة النحت فصارت ليس.ينظر لسان العرب مادة (ليس): ٦/ ٢١١ – ٢١٢، والتطور النحوي: ١٦٩، والفعل زمانه وأبنيته: ٦٥-٦٦.

(١) شرح الكافية: ١/ ٢٦٦.

(٢) هود/ ٨ .

(٣) الإتقان: ١/ ٥٥٧.

(٤) الغاشية/ ٦.

(٥) معاني النحو: ٤/ ١٦٤.

فـ(ما) تدخل على التركيب الاسمي والفعلي وتنفيهما، أما (ليس) فمختصة بنفي التركيب الاسمي. والثاني فهي غير عاملة، حكى سيبويه(ت١٨٠هـ) أن إهمالها لغة بني تميم[١]، فهي الداخلة على التركيب الفعلي، فإذا دخلت على الفعل الماضي بقي زمن التركيب على المضي، وإذا دخلت على المضارع خلصته للحال عند الأغلبية[٢]، وهذا ما نجده عند السيوطي[٣]، ولم يزد عما ذكره العلماء ممن سبقوه، فبيّن دلالة زمنية لمورفيم (ما) بكونه يفيد نفي الحال، ويُنقل ذلك عن ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ) بقوله: وذكر أن هذا النمط لا يوجد إلا في ثلاث آيات، وهما: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾[٤]، و﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ﴾[٥]، و ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾[٦]، فمورفيم (ما) في هذه الآيات داخل على التركيب الاسمي فعمل عمل (ليس).

ويرصد دلالة التوكيد للتركيب المنفي المحتوى على هذا المورفيم الذي استشهد له بقول سيبويه(ت١٨٠هـ)[٧]، فيقول: ((ومقتضى كلام سيبويه أن فيها معنى التأكيد؛ لأنه جعلها في النفي جواباً لـ(قد) في الإثبات، فكما أن (قد) فيها معنى التوكيد، فكذلك ما جعل جواباً لها))[٨]، مشيراً إلى أنّ فيها دلالة التوكيد.

د- **إنْ/** مورفيم النفي داخل على التراكيب الاسمية والفعلية، وقد تحوى دلالة النفي بعداً زمنياً مختصاً بالحال[٩]. ويعين السيوطي وظيفة داخلة (إن) بارتكازها على نفي البنية السطحية للتراكيب الاسمية والفعلية[١٠].

---

(١) الكتاب: ١/ ٥٧، والجنى الداني: ٣٢٩ – ٣٣٠، والدلالة الزمنية في الجملة العربية: ٩٧.

(٢) الجنى الداني: ٣٣٠.

(٣) الإتقان: ١/ ٥٥٩.

(٤) يوسف/ ٣١.

(٥) المجادلة/ ٢.

(٦) الحاقة/ ٤٧.

(٧) الكتاب: ٤/ ٢٢١.

(٨) الإتقان: ١/ ٥٥٩.

(٩) همع الهوامع: ١/ ١٢٣.

(١٠) الإتقان: ١/ ٤٨٨.

ويعزز فكرته اللغوية بالآيات الكريمة، نحو: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾[1]، و ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[2]، و ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3]، يلحظ من هذه الآيات ان التراكيب التي يكثر فيها مجيء مورفيم (إن)النافية المؤكدة بـ (إلاّ) أو (لمّا) المشددة، وهو النمط الشائع في الاستعمال اللغوي[4].

ومما هو واضح في تحليل الآية: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾[5]، عندما دخل على التركيب الاسمي (إنْ) النافية اقتضت (إلا) حصر الخبر في المبتدأ وتوكيده، فنفت (إنْ) كل صفة عن المبتدأ، ثم جاء مورفيم الاستثناء (إلا)؛ لتحصر له صفة واحدة، فيكون الخبر محصوراً فيها ومؤكداً لها.

وصرّح السيوطي باجتماع دلالة الشرطية والمنفية لهذا المورفيم في البنية التركيبية الواحدة[6]، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾[7]، ولحظَ أنّ مورفيم (إن) النافية بمنزلة (ما) في إفادة دلالة نفي الحال[8]، وهذا ما أكده في تحليله للآية الكريمة، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾[9]، ورجح قوله وأكّده بالاستدلال بقوله تعالى: ﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾[10]، مبيناً أن مورفيم (ما) ضمير موصول بمعنى: الذي، ومورفيم (إنْ) يفيد دلالة نافية، وهي منزاحة عن مورفيم (ما) لئلا يتكرر مورفيم (إنْ) فيثقل اللفظ[11]. ونجد صدى هذه الفكرة عند المحدثين

(١) الملك/ ٢٠.

(٢) الطارق/ ٤.

(٣) التوبة/ ١٠٧ .

(٤) أساليب النفي: ٦٢ ، ومعاني النحو: ٤/ ١٧١.

(٥) الملك/ ٢٠.

(٦) الإتقان: ١/ ٤٨٨.

(٧) فاطر/ ٤١ .

(٨) همع الهوامع: ١/ ١٢٤.

(٩) الإحقاف/ ٢٦ .

(١٠) الأنعام/ ٦.

(١١) الإتقان: ١/ ٤٨٨.

وفي مقدمتهم اللغوي الألماني (براجشستر اسر) الذي عبر عن فكرة السيوطي بقوله: ((إن تكاد تطابق (ما) في وظيفتها، وأكثر وقوعها قبل (إلا) للجناس بينهما))[1]، وقد لوحظ ((أن الأسلوب القرآني يراوح في الاستعمال بين (ما) و (إن) في السياق الموحد))[2].

هـ - **لات/** بصرف النظر عمّا قيل في أصلها، وفي الصيغة التي اشتقت منها[3]، فهي مورفيم نفي وتستعمل للدلالة على الأسى والأسف لشيء مضى[4]، وقد نهج السيوطي منهج سابقيه في بيان آراء النحاة الذين يذهبون مذاهب شتى بخصوص أصالة مورفيم (لات) بقوله: ((فقال قوم: فعل ماضٍ بمعنى نقص، وقيل أصلها ليس، تحركت الياء فقلبت ألفاً؛ لانفتاح ما قبلها، وأبدلت السين تاءً، وقيل: هي كلمتان (لا) النافية زيدت عليها (التاء) لتأنيث الكلمة، وحركت لالتقاء الساكنين، وعليه الجمهور وقيل هي لا النافية والتاء زائدة في أول الحين واستدل له أبو عبيدة بأنه وجدها في مصحف عثمان مختلطة بحين في الخط))[5].

وكذلك يبين اختلاف العلماء في وظيفة هذا المورفيم في البنية السطحية للتركيب الجملي؛ فيكون الاسم الذي يليه تارةً منصوباً بفعل محذوف كما في قوله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[6]، فتقديره يكون: لا أرى حين مناص، وأخرى إن كان بعد مورفيم (لا) اسم مرفوع فهو مبتدأ خبر محذوف وهي ملغاة لا عمل لها فيما يرويه السيّوطي، مشيراً إلى رأي الأخفش (ت ٢١٥هـ)[7] ويكون التقدير آنذاك: كائن لهم. ثم حكى عن

(١) التطور النحوي: ١١٥.

(٢) أساليب النفي: ٦٧.

(٣) الكتاب: ١/ ٥٧، ومعاني القرآن (الفراء): ٢/ ٣٩٧-٣٩٨، وشرح المفصل: ٢/ ١١٦، والجنى الداني: ٤٥٢، ومغني اللبيب: ٣٣٥، وهمع الهوامع: ١/ ١٢٦.

(٤) معاني الحروف: ١١٨.

(٥) الإتقان: ١/ ٥٤٦ – ٥٤٧.

(٦) ص/ ٣.

(٧) معاني القرآن(الاخفش):٢/ ٢٧٠.

الفراء (ت ٢٠٧هـ)[١] أن الاسم بعدها مجرور وقد تستعمل حرف جرٍ لاسماء الزمان وخرج عليه قوله: (ولات حينِ) بالخفض[٢].

ويرى د. عمايرة أن السبب في ذهاب العلماء هذه المذاهب المتعددة في (لات) هو الحركة الإعرابية للاسم الذي يليها، ولعل ورود الحركات المختلفة على آخر الاسم الذي يليها أمر يرجع إلى لهجات القبائل قديماً[٣].وخلاصة القول: إن القيمة الدلالية لـ(لات) في التركيب الجملي هي إفادة النفي، ويستعمله المتكلم العربي لنفي زمن الحال.

ثانياً: مورفيمات المضي

أ. لم/ لم يخرج السيوطي[٤] عما قاله سابقوه من النحاة بشأن خصوصية مورفيم (لم) ودخوله على الفعل المضارع، فذهب معظم النحويين القدامى والمتأخرين إلى أنه يدخل على الفعل المضارع فتصرف زمنه من دلالة الحال والاستقبال إلى دلالة المضي[٥]. وبيّن وظيفته في فضاء التركيب، فتترك أثراً في المبنى اقتضاء لدخوله على المضارع، وهو السكون علامة الجزم على آخره، وآخر في الدلالة على انصراف زمنه إلى الماضي[٦]، نحو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[٧]. وحكى أن بعض العرب ينصب الفعل بعد مورفيم الجزم (لم)، كقراءتهم لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحَ لَكَ صَدْرَكَ﴾[٨]، بفتح

---

(١) معاني القران(الفراء):٢/ ٣٩٧ـ٣٩٨

(٢) الإتقان: ١/ ٥٤٧.

(٣) أسلوبا النفي والاستفهام: ٧٥.

(٤) الإتقان: ١/ ٥٥٠.

(٥) الكتاب: ١/ ١٣٥-١٣٦، والمقتضب: ١/ ٤٦، والجنى الداني: ٢٨٢، والمقرب: ١/ ٢٧١، ومغني اللبيب: ٣٦٥، وهمع الهوامع: ٢/ ٥٦، ودراسات في الأدوات النحوية: ٤٦، ومعاني الحروف: ١٢٣.

(٦) الإتقان: ١/ ٥٥٠.

(٧) الإخلاص/ ٣.

(٨) الشرح/ ١ .

(نشرح) [١]، إلا أن الذي عليها العربية الغالبة في الاستعمال، أن يكون الفعل بعدها مجزوماً، وهذا ما يجب أن يكون عليه القياس (اللغوي) [٢]، إذن ان (لم) من المورفيمات المبنية لجهة الزمن في الفعل بعدها.

ب. **لما/** مورفيم نفي يضاهي (لم) في إفادة قلب زمن المضارع إلى المضي، ويؤكد السيّوطي بمفارقة دلالية بين مورفيمي (لما) و (لم) في أوجه عديدة[٣]:-

أولاً/ أن النفي بمورفيم (لما) يمتد إلى وقت التكلم، ومتوقع ثبوته، وأنه لا يقترن بمورفيم الشرط؛ لأن ((استمرار النفي في الحال يتعارض مع وجود الشرط))[٤]، ولهذا وقع الفعل المضارع المجزوم بمورفيم (لم) بعد مورفيمات الشرط الجازمة؛ لكون التركيب منفياً بـ(لم) فيحتمل الانقطاع[٥]، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[٦]. ويسوق السيّوطي رؤيته هذه بتحليل قول ابن مالك(ت٦٧٢هـ) لقوله تعالى: ﴿لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾[٧]، بقوله: ((المعنى لم يذوقوه وذوقه لهم متوقّع))[٨]، وقال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)[٩] في تفسيره للآية ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[١٠] أن مورفيم (لما) في هذه البنية التركيبية أفاد معنى التوقع ودلّ على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد.

ثانياً/ إن بنية التركيب المكوّنة من مورفيم (لما) آكد وأبلغ من نفي التركيب بـ(لم)؛ لأنه ينفي التركيب (قد فعل) الذي يفيد التوقع والتحقيق، فإذا قلت (قَدْ كَتَبَ زَيْدٌ)، فإن نفيه (لَمَّا يكتبْ زيدٌ)، معناه لم يكتبْ وهو متوقع كتابته، ويفيد التحقيق،

(١) المحتسب: ٢/ ٣٦٦ .
(٢) الجنى الداني: ٢٨ .
(٣) الإتقان: ١/ ٥٥٠.
(٤) أساليب النفي: ٩٩، والتراكيب اللغوية: ٢٩٧.
(٥) أساليب النفي:٩٩.
(٦) الإنسان/ ١ .
(٧) صّ/ ٨.
(٨) الإتقان: ١/ ٥٥٠.
(٩) الكشاف: ٤/ ١٧.
(١٠) الحجرات/ ١٤.

وذلك أن الفعل الماضي المسبوق بمورفيم (قد) لا ينصرف إلى المستقبل؛ لأنه تحقق وقوعه، وكذلك منفيه، بخلاف المنفي بـ(لم) الذي ينفي صيغة (فَعَلَ)[1].

وأومأ السيوطي إلى هذه المسألة وذلك نقلاً عن الزمخشري(ت٥٣٨هـ) بقوله: ((وأن نفيها أكد من نفي لم، فهي لنفي (قد فعل) و(لم) لنفي (فعل) ولهذا قال الزمخشري... إنها مركبة من (لم) و(ما)، وإنهم لما زادوا في الاثبات (قد) زادوا في النفي (ما)))[2]. وهذا ما أكده المحدثون في أنه كلما كانت مورفيمات النفي مركبة كانت أبلغ وأفادت دلالة توكيد النفي[3].

ثالثاً/ يحذف العنصر المنفي بـ(لما) في البنية السطحية للتركيب الجملي، ولا يجوز ذلك بعد مورفيم (لم)[4]. وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا ﴾[5]، فالعنصر المنفي بـ(لما) محذوف وأصل التركيب: لمّا يهملوا أو يتركوا.

نجد بعض العلماء قاسوا حذف الفعل بعد (لما) على حذف الفعل بعد مورفيم (قد)؛ لأنها نفى لـ(قَدْ فَعَلَ)[6].

ثالثاً: مورفيم المستقبل:

لن: لم يخرج السيوطي عن رأي الباحثين القدامى والمتأخرين في استنباط القاعدة ومعالجتهم لمورفيم (لن) وبيان قيمته الوظيفية والدلالية في التركيب[7].

وقد أشاد السيوطي بوظيفة (لن) في إفادته تأكيد نفي زمن المستقبل، وأخذ حركة النصب اقتضاءاً لدخوله من غير أن يكون له أثر في الدلالة، ومؤيداً ما ذكره العلماء

(١) مغني اللبيب: ٣٦٨.
(٢) الإتقان: ١/ ٥٥٠، وينظر:س٢/ ٨٧٩.
(٣) من أسرار اللغة: ١٦٧.
(٤) الإتقان: ١/ ٥٥٠.
(٥) هود/ ١١١.
(٦) مغنى اللبيب: ٣٦٩.
(٧) الكتاب: ١/ ١٣٥، والمقتضب: ٢/ ٦، وشرح المفصل: ٨/ ١١١-١١٢، والجنى الداني: ٢٨٤-٢٨٥، ومغنى اللبيب: ٣٧٤، وهمع الهوامع: ٣-٤.

بهذا الصدد[1]. ويحدد التراكيب التي ترد فيها (لن) مشيراً إليه بالإضافة إلى إفادة نفي زمن المستقبل وتؤدي وظيفة أخرى وهي التوكيد، فيكون دلالتها نفي المستقبل المؤكد، وذلك بقوله: ((حرف نفي واستقبال، والنفي بها ابلغ من النفي ب(لا)، فهي لتأكيد النفي... فهي لنفي (إِنِّي أفعَلُ)، و (لا) لنفي (أفعلُ) كما في (لَمْ) و (لَمَّا)))[2].

ويبن السيوطي اختلاف العلماء في افادة (لن) التأبيد وعدم إفادتها، وادعى إفادتها التأبيد كثيرون، منهم الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وابن عطية[*](ت٥٤٦هـ) وابن مالك (ت ٦٧٢هـ) ، ورفضها ابن الزّملكاني(ت٦٥١هـ) من دون أن يعلّق رأياً عليه، ولكن الرأي الجدير بالذكر أنه عرض آراء ابن الزملكاني(ت٦٥١هـ) في رفضه لرأي الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، بقوله: ((فقال إن (لَنْ) لنفي ما قرب، وعدم امتداد النفي، ولا يمتد معنى النفي، قال: وسرّ ذلك أن الألفاظ مشاكلة للمعاني، و (لا) آخرها الألف، والألف يمكن امتداد الصوت بها، بخلاف النون، فطابق كل لفظ معناه. حيث قال: ولذلك أتى بـ(لن) حين لم يرد به النفي مطلقاً، بل في الدنيا، حين قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[3]، وبـ(لا) في قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[4] حيث أُريد نفي الإدراك على الإطلاق، وهو مغاير للرؤية))[5].

الذي يلحظ في عرضه لرأي ابن الزملكاني (ت ٦٥١هـ) أنه يؤيده بكون مورفيم (لن) يفيد نفي المستقبل القريب وليس لتأبيد النفي؛ لكون فونيم النون لا يمكن مدّه

(١) الإتقان: ١/ ٥٥١.

(٢) الإتقان: ١/ ٥٥١.

(*) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم، وقيل عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية الغرناطي، صاحب التفسير الإمام أبو محمد الحافظ القاضي. كان فقيهاً، عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، نحوياً، لغوياً، بارعاً، شاعراً، صاحب تفسير القرآن العظيم. ينظر: بغية الوعاة: ٢/ ٧٣.

(٣) الأعراف/ ١٤٣.

(٤) الانعام: ١٠٣.

(٥) الإتقان: ١/ ٥٥٢.

بخلاف فونيم الألف في (لا)، وهذا ما أكّدته الدراسات اللغوية الحديثة، إذ إن فونيم (ن) من الحبيسات أمّا فونيم الألف فمن الطليقـات[1].

وقد أثبت السيوطي بهذا التوصيف التفصيلي للانزياح بالإضافة أن ((الإنسان إذ يستخدم اللغة بوصفها نظاماً لإنتاج الكلام، إنما يستخدمها استخداماً خلاقاً يخرج به من إطار النمط في تكرار الأشياء إلى إطار التنوع غير المتناهي، والتجديد في إنشاء الجمل، والتعبير عمّا يشاء))[2]، أي أن الإنسان له مقدرة على الانزياح من آلية تكرار القانون اللغوي الواحد في إنتاج ظواهر كلامية متنوعة إلى إطار التنوع وعدم التناهي في الإنتاج الدلالي بحسب معطيات السياق اللغوي والموقف الخارجي ومقتضى حال المتكلم الذي تُفضي إلى إنتاج التشكيل الأسلوبي.

وثمة حالة أخرى يتم فيها توسيع نطاق التركيب اللغوي، وهي التوسع بالتكرار الذي يشكل سمة من سمات فن الإطناب البلاغي[3]، وقد التفت السيوطي إلى هذا الإجراء الانزياحي مبيناً الأسرار الدلالية والوظيفية الكامنة وراء هذا السلوك اللغوي، وذاكراً أن ((التكرير وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة))[4]، وأومأ إلى أن التكرار لا يرد في السياق الكلامي إلا لغرض بلاغي يعمل على تقوية الطاقة الدلالية وتقريرها وتوكيدها، مطبقاً هذه الرؤية على قوله تعالى: ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[5]، مبيناً إفادة التكرار هنا لإضفاء دلالة التقرير و((لأجله كرّر الأقاصيص والإنذار في القرآن))[6].

(١) من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٨٩.

(٢) اللسانيات والدلالة: ٦٤.

(٣) علم المعاني (عتيق): ٢٠٨، والبلاغة في ثوبها الجديد: ١/ ٢٠١، ونحو المعاني: ١٦٨، والبلاغة فنونها وأفنانها – علم المعاني: ٤٩٨، والنص القرآني: ٤٠ – ٤١.

(٤) الإتقان: ٢/ ٨٤٨.

(٥) طـه/ ١١٣.

(٦) الإتقان: ٢/ ٨٤٨.

وأومأ إلى التكرار في البنية السطحية لبعض المكونات النحوية بغية استمالة المخاطب وترغيبه في قبول النصح والإرشاد، بقوله: ((زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، ليكمل تلقي الكلام بالقبول))[1]، واستشهد بقوله عز وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ ﴾[2]، موضحاً أنه كرر فيه (يا قوم) استمالةً لأنفسهم وترغيباً لهم في قبول الحق والاهتداء.

ويتم توسيع النطاق البنيوي للتركيب بالانزياح التكراري، ((إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول، أعيد ثانياً تطرية له وتحديداً لعهده))[3]. ويعزز هذا الغرض بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا ﴾[4]، و ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا ﴾[5]، فأدرك تكرار (إن ربك) في الآيتين الكريمتين لطول الكلام بين إسم (إنّ) (ربك) وبين خبرها (لغفور)؛ وذلك ((تأكيد لمعنى الربوبية و إبراز لمعنى (الرب) المتفضل بالإنعام والمغفرة))[6]؛ ولذلك جعل اللغويون في ميدان التحليل النصي التكرار أحد عوامل التماسك النصي، واصطلح عليه(David crystal) بـ(Repeated)[7] ؛ لكونه يثري مستوى الإدراك والإفادة في عملية الإبلاغ والإتصال، ويشكل جزءاً من جماليات التلقي في نظرية التلقي. ولهذا لجأ الشاعر إلى ((هذه الوسيلة الصياغية؛ لاضفاء قيمة تعبيرية على نص السياق، بما توحيه من دلالة متدفقة تثري التركيب، وتشيع فيه قوة تستوعب مجمل ذبذبات المشاعر والأحاسيس، وتنقل المتلقي إلى ضفاءات مشعّة بوساطة لقطاتها المتوازنة المكثفة))[8].

---

(١) الإتقان: ٢/ ٨٤٩.

(٢) غافر/ ٣٨:٣٩ .

(٣) الإتقان: ٢/ ٨٤٩.

(٤) النحل/ ١١٩ .

(٥) النحل/ ١١٠ .

(٦) علم المعاني (بسيوني): ٤١٣.

(٧) علم اللغة النصي:٢/ ١٩.

(٨) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ٣٨٣.

وصرّح السيوطي بنوع آخر من التكرار الذي يسمى بـ(الترديد)، وهو((ما كان لتعدد المتعلق، بأن يكون المكرر ثانياً متعلقاً بغير ما تعلق به الأول))[1]. ويدعم رؤيته هذه بقوله عز وجل: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[2]، مفسراً بقوله: ((فإنها وإن تكررت نيفا وثلاثين مرة، فكل واحدة تتعلق بما قبلها؛ ولذلك زادت على ثلاثين مرة، فكل واحدة تتعلق بما قبلها، ولذلك زادت على الثلاثين، ولو كان الجميع عائداً إلى شيء واحد لما زاد على ثلاثة؛ لأن التأكيد لايزيد عليها))[3]. فقد كرر عز وجل النعمة بعد النعمة في هذه الصورة الكريمة، وعقب كل نعمه بهذا الأسلوب الاستفهامي الذي يفيد التنبيه إلى نعمه الكثيرة والتذكير بها كلفت الأنظار إلى استقلالية هذه النعم والإشارة إلى أن كل نعمة من هذه النعم هي نعمة مستقلة، وحتى لا تتوهم النفس أن المذكور كله نعمة واحدة[4].

ويجعل أسلوب التوكيد بنمطيه (المعنوي واللفظي) الانزياح التوسعي؛ لكونه يمثل هيئة تكرارية ينتجها نمطا التوكيد اللذان يكسبان الكلام قوةً وتوكيداً، فالتكرير المعنوي يكون بإضافة مورفيمات (كل، واجمع، وكلا، وكلتا) على بنية التركيب التي تمنح الكلام توكيداً ورفع توهم المجاز، وذلك نحو: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[5]، وفائدته رفع توهم المجاز وعدم الشمول، وادعى الفراء(ت٢٠٧هـ): أن(كلّهم) أفادت ذلك، و(أجمعون) أفادت اجتماعهم على السجود، وأنهم لم يسجدوا متفرقين[6]، وبهذه الرؤى التحليلية أقرَّ ((أن التكرار أسلوب من أساليب العربية، يؤتى به لتأكيد القول وتثبيته حينما يستلزم المقام ذلك))[7].

(١) الإتقان: ٢/ ٨٥٠.

(٢) الرحمن / ١٣.

(٣) الإتقان: ٢/ ٨٥٠.

(٤) التعبير القرآني والدلالة النفسية: ٣٧١..

(٥) الحجر/ ٣٠.

(٦) الإتقان:٢/ ٨٤٦.

(٧) البلاغة فنونها وأفنانها-علم المعاني: ٥٠٦.

أما توسيع التركيب بالتكرار اللفظي فمقتصر على الاسم والفعل والحرف والجملة، ويعزز لهذا الصنف في عملية التكرير بإيراد نصوص قرآنية كثيرة[1]، منها قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[2]، مدركاً ان إفادة تكرار التركيب تأكيد المعنى وتقريره في النفس، ويرى السيوطي أنه من الأفضل أن يسبق التراكيب المكررة مورفيم العطف (ثم)[3]، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[4]، فقد تفطن إلى أن الإنذار أكد بتكراره؛ ليكون أبلغ تحذيراً، وتم ذلك من جراء العطف بمورفيم (ثم) الذي ((ينبئ بأن الإنذار الثاني أقوى وأشد من الإنذار الأول، حيث نزل بعد المرتبة منزلة البعد الزمني فعطف بثم))[5].

وتمدد نطاق التركيب كذلك بتكرار المورفيم الشخصي الذي عرف بنمط التوكيد اللفظي، وتحتم منه دلالة التوكيد، ويستشهد السيوطي لذلك بقوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[6]. وبهذا يكسب بنية التركيب قوة وتوكيداً. و((الكلام إذا تأكد تقرر وصار حقيقة لا مراء فيها، وبات لاشك ولا نزاع يدور حوله، والقصد منه: الحمل على ما لم يثبت في ذهن المخاطب ليصير ثابتاً))[7].

ويستقرى السيوطي أصنافاً تكراريةً أخرى متمثلة بتكرير عنصر نحوي داخل التركيب مراعاة للموقف الخارجي، نحو ذلك ((تأكيد الفعل بمصدره، وهو عوض من

(١) الإتقان: ٢/ ٨٤٧.

(٢) الشرح / ٥ ـ ٦.

(٣) الإتقان: ٢/ ٨٤٧.

(٤) التكاثر / ٣ ـ ٤.

(٥) علم المعاني (بسيوني): ٤١٢.

(٦) البقرة/ ٣٥.

(٧) أساليب التوكيد: ١٤.

تكرار الفعل مرتين، وفائدته رفع المجاز في الفعل))[1]. كما في قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2]. ونكتفي بهذا القدر من النماذج القرآنية لضيق المجال.

ويبدو مما تقدم ذكره أن معالجة السوطي لعملية التكرار تتكىء على أساس علاقة الموقف الخارجي والدلالة التي تتحكم في توسيع الخط الأفقي للسياق اللغوي وبإخراجه من النمط التركيبي ببروز قوة الارتكاز الداخلي في البناء الخارجي، ((وهذه العلاقة تتمثل في البعد (التكراري) الذي تجلّى على مستوى السطح الصياغي، وعلى مستوى العمق الدلالي، أي أن التكرار هو ممثل البنية العميقة))[3].

(١) الإتقان: ٢/ ٨٤٧.

(٢) الأحزاب/ ٥٦.

(٣) البلاغة العربية قراءة أخرى: ٣٥٢.

الانزياح الاستبدالي

يقصد بالانزياح الاستبدالي تلك التغييرات المتناوبة الجارية على الوحدات السياقية لتنوب وحدة منزاحة عن وحدة نواتية أصلية بغية تحقيق غرض بلاغي ودلالي، وهذه الوحدات تمتلك قابلية التناوب والتبادل مع وحدات أخرى على طول الخط الرأسي البارادِيمكي (Paradigmatic)، بحيث تضارعها في وظيفتها وموقعيتها السياقية وتخالفها في الدلالة، وهذا ما سمي عند القدماء بظاهرة (الالتفات)[1] التي تتحقق بكثرة في فضاء النصوص القرآنية والنصوص الشعرية، وهذا ما أطلق عليه أصحاب النظرية التحويلية بقانون الابدال أو الاحلال (Replacement)[2].

وقد مهّد السيوطي السبيل للتفطن إلى أهمية هذه الظاهرة الأسلوبية وأثرها في إغناء الرصيد الدلالي وانزياح الهيكل التركيبي الذي أطلق عليه (الالتفات)، معرفاً بقوله: ((نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أعني من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها، بعد التعبير بالأول))[3]، وتكمن فائدتها في ((تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضَّجر والملل، لما جبلت عليها النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على موالٍ واحد))[4]، إذن تفيد تحريك مشاعر السامع وإثارتها وتنبيه ذهنه وفكره، لما فيه من تنويع وعدم المضي على وتيرة واحدة، فالنفس مجبولة على حب التجدد، فإذا تجدد الكلام إلى أسلوب كان أدعى للاصغاء إليه.

---

(١) المثل السائر: ٢/ ١٧٠، ومباحث في إعجاز القرآن الكريم: ٢١٦.

(٢) النحو العربي والدرس الحديث: ١٤٠، وفي علم اللغة التقابلي: ٦٩، والبنى النحوية: ١٥٤.

(٣) الإتقان: ٢/ ٩٠٢.

(٤) الإتقان: ٢/ ٩٠٢.

ولم يقتصر رأيه على الجانب النظري بل ذهب إلى تأكيد هذا الانزياح بالمثال التطبيقي، إذ يقف بحثه على الشاهد القرآني، فيرى أنه كثر دورانه في مطاوى القرآن الكريم، ويمعن النظر، ويقدم لنا أنموذجاً في تحليل لانزياح عن المطابقة من خلال نص الآية الكريمة، ويتمحور الانزياح الاستبدالي عند السيوطي في استبدال المورفيمات الشخصية أو العددية أو النوعية أو الاستبدال في الهيئات الزمانية.

الاستبدال في المورفيم الشخصي

يتحرى السيوطي العلاقة التبادلية بين المورفيمات الشخصية في الهيكل التركيبي، ملتمساً دلالة هذا الأثر، ومن ذلك استبدال مورفيم التكلم بالخطاب، ويردف لذلك بالآية الكريمة منه قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[1]، موضحاً أن أصل البنية السطحية للتركيب النمطي (إليه أرجع)، فانزاح من مورفيم التكلم إلى مورفيم الخطاب بغية ((حث السامع وبعثه على الاستماع حين أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عناية تخصيص بالمواجهة))[2]، وقد أفصح السيوطي عن السر البلاغي والدلالي لهذا التعبير الأسلوبي،بقوله: ((أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه، تلطفاً وإعلاماً أنه يريد لهم ما يريد لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله تعالى))[3]، وذلك ((أدخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه))[4].

وبسط السيوطي الحديث عن هذا الاستبدال، وتغلغل في دراسته، مبيناً خلاف الآراء بصدد هذه الآية، بقوله: ((وفيه نظر؛ لأنه إنما يكون منه إذا قصد الاخبار عن نفسه في كلتا الجملتين، وهنا ليس كذلك، لجواز أن يريد بقوله: (ترجعون) المخاطبين لا نفسه))[5]، وذلك بإجراء تقابل بين النسيج التركيبي لمورفيمي التكلم والخطاب

(1) يس/ ٢٢.

(2) الإتقان: ٢/ ٩٠٢.

(3) الإتقان: ٢/ ٩٠٢ – ٩٠٣.

(4) مقالات في التربية واللغة والبلاغة: ٢٤٧ – ٢٤٨، ومباحث في إعجاز القرآن: ٢٦١.

(5) الإتقان: ٢/ ٩٠٣.

للاستبدال على صحة التناوب بينهما مراعاة للمؤشرات الدلالية والمغايرات التركيبية الناجمة عن حصول هذا الانزياح، بقوله: ((بأنه لو كان المراد ذلك لما صح استفهام بمستلزم أن يعيده غير ذلك الراجع. فالمعنى: كيف لا أعبد من إليه رجوعي، وإنما عدل عن (وإليه أرجع) إلى وإليه ترجعون؛ لأنه داخل فيهم، ومع ذلك أفاد فائدة حسنة، وهي: تنبههم على أنه مثلهم في وجوب عبادة مَنْ إليه الرجوع))(١).

وقد يستبدل المتكلم بالغيبة في فضاء التركيب، مستشهداً لذلك بقوله تبارك أسمه: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾(٢)، مدركاً أن البناء الخارجي لتركيب الآية قد حصل منه الانزياح، وأصل التركيب هو (فآمنوا بالله وبي)، ملتمساً الغرض البلاغي والدلالي الكامن وراء إجراء ذلك السلوك الكلامي، بقوله: ((وعدل عنه لنكتتين، إحداهما: دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها، والأخرى: تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة والخصائص المتلوّة))(٣)، ويبدو في ضوء هذا التفسير أن السيوطي قد توصل إلى أن البناء السطحي للتركيب الجملي يشكل بحسب الافرازات الدلالية المرسومة في الذهن، التي تتحكم فيها مقتضيات السياق العام وما يلابس المتكلم والمخاطب، وبهذا ((يتحقق تزامن مطلق بين البنية العميقة على مستوى الدلالة، وبين البنية اللغوية السطحية على مستوى الصياغة))(٤).

وينص السيوطي على أن استبدال مورفيم الخطاب بالتكلم لم يرد في القرآن الكريم، ويرد على الذين استشهدوا لهذا المدار بقوله تعالى: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾(٥)،

---

(١) الإتقان: ٢/ ٩٠٣.

(٢) الأعراف/ ١٥٨.

(٣) الإتقان: ٢/ ٩٠٣.

(٤) في البنية الايقاعية: ٣١٠.

(٥) طه/ ٧٢.

ثم قال: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا ﴾[1]، قائلاً: ((وهذا الشاهد لا يصح؛ لأن شرط الالتفات أن يكون المراد به واحداً))[2].

وقد يستبدل مورفيم الغيبة بالخطاب، ويستشهد السيوطي لهذا النوع بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾[3]، وأصل البنية الخارجية يقتضي أن يكون (وَجَرَيْنَ بِكُمْ) بلفظة الخطاب، غير أنه انزاح عن خطابهم إلى حكاية حالهم لإضفاء دلالة ((التعجب من كفرهم وفعلهم))[4] ولو استمر على وتيرة واحدة في خطابهم لفقد ذلك الغرض طاقته الإيحائية، وقال بعض المفسرين ان الخطاب أولاً كان للناس مؤمنهم وكافرهم، فعدل عن الخطاب العام إلى الذم الخاص ببعضهم، وهم الموصوفون كما أخبر به عنهم[5].

وينزاح المورفيم الشخصي من الغيبة إلى التكلم ليكتسب دلالة تخصيص لا تتحصل في التركيب النمطي الأصلي، كما صرح السيوطي لذلك بقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)[6] في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾[7]، إلى قوله: ﴿ ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾[8]، ثم التفت ثانياً إلى الغيبة فقال: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[9]، وعلى قراءة الحسن (ليريه)[10] بالغيبة يكون التفاتاً ثانياً من (باركنا) وفي (آياتنا) التفات

(١) طه/ ٧٣ .

(٢) الإتقان: ٢/ ٩٠٤.

(٣) يونس/ ٢٢.

(٤) الإتقان: ٢/ ٩٠٤.

(٥) مجمع البيان: ٥/ ١٧٤.

(٦) الكشاف: ٢/ ٣٥١.

(٧) الإسراء/ ١.

(٨) الإسراء/ ١.

(٩) الإسراء/ ١.

(١٠) قراءة الحسن بن أبي الحسن. ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٣/ ٣٠٥.

ثالث، وفي (إنه) التفات رابع، إذ تكمن ((فائدته في هذه الآيات وأمثالها التنبيه على التخصيص بالقدرة، وأنه لا يدخل تحت قدرة أحد))[1].

قد يستبدل مورفيم الغيبة بمورفيم الخطاب من المورفيمات الشخصية لتعظيم شأن المخاطب، بحيث يشحذ هذا التجاوز السطحي تفكير السامع ويجذبه إلى التفاعل مع أداء إيحاءات دلالية تفتقر إليها الهيئات التركيبية النمطية، واستعملت هذه الظاهرة من سورة الفاتحة، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2]، فذكر السيوطي التفسير الدلالي لهذا الانزياح الاستبدالي؛ وذلك نقلاً عن بعضهم، قائلاً: ((وقيل: إنما اختير لفظ الغيبة للحمد، وللعبادة الخطاب، للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة؛ لأنك تحمد نظيرك ولا تعبده، فاستعمل لفظ (الحمد) مع الغيبة، ولفظ (العبادة) مع الخطاب لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ما هو أعلى رتبة، وذلك على طريقة التأدب))[3].

وتؤكد هذه النظرية لديه أن الدلالة تستدعي التركيب، وتستجليه حتى يلحظ فيه ((إن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجرى على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصور، وذلك لمعنى يتشعّب شُعباً كثيرةً لا تنحصر، وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه))[4].

دواعي استبدال المورفيم الشخصي

يبين السيوطي العملية التبادلية بين الاسم الظاهر و المورفيم الشخصي المضمر في التراكيب لتولد منها مقاصد جمّة منها:

---

(١) الإتقان: ٢/ ٩٠٥.

(٢) الفاتحة/ ٢ – ٥.

(٣) الإتقان: ٢/ ٩٠٥-٩٠٦.

(٤) المثل السائر: ٢/ ١٧٣.

- زيادة التقرير والتمكين[1]، وقوة تثبيته في الأنفس والسرائر، ويستدل السيوطي فيما يشير إليه بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[2]، فأتت بنية التركيب باسم الجلالة بدل الضمير الذي يعود إليه لزيادة تمكينه في الأنفس، وتثبيته في الأذهان، إذ إن ((التعبير بالاسم الظاهر أقوى وأبلغ في إبراز المعنى واستقراره في النفس من التعبير بالضمير))[3].

- إفادة التعظيم[4]، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[5].

- إرادة معنى الإهانة والتحقير[6] نحو قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[7].

- يتحقق أمن اللبس وإزالتها حين يوهم الضمير أنه غير الأول[8]، والآية التي أوردها السيوطي هي قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ﴾[9]، موضحاً أنه لو أتت الآية بتركيبه النمطي لأوهم أن الضمير عائد إلى (الأخ) فيصبح كأنه مباشر بطلب خروجها، وليس كذلك؛ لما في المباشرة من الألم والأذى الذي تأباه النفوس الأبيّة، فاستبدل بلفظ الظاهر وأعيد لنفي هذا الحكم،

(١) الإتقان: ٢/ ٨٦٥.

(٢) الإخلاص/ ١ – ٢.

(٣) علم المعاني (بسيوني): ٢٠٢.

(٤) الإتقان: ٢/ ٨٦٥.

(٥) البقرة/ ٢٨٢.

(٦) الإتقان: ٢/ ٨٦٥.

(٧) المجادلة/ ١٩.

(٨) الإتقان: ٢/ ٨٦٥.

(٩) يوسف/ ٧٦.

وهكذا الحال بصدد تركيب (من دعائه) لئلا يتوهم عود الضمير إلى يوسف -عليه السلام- لأن العائد عليه الضمير في (استخرجها)[1].

- لقصد إدخال الروع في نفس السامع وتربية المهابة حتى يقبل على الامتثال والخضوع، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[2].
- تقوية داعي المأمور[3] إلى الامتثال وتحقيق الأمر، ويستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[4]،فقد وقع استبدال الضمير بلفظ الجلالة إذ لم يقل: فتوكّلْ عليّ إني أحِبُ، لما في ذلك من تقوية الداعي إلى الامتثال وتحقيق التوكل وإيجاده، فهو توكل على الله الذي يحب المتوكلين[5].
- تعظيم الأمر[6]، مثل قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[7]، والقصد منها عظمة أمر الله في كيفية بدء الخلق ثم ينشئ الله النشأة الآخرة على البدء دون الإنشاء[8]،
- بيان رفعة الحكم وعلوه، مستشهداً لذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾[9]، مفسراً هذه الآية بأن التركيب بالمورفيم (لهم) لم يأتِ إعلاماً بأن عداوة الله سبحانه وتعالى للكافرين سببها كفرهم وليست عداوة لذواتهم[10].

---

(١) الإتقان: ٢/ ٨٦٥.

(٢) النساء/ ٥٨.

(٣) الإتقان: ٢/ ٨٦٦.

(٤) آل عمران/ ١٥٩

(٥) الكشاف:١/ ٢٢٦.

(٦) الإتقان: ٢/ ٨٦٦.

(٧) العنكبوت/ ١٩.

(٨) الكشاف: ٣/ ١٨٧.

(٩) البقرة/ ٩٨.

(١٠) الإتقان: ٢/ ٨٦٦.

- ما يقصد به دلالة التعميم[1]، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ ﴾[2]، فاستبدل مورفيم المضمر (أنها) بلفظ ظاهر (النفس) لإضفاء دلالة التعميم ولو قال: (إنها) لفهم تخصيص ذلك بنفسه.
- ما يقصد به دلالة التخصيص[3]، مثل قوله تبارك اسمه: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾[4]، ولم يأتِ التركيب بمورفيم (لك) واستبدل بالاسم الظاهر للتصريح بأنه خاص به. - قد يفيد الاستبدال على عدم دخول التركيب الثاني في حكم التركيب الأول[5] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ ﴾[6]، فيرى تركيب (يمح الله الباطل) تركيباً استئنافياً غير داخل في حكم شرط الوجود في التركيب الأول.
- ما يراعي توازن الألفاظ في فضاء التركيب الذي يطلق عليه (الترصيع)[*]، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴾[7].

ويلحظ أن هذا النمط من التراكيب قد فتح مساحة واسعة في المنظورات التداولية والمقاسية التي بلورت فيها (البلاغة التداولية) لاكتشاف دلالات ما ورائية يوحي بها التركيب اللغوي بحسب الموقف الذي ينتج عنه، وبهذا يتحول تشكيل

---

(١) الإتقان: ٢/ ٨٦٧.

(٢) يوسف/ ٥٣.

(٣) الإتقان: ٢/ ٨٦٧.

(٤) الأحزاب/ ٥٠.

(٥) الإتقان: ٢/ ٨٦٧.

(٦) الشورى ٢٤.

(*) وهو مأخوذ من ترصيع العقد،يقال :تاجٌ مُرَصَّع بالجوهروهي حَلَقٌ يُحَلىٰ بها، الواحدة رَصيعة. ورصَّع العِقْدَ بالجوهر:نظمه فيه وضمّ بعضه إلى بعض ، ينظر:لسان العرب مادة(رصع):٨/ ١٢٥ .

(٧) الغاشية/ ٢٥ – ٢٦.

الآليات التركيبية إلى ((نظام يوظفه ليرمز في مستوى آخر لدلالة غير ما كانت له في نظامه الأصلي))[1].

الاستبدال في المورفيم العددي

يقوم السيوطي بتحليل التراكيب التي لم تتحقق فيها المطابقة العددية بين المسند والمسند إليه، ففي التركيب الاسمي المبتدأ لا ينفك عن الخبر؛ لاحتياجه إليه في إتمام معناه، فالعلاقة بينهما علاقة تلازم، ولا نعدم أن نجد شيئاً من هذا قد نبّه عليه النحويّون القدامى، فقد هجس سيبويه (ت ١٨٠هـ) بالقول: ((واعلم أن المبتدأ لابدّ له من أن يكون المبنيّ عليه شيئاً هو هو، أو يكون في مكان أو زمان))[2]. وقد تبع المبرد (ت ٢٨٥هـ) في ذلك وسار على نهجه إذ يقول: ((اعلم أن خبر المبتدأ لا يكون إلا شيئاً هو الإبتداء في المعنى))[3].

وقد اقتفى السيوطي أثرهم في التنبيه على هذا التعقيد اللغوي، وصادف كثيراً من التراكيب التي انزاحت عن الدليل النظمي، ومنها استبدال المثنى بالجمع[4]، كقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾[5]، وبيّن أن أصل البنية السطحية للتركيب هي (إن الأناسي لفي خسر) بدليل القرينة اللفظية (إلا) الاستثنائية الواردة بعده قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾[6]، فيستثنى من الإنسان ولو كان الإنسان واحداً لما جاز الاستثناء منه، أي أن الناس في خسران من تجاراتهم إلا الصالحين وحدهم؛ لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا[7]، ولا يكتفي السيوطي بشاهد واحد وإنما يورد شواهد قرآنية

(١) بلاغة الخطاب: ٢٤٢.

(٢) الكتاب: ٢/ ١٢٧.

(٣) المقتضب: ٤/ ١٢٧.

(٤) الإتقان: ٢/ ٧٦٢.

(٥) العصر/ ٢.

(٦) العصر/ ٣.

(٧) روح المعاني: ٣٠/ ٢٢٨.

أخرى[1] لإثبات رؤيته اللغوية منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[2]، مدركاً الاستبدال المثنى بالجمع في البناء الخارجي للآية الكريمة، بدليل ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾[3].

ويلتمس تغييراً تناوبياً في التركيب الفعلي ومبيناً الهيئة النمطية والهيئة المنزاحة المستبدلة، ذلك إذا أسند الفعل إلى شيئين فينسب لأحدهما فقط[4]، كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[5]، والبنية السطحية حصل فيها الانزياح، وذلك باستبدال مورفيم المفرد بالمثنى، لأن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر المالح دون البحر العذب، وهذا ما أومأ إليه الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) قبله في تحليله لهذا الاسلوب اللغوي، مبيناً أن البحر المالح والبحر العذب متجاوران متلاقيان وأن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر المالح وانما أتى بصيغة التثنية (يخرج منهما) ولم يقل (يخرج منه) لأن ((لما التقيا وصار كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما قال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه...))[6].

وصرح كذلك بتناوب مورفيم الجمع بالتثنية، واستشهد السيوطي فيما ذكره بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾[7]، مدركاً أن الانزياح وقع في بنية التركيب، وذلك باستبدال الجمع بالتثنية، وعلّة ذلك أن البصر لا يحسر بارجاع الكرتين فقط وإنما يحسر بكرات متعددة[8] والمراد: كرّة بعد كرّة[9].

---

(١) الإتقان: ٢/ ٧٦٢.

(٢) المعارج/ ١٩.

(٣) المعارج/ ٢٢.

(٤) الإتقان: ٢/ ٧٦٢.

(٥) الرحمن/ ٢٢.

(٦) الكشاف: ٤/ ٥١.

(٧) الملك/ ٤.

(٨) الإتقان: ٢/ ٧٦٢.

(٩) الكشاف: ٤/ ١٢١، والبحر المحيط: ٨/ ٢٩٨-٢٩٩، والبرهان في علوم القرآن: ٣/ ٨.

تركيب نمطي { ثم ارجع البصر كرات ⟸ (الانزياح / الاستبدالي) ثم ارجع البصر كرتين } تركيب انزياحي

وقد أشار السيوطي إلى أن تناوب مورفيم التثنية عن الإفراد قد يأتي لأجل مراعاة الفاصلة[1] واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[2]، فتناوب (جنتان) بصيغة التثنية عن (الجنة) بصيغة الإفراد لتنسجم مع الآيات الاخر، قبلها وبعدها، فسياق الآية قبلها بهذه الصورة: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[3]، وكذلك الآية التي بعدها

ويشير كذلك أن إنابة مورفيم الجمع مناب مورفيم الافراد من أجل الفاصلة القرآنية مستشهداً بقوله جل ثناؤه: ﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾[4]، فأتى بصيغة الجمع مراعاة للفاصلة.

فثمة استبدال آخر بين المورفيمات العددية في الهيكل التركيبي، وهو استبدال مورفيم التثنية بالافراد، ويستدل السيوطي لذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾[5]، ملتمساً بنية التركيب النمطي هو (أن يرضوهما) فأفاد الاستبدال بالافراد لدلالة تلازم الرضاءين[6]؛ لأنه ((لا تفاوت بين رضا الله، ورضا الرسول، فكانا في حكم مرضي واحد))[7]، ويبدو من قول السيوطي أن توحد المورفيم الشخصي قام على توحد المعنى وهو (الرضا) لكليهما.

(١) الإتقان: ٢/ ٧٦٣.
(٢) الرحمن/ ٤٦.
(٣) الرحمن/ ٤٥.
(٤) إبراهيم/ ٣١.
(٥) التوبة/ ٦٠.
(٦) الإتقان: ٢/ ٧٦٢.
(٧) ظاهرة العدول: ١١٦.

الاستبدال في المورفيم النوعي

الأصل في المنطق اللغوي التطابق بين المسند والمسند إليه في المورفيم النوعي؛ لأن التطابق النوعي أحد السمات الجوهرية في الأساليب اللغوية مما حمل النحاة على فرض قاعدة لا يصح الخروج عليها حفاظاً على القواعد اللغوية[1]، ومع هذا فقد وردت نصوص كثيرة خرجت عن هذا النمط وقد أولها النحاة بوساطة أسلوب الحمل على المعنى، ومنهم ابن جني (ت ٣٩٢هـ) إذ يقول: ((أعلم أن هذا الشَرج غَوْر من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح. وقد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً، كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصور معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد...))[2] .

وفي هذا المدار يرى السيوطي أن استبدال المذكر بالمؤنث يؤول حملاً على المعنى، وأورد لذلك نصوصاً قرآنية كثيرة[3]، منها قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[4]، معللاً مجيء المورفيم (فيها) بصيغة المؤنث بدل (فيه) وهو راجع إلى لفظ (الفردوس) حملاً على معنى الجنة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[5]، إذ أنّث لفظة (عشر) بتجريدها من هاء التأنيث مع إضافتها إلى الأمثال التي مفردها مذكر. ثم ساق بعد ذلك قولاً لغيره بصيغة قيل: ((فقيل لإضافة الأمثال إلى مؤنث، وهو ضمير الحسنات، فأكتسب منه التأنيث))[6].

وحكى أيضاً عن غيره بصيغة قيل: ((هو من باب مراعاة المعنى؛ لأن (الأمثال) في المعنى مؤنثة؛ لأن مثل الحسنة حسنة، والتقدير: فله عشر حسنات

(١) أصول التفكير النحوي: ٣٥٩.

(٢) الخصائص: ٢/ ٤١١.

(٣) الإتقان: ٢/ ٧٦٦.

(٤) المؤمنون/ ١١.

(٥) الانعام/ ١٦٠.

(٦) الإتقان: ٢/ ٧٦٦.

أمثالها))[1]. فلما أريد توكيد الاحسان إلى المطيع، وأنه لا يضيع شيء من عمله، وجعل التأنيث في أمثالها منبهاً على ذلك الوضع، وإشارة إليه، كما جعلت (الهاء) في قولهم: راوية وعلامة، تنبيهاً على المعنى المؤنث المراد في أنفسهم وهو الغاية والنهاية، ولذلك أنث (المثل) هنا توكيداً لتصوير الحسنة في نفس المطيع[2].

الاستبدال في الهيئات الزمنية

تابع السيوطي هذه الظاهرة التناوبية للهيئات الزمنية التي تمتلك قابلية إحلال بعضها محل بعض؛ لانبعاث بنية تركيبية ودلالية منزاحة، ولبيان مزايا يقتضيها المقام المرتب على عملية التناوب الجارية على هذه الهيئات الزمنية، بادئاً باستبدال زمن المضارع بالماضي باستقرائه نماذج قرآنية تناوب فيها السياق الموقعية والدلالية. ويردف فيما يرمى إليه بنصوص قرآنية كثيرة[3]، منها قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾[4]، مدركاً أن الانزياح قد نجم من جراء استبدال هيئة الفعل المضارع بالماضي، وأفاد دلالة الاستقبال بدليل القرينة اللفظية الواردة بعده قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾[5]، ملتمساً السرّ البلاغي وهو إفادة تحقق الوقوع[6]، وإن الساعة المتوقعة التي لابد من وقوعها به بل هو في حكم واقع وآتٍ بالفعل[7].

ونظيره في ذلك قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[8]،إذ نابت صيغة الزمن الماضي مناب المضارع؛ إشارة إلى تحقق وقوعه، فهو

(١) الإتقان: ٢/ ٧٦٦.

(٢) تفسير المنار: ٨/ ٢٣٣.

(٣) الإتقان: ٢/ ٧٦٣.

(٤) النحل/ ١.

(٥) النحل/ ١.

(٦) الإتقان: ٢/ ٧٦٣.

(٧) الاعجاز الصرفي : ٥٢ – ٥٣.

(٨) الزمر/ ٦٨.

واقع لا محالة[1]، فالاتيان بالهيئة الزمنية المنزاحة عن دلالته في هذه الآية لإيقاع الرهبة في النفوس[2]، ويبدو أن السيوطي أكد أن الزمن الماضي ((ينصرف إلى الاستقبال عن الأمور المستقبلية مع قصد القطع بوقوعها))[3].

ويلحظ السيوطي كذلك استبدال الفعل الماضي والفعل المضارع، ويستشهد بشواهد قرآنية محدداً الهيئة الزمنية المستبدلة ببيان التركيب النمطي على النحو الآتي:

المستوى النمطي	الانزياح ⟵ الاستبدالي	المستوى الانزياحي (الاستبدالي)
واتبعوا ما تلت الشياطين على ملك سليمان	⟵	﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾[4]
ولقد علمنا	⟵	﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾[5]
قد علم ما أنتم عليه	⟵	﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾[6]
فلم قتلتم أنبياء الله	⟵	﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾[7]
ففريقاً كذبتم وفريقاً قتلتم	⟵	﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[8]
وقالوا الذين كفروا لست مرسلاً	⟵	﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[9]

(١) الإتقان: ٢/ ٧٦٣.

(٢) الكشاف: ٢/ ٣٥٧.

(٣) الفعل والزمن: ٥٧.

(٤) البقرة/ ١٠٢.

(٥) الحجر/ ٢٤.

(٦) النور/ ٦٤.

(٧) البقرة/ ٩١.

(٨) البقرة/ ٨٧.

(٩) الرعد/ ٤٣.

ثم يعالج السيوطي هذا التحليل للبنية السطحية للتراكيب بتحليل المستوى الدلالي مقرّاً بأن هذه العملية التناوبية أفادت ((الدوام والاستمرار، فكأنه وقع واستمر))[١]. فكثير من الأسلوب القرآني قد يستبدل الماضي بالمضارع، دلالة وزمناً؛ (لإحضار صورة الفعل أمام السامع حتى لكأنه يشاهده))[٢]. ومن لواحق ذلك الانزياح عن المستقبل إلى اسم الفاعل، كقوله -تبارك اسمه- ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾[٣]، موضحاً أن الوقوع ليس حقيقياً في الاستقبال بل في الحال[٤]؛ لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل في الحال والاستقبال، وهذا جائز في العربية. ومما يجري هذا المجرى استبدال المستقبل باسم المفعول[٥]، كما في قوله جل شأنه: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ ﴾[٦]، إذ جرى استبدال الفعل المستقبل الذي هو (يجمع) باسم المفعول الذي هو (مجموع) لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه الموصوف بهذه الصفة[٧].

ولا تتناهى عملية الاستبدال في الممارسات التركيبية، بل تتنوع مع تنوع أنماط التركيب، منها استبدال التركيب الطلبي، سواء أكان أمراً أم نهياً أم دعاءً بالتركيب الخبري لقصد المبالغة في الحثّ عليه كأنه واقع ومخبر عنه، مفسراً ذلك بقول الزمخشري[٨] (ت ٥٣٨هـ) أنه: ((وورود الخبر، والمراد منه الأمر أو النهي أبلغ من صريح الأمر أو النهي، كأنه سورع فيه إلى الامتثال وأخبر عنه))[٩]، مستشهداً بآيات قرآنية عديدة، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾[١٠]، إذ يرى أن أصل

---

(١) الإتقان: ٢/ ٨٦٣.

(٢) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم: ٢١٣.

(٣) الذاريات/ ٦.

(٤) الإتقان: ٢/ ٧٦٤.

(٥) الإتقان: ٢/ ٧٦٤.

(٦) هود/ ١٠٣.

(٧) المثل السائر: ٢/ ١٩١.

(٨) الكشاف: ١/ ١٣٧.

(٩) الإتقان: ٢/ ٧٦٤.

(١٠) البقرة/ ٢٢٨.

التركيب (وليتربص المطلقات)، وإخراج الأمر في هيئة الخبر تأكيداً للأمر وإشعاراً بأنه مما ينبغي أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربّص فهو يخبر عنه موجوداً؛ لأن الأمر لو جاء بهيئته الأصلية لم يفِد هذا التأكيد والاهتمام؛ لأن المأمور بالشيء، قد يمتثل وقد يخالف، وهذا النمط من الصياغة معهود في الكتاب العزيز في مقام التأكيد، والاهتمام يقع في الكتاب في مواقعه ولا يعدوها، ولا يخفى ذلك على من طعم البلاغة وذاقها[1].

وقد لاحظ قبله سيبويه (ت ١٨٠هـ) هذا النمط من الانزياح، إذ يقول: في باب الحروف التي تنزل منزلة الأمر والنهي؛ لأن فيها معنى الأمر والنهي، ومثل ذلك: اتَّقى الله أمرؤٌ وفَعلَ خيراً ،ويُثَبْ عليه؛ لأن فيمعنى: ليتق الله أمرؤ، وليفعل خيراً، وكذلك ما أشبه هذا فيكون الأمر بصيغة الخبر لفظه وإعرابه، لفظ الخبر واعرابه ومعناه الأمر: اتقى اللهَ أمرؤٌ وعمل خيراً، إعرابه إعراب (الفعل)، ومعناه معنى لِيَفْعَلْ، ولِيَعْمَلْ[2].

وأما استبدال التركيب الخبري بالتركيب الطلبي، الذي يمنع تناوبهما على موقعية تركيبية موحدةووظيفتها، إلاّ بإجراء تغيير في الحمولة الدلالية والهيكل النمطي للتركيب؛ لتناغم كل منهما مع مجال سياقي خاص لا ينسجم مع الآخر، كقوله تعالى: ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾[3]. وقد نقل السيوطي عن بعض العلماء[4] أن الأمر (فليمدد) في هذه الآية يأتي بمعنى الخبر وأبلغ من الخبر، لتضمنه اللزوم، نحو قولنا: (إنْ زُرْتَنا فَلْنُكْرِمك)، يريدون تأكيد إيجاب الاكرام عليهم، ومنه حمل قوله -تبارك أسمه- (فَليمْدُدْ) على معنى: (مَدَّ لَهُ الرحمنُ)، يراد: أمهلَهُ وأملي له في العمر، فاخرج على

(١) تفسير المنار: ٢/ ٣٧١.

(٢) الكتاب: ٣/ ٥٠٤.

(٣) مريم/ ٧٥.

(٤) الإتقان: ٢/ ٧٦٤.

لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك، وانه مفعول لا محالة، كالمأمور به الممتثل بتقطيع معاذير الضال، ويقال له يوم القيامة: أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر[1].

ومن التراكيب المستدلة في الكتاب العزيز وكلام العرب شعره ونثره، استبدال التعجب بالنداء تعظيماً لأمر من الأمور، فمن ذلك قول أمرئ القيس[2]:

وَيَـوْمَ عَقَـرْتُ لِلْعَـذَارَى مَطِـيَّتِي   فَيَا عَجَبَاً مِـنْ كُورِهَـا الْمُتحمـلِ

نصّ سيبويه (ت ١٨٠هـ) إذا قلت: يا عجباً، فكأنك قلت: تعال يا عجب، فإن هذا من أيامك، فهذا أبلغ من قولك: تعجبت[3].

وأومأ السيوطي كذلك إلى هذه المسألة، واستدل بقوله تعالى: ﴿ يَحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ﴾[4]، فقد نقل عن الفراء (ت ٢٠٧هـ) انه قال: معناه فيا لها حسرة على العباد[5]. وحكى أيضاً عن ابن خالويه (ت٣٧٠هـ) أنه قال: ((هذه أصعب مسألة في القرآن؛ لأن الحسرة لا تنادى، وإنما ينادى الأشخاص؛ لأنه فائدته التنبيه، ولكن المعنى على التعجب))[6]. وذكر الزمخشري(ت٥٣٨هـ) أن النداء للحسرة عليهم، كأنما قيل لها: تعالي يا حسرة فهذه أحوالك التي حقك أن تحضري فيها، وهي حال استهزائهم بالرسل، ثم أجاز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم وما جنوها به، وعلى فرط إنكاره له وتعجيبه منه[7].

---

(١) الكشاف: ٢/ ٤٢١.

(٢) ديوان امرىء القيس: ١/ ١٠.

(٣) الكتاب: ٢/ ٢١٧ – ٢١٨.

(٤) يس/ ٣٠.

(٥) الإتقان: ٢/ ٧٦٥.

(٦) الإتقان: ٢/ ٧٦٥.

(٧) الكشاف: ٣/ ٢٨٥.

وقد تستبدل الوحدات اللغوية بأخرى في التركيب بغية النوازع النفسية ومنها وضع جمع القلة موضع الكثرة، نحو قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾[1]، مبيناً استبدال جمع الكثرة بالقلة لتقليل (أيام) والتسهيل على المكلفين[2]، أي ((حتى يسهل الطلب على المكلفين، فيسارعوا إلى الإمتثال بالصوم، حين يسمعون أنها أيام قليلة))[3]، ويردف السيوطي لذلك بنصوص قرآنية عديدة[4]، وهذا ما أكدته الدراسات الحديثة التي تعلل التغييرات اللغوية بتفاوت الأوضاع النفسية لكل من المتكلم والمخاطب[5].

ووجد أن العرب يرصدون جمالية اللفظ في استبدال اسم التصريح بالكناية عنه؛ لكون ((الكناية أبلغ من التصريح))[6]، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾[7]، مبيناً أنه من عادة العرب استبدال المرأة بالنعجة؛ ((لأن ترك التصريح بذكر النساء أجمل منه))[8]، ولهذا فإن الله عز وجل لم يذكر في القرآن الكريم امرأة باسمها إلا مريم ذكرت باسمها لنكتة، وهو ((أن الملوك والاشراف لا يذكرون حرائرهم في ملأ، ولا يبتذلون أسماءهن، بل يكنون عن الزوجة بالفراش والعيال ونحو ذلك، فإذا ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن، ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر، فلما قالت النصارى في مريم ما قالوا، صرح الله باسمها؛ ولم يكن (إلا) تأكيداً للعبودية التي هي صفة لها وتأكيداً؛ لأن عيسى لا أب له، وإلا لنسب إليه))[9]. ويردف السيوطي لذلك

(١) البقرة/ ١٨٤.

(٢) الإتقان: ٢/ ٧٦٥.

(٣) شرح د. مصطفى البغا بهامش رقم (١) في الإتقان: ٢/ ٧٦٥.

(٤) الإتقان: ٢/ ٧٦٥.

(٥) علم النفس اللغوي: ٣٧ – ٣٨، ٤٩ – ٥٠، واللغة وعلم النفس ١٩٨ – ٢٠٠، ٢١٠_ ٢١٥، وعلم اللغة وعلم اللغة النفسي: ١٠٢ – ١٠٤.

(٦) الإتقان: ٢/ ٧٨٦، وينظر: ٢/ ٧٨٩.

(٧) ص/ ٢٣.

(٨) الإتقان: ٢/ ٧٨٩.

(٩) الإتقان: ٢/ ٧٨٩ – ٧٩٩.

بنصوص قرآنية عديدة[1]، منها كذلك قوله -تبارك اسمه- ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾[2]، حين يرى أن التركيب النمطي هو (عفيفات) واستبدل عنه؛ ((للدلالة على أنهن مع العفة لا تطمع أعينهن إلى غير أزواجهن، ولا يشتهين غيرهم، ولا يؤخذ ذلك من لفظ العفة))[3].

وفي ضوء ما تقدم نستشف أن السيوطي قد حلل التراكيب التي أوردها بتطبيق الانزياح الاستبدالي؛ ليثبت أن استبدال وحدة لغوية بوحدة أخرى في التركيب ينبئ بحدوث تغيير في دلالاتها، وهذا ما يصطلح عليه في الدراسات الألسنية بـ(الاختيار الاستبدالي) الذي يكمن في ((إحداث تغيير إصطناعي على صعيد العبارة (الدوال) ثم رصد ما إذا كان سيترتب عن هذا التغيير تعديل متلازم معه على صعيد محتوى المدلولات))[4].

(١) الإتقان: ٧٩٠ – ٧٩٣.

(٢) الرحمن/ ٥٦.

(٣) الإتقان: ٢/ ٧٩٣.

(٤) مبادئ في علم الأدلة: ١٠٢.

الانزياح البياني

يشمل الانزياح البياني تلك التغييرات التي تطرأ على الصور البيانية داخل السياق البلاغي. وذلك لانتاج صور بيانية تعرض المفاهيم الدلالية عرضاً بلاغياً خاصاً يباين الكلام العادي الذي قد يعرض هذه الصور بأسلوب مباشر وأولي. ويصنف الانزياح البياني إلى صنفين وهما:

1. **الانزياح الوظيفي**
2. **الانزياح العلائقي**

وقبل الخوض في تفاصيل هذين الانزياحين عند السيوطي اللذين ذكرهما ضمن (فن المجاز) يجدر بنا أن نومئ إلى فن المجاز، الذي هو أحد الأساليب التعبيرية البيانية وهو فن أصيل يمتد جذوره إلى العصر الجاهلي في الاستعمال، وتشتبك أنواعه في كل من النثر والشعر على حد سواء؛ فـ((اللغة العربية لغة المجاز، لا لأنها تستعمل المجاز، فكثير من اللغات تستعمل المجاز كما تستعمله اللغة العربية، ولكن اللغة العربية تسمى لغة المجاز لأنها تجاوزت بتعبيرات المجاز حدود الصور المحسوسة إلى المعاني المجردة، فيستمع العربي إلى التشبيه فلا يشغل ذهنه بأشكاله المحسوسة إلا ريثما ينتقل منها إلى المقصود من معناه، فالقمر عنده بهاء، والزهرة نضارة، والغصن إعتدال ورشاقة...))[1].

ومن هنا وقف السيوطي عند وقوع الحقائق والمجازات في القرآن الحكيم، واتفق مع العلماء من قبله في عدم الخلاف في وقوع الحقائق في القرآن، حيث عرف (الحقيقة) قائلاً: ((وهي: كلّ لفظٍ بقيَ على موضوعه، ولا تقديم فيه ولا تأخير))[2]. أي إن الحقيقة هي استعمال اللفظة في وضعها الأول من غير انزياحها، بحيث لا يتبادر

(1) أصول البيان العربي: ٣٦.

(2) الإتقان: ٢/ ٧٥٣.

إلى الذهن غير ذلك حينما تطلق، فحينئذٍ تتعيين اللفظة مجازاً؛ لكون المجاز هو الانزياح و تخطي اللفظة من موقعها، أو من معناها الأولي إلى معنىً ثانوي؛ لأنه يحتوي على عملية ((تطوير لدلالة اللفظ، وتحميله من المعاني المستحدثة ما لا يستوعبه نفس اللفظ في أصل وضعه))[1]. فالمجاز إذن حدث لغوي فضلاً عن كونه عنصراً بلاغياً بالاستنارة، يبين تطور اللغة بتطور دلالة مفرداتها على المعاني الجديدة.

أما قضية المجاز في القرآن أهي واردة أم منتفية؟ فهذه القضية كتبَتْ فيها الكثير من الفصول المبعثرة في طيّات الكتب، وقليلاً ما نجد ما هو منظم في هذا المجال[2]. إذ أيد الجمهور وقوعه في القرآن ومن بينهم السيوطي، وأكد وجوده فيه، وردَّ على منكري وجوده بدعوى أنه قائم على الكذب مما يؤدي إلى ضلال أو إفساد في العقائد؛ وذلك ردّاً على جماعة، منهم ((الظاهرية وابن القاصّ من الشافعية وابن خويز منداد من المالكية))[3]. وحجتهم: ((أن المجاز أخو الكذب، والقرآن منزه عنه، وأن المتكلم لا يعدل إليه إلاّ إذا ضاقت به الحقيقة، فيستعير))[4]، وذلك مما لا يمكن تصوره بالنسبة للقرآن، وهو محال على الله سبحانه وتعالى.

يلحظ مما سبق أن الجماعة السالفة يرون أن المجاز واقع في اللغة منفي عن القرآن، وهذا يتعارض مع ما هو من المسلمات الأساسية التي تنص على أن القرآن جارٍ على سنن العرب، وعلى طريقتهم ومنوالهم في الصياغة والتعبير عن أغراضهم ومقاصدهم ((وهي صفة يؤيدها القرآن نفسه، كما يؤيدها كثير من تصريحات اللغويين))[5].

(١) الصورة الفنية في المثل القرآني: ١٥، وينظر: أصول البيان العربي: ٣٦.

(٢) الخصائص:٢/ ٤٤٦-٤٥٤، وأسرار البلاغة: ٣٠١-٣١٢.

(٣) الإتقان: ٢/ ٧٥٣.

(٤) الإتقان: ٢/ ٧٥٣.

(٥) إشكاليات القراءة وآليات التأويل: ١٢٦.

وقد عقب السيوطي على ذلك في أن حجتهم باطلة بقوله: ((ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسْن، ...ولو وجب خلوّ القرآن من المجاز وجب خلوّه من الحذف والتوكيد وتشبيه القصص وغيرها))[1].

ومن نافلة القول نستشف مدى تنبه ذهن السيوطي لهذا الملحظ الدقيق في استنكاره مجاز القرآن،إذ إنه نابع من الحاجة إليه في بيان محسنات القرآن البلاغية، فهو والحقيقة يتقاسمان شطري الحسن في الصورة البيانية. ويستدل السيوطي على مواطن الجمال والافاق الدلالية لهذه السمة الأسلوبية الانزياحية بإيراد شواهد قرآنية.

ولا جرم أن المجاز واقع في القرآن بوصفه ركناً أساساً من أركان بلاغته المعجزة، فقد استقطب القرآن الحكيم شتى صنوفها ومختلف تفريعاتها، ووصفت سوره وآياته بأبرز ملامحها وأصدق مظاهرها، فالمجاز عند البلاغيين نوعان؛ لأنه في القرآن نوعان: مجاز لغوي ومجاز عقلي، بغض النظر عن التفريعات الثانوية النابعة عن المجاز بوصفه عقلياً أو لغوياً.

الانزياح الوظيفي

يمثل الانزياح الوظيفي ظاهرة أسلوبية منزاحة، و((خرق العلاقة العادية بين الصورة (Form) والمعنى (Meaning)، أي أن هناك تعارضاً بينهما، أو خرق الوظيفة الإنعاكسية للغة))[2]، إذ تتجاوز العلاقات السياقية في التركيب الجملي في انتظامها السنن النمطية المطردة استجابة لحاجات المواقف والمقامات الاجتماعية ((ولاشك أن تجاوز العلاقات النحوية العادية، أو الاتساع في الكلام كان أحد الأبواب التي فتحت لعلم البلاغة، وإن لم يكن أوسع هذه الأبواب))[3]. لذا يدخل الانزياح الوظيفي ضمن الصور البيانية بوصفه نوعاً من أنواعها؛ ((إذ هو طابع يلتوي بالدلالات الوضعية

(١) الإتقان: ٢/ ٧٥٣.

(٢) مصطلح الاتساع والمفاهيم المرتبطة به في النحو العربي: ٢-٣.

(٣) اللغة والإبداع: ١١١.

الأولى للكلمات، وتلد منها بالمزج والتركيب والحذف والإضمار دلالات فنية ثانوية، هي بمنطق الشعر أهم وأولى من تلك الدلالات اللغوية الوضعية))[1].

فثمة تراكيب لا تطابق القضايا الحقيقية والجمل التي لا يتأتى فيها للفاعل فعل حقيقة، وعلاقة الإسناد علاقة طبيعية يقتضيها كل كلام يثبت فيه شيء بشيء، بيد أن هذه العلاقة تنزاح عما تقتضيه أوضاع اللغة والتفكير اللغوي، ويكون التجاوز في التركيب تجاوزاً من جهة العقل، والعقل يتحكم به، ولذلك عرف بـ(المجاز العقلي)* ، ويعود ابتكار هذا الانزياح إلى عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) دون منازع[2].

وقد تقصى السيوطي الانزياح الوظيفي وأدرجه ضمن (المجاز الإسنادي أو العقلي)، إذ يقول معرفاً له ((المجاز في التركيب، ويسمى مجاز الإسناد، والمجاز العقلي وعلاقته الملابسة، وذلك أن يسند الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له أصالة لملابسته له))[3]. فيلحظ من تعريفه أنه تنبّه إلى حتمية علاقة مع قرينة صارمة من أن يكون الإسناد إلى غير ما هو له. ويفهم من ذلك أن الانزياح الوظيفي يعرف بتغيير في بنية الإسناد و((لا علاقة له بدلالات المفردات؛ إذ تظلّ المفردات مقصودة بدلالاتها الأصلية، لكن الأحكام المسندة إليها تتحول مما يتصوره العقل ويستسيغه إلى ما لا يتصوره ولا يستوعبه على حقيقته إلاّ بضرب من المجاز والتأويل ويلزم ذلك تحريك العقل وتنشيطه للوصول إلى الدلالة المتوخاة))[4] ويلزم ذلك الانزياح توجه الحكم وتحريك العقل للوصول إلى الدلالة المقصودة.

---

(١) تحليل النص الشعري: ٩.

(*) وقد ترجم هذا المصطلح عند الباحثين اللغويين في معالجة النصوص الأدبية وتفكيك شفراتها والعلاقات الداخلية المتسقة لها إلى مصطلحات عديدة للتدليل عليه، مثل ((السيمياء التضمينية والتحول المجازي للشفرة والتعبير المجازي والإسناد المجازي والتحولات المجازية))، هسهسة اللغة: ١٦٧، وعلم اللغة الإجتماعي: ١٠١، وعلم النص:٢٠، وما وراء اللغة: ٦٨.

(٢) اسرارالبلاغة:٣٤٥ـ٣٥٧ المجاز في البلاغة العربية: ٨٧، والتراكيب النحوية : ٢٠٧-٢٠٩، والتركيب اللغوي للأدب: ٢٨.

(٣) الإتقان: ٢/ ٧٥٣.

(٤) الثنائيات المتغايرة: ١٦٦، والبحث الدلالي في كتاب سيبويه: ٣٩٧.

ومن التراكيب المنزاحة وظيفياً ما مثل به السيوطي وفسّر مكوناتها الدلالية بعزو العلاقات الطبيعية الأصلية إلى المكونات التي انزاحت عن إطارها النسقي المعياري، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[1]، مبيناً أن الانزياح قد تحقق في الوظيفة النحوية من جراء إسناد زيادة الإيمان إلى الآيات، وهي في الحقيقة مسببٌ لها[2]، ولما كان الأصل في الإيمان وزيادته هو التوفيق الإلهي الصادر عن الله سبحانه وتعالى، ومزية الانزياح هنا أن ((الآيات لقوة سببيتها وفاعليتها في النفوس، كأنها هي التي فعلت زيادة الإيمان، فالمراد توضيح أهمية الآيات وفاعليتها))[3].

ويستشهد فيما يذهب إليه بشواهد قرآنية[4] كثيرة مبيناً مواطن روعة هذا الانزياح وجماله في السياق القرآني، ويصنفه إلى أربعة أصناف، وهذا ما أومأ إليه سابقوه[5].

أحداها/ ما كان طرفا الإسناد (المسند والمسند إليه) فيهما حقيقيان، والشاهد الذي أورده لذلك قوله تبارك اسمه:﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[6]، فطرفا الإسناد (الإخراج والأرض) حقيقيان، ولا انزياح فيهما ولكنه مستنبط من ضم بعضها لبعض[7]؛ لأن الأرض لا تُخرج وإنما يُخرج الله منها أثقالها، فهي مكان الفعل وليست فاعله، وهذا يتفق مع نظرة (دي سوسير) في اللغة بأنها ((نظام من العلامات التي تتكون من شيء مسموع ومن تصور مرتبط بها ارتباطاً لا انفصام له، ولذلك لا تكون للكلمة قيمة إلاّ من خلال نظمها أو تركيبها))[8].

---

(١) الأنفال/ ٢.

(٢) الإتقان: ٢/ ٧٥٤.

(٣) خصائص التراكيب: ٩٠.

(٤) الإتقان: ٢/ ٧٥٤.

(٥) الإتقان: ٢/ ٧٥٤.

(٦) الزلزلة/ ٢.

(٧) الإتقان: ٢/ ٧٥٤.

(٨) بحوث لغوية: ٩٢.

ثانيها/ ما كان طرفاه مجازيين، ويحتج لذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾[1]، محللاً إياه بأنّ طرفيّ الإسناد (الربح والتجارة) مجاز[2]، والانزياح قد حصل عن طريق التركيب والاسناد في الجملة، وذلك باسناد الربح إلى التجارة، والحق هو إسناد الربح إلى أصحاب التجارة وليس ذات التجارة.

ثالثها ورابعها/ ما كان أحد طرفيه حقيقياً والآخر مجازياً، ويمثل لذلك أيضاً بآيات قرآنية كثيرة[3]، نحو قوله تعالى، ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾[4]. إذ أسند الفعل (تؤتي) إلى الفاعل (شجرة)، وهي عاجزة عن ذلك ولولا الانزياح الوظيفي ما ثبت لها هذا الفعل، وإنما هو فعل صادر عن الله عز وجل، فليست هي التي تحدث قوة إيتاء الأكل، وبإسناد قوة هذه الفاعلية لها، وهي غير قابلة لذلك عقلاً[5]، يتحقق الانزياح الوظيفي الذي يعد ((من أبرز الأساليب المعبرة عن التشخيص، وهو (سحر) في تتحول الجمادات بمقتضاه أشخاصاً تتكلم وتتحرك فتنبعث الحيوية في المشاهد حيث تستند إليها أدوار التمثيل))[6].

يلحظ مما سبق ذكره أن السيوطي كان مدركاً للتراكيب التي لها تلك المزية، وذلك الإبداع والقيمة الفنية في أداء المعنى، فالتركيب النحوي إذا كان على هذه الصورة والهيئة اللغوية يصبح عاملاً مهماً في توليد المعاني وإضفاء صبغة من الجمال عليها، ولو أرجعنا هذا التركيب المجازي الى هيئته الحقيقية لفاته هذا الحسن.

---

(١) البقرة/ ٦٦.

(٢) الإتقان: ٢/ ٧٥٤.

(٣) الاتقان: ٢/ ٧٥٤.

(٤) إبراهيم/ ٢٥.

(٥) الصورة الفنية في المثل القرآني: ١٥٦.

(٦) تحاليل أسلوبية: ١٣٣.

الانزياح العلائقي

يقابل الانزياح العلائقي الانزياح الوظيفي، لكونه يتعلق بانتقال المفردات من دائرتها الدلالية المعجمية إلى دوائر مجازية أخرى تحدد دلالاتها المجازية واستعمالاتها السياقية التي تتحكم فيها مجموعة علاقات غير متصلة بالتغيرات التركيبية والوظيفية[1]. وإنما تتعلق هذه التغييرات بالتباين بين الاستعمال المعجمي الأصلي والاستعمال السياقي المجازي، ويُعَدُ هذا النوع من أهم أنواع الانزياح البياني، كما يلحظ ذلك في المجاز اللغوي الذي يكون انزياحاً في العلاقة سواء أكان مجازاً مرسلاً أم مجازاً بالاستعارة[2].

فالمجاز المرسل الذي سماه السيوطي بالمجاز المفرد أو اللغوي الذي يستند إلى علاقات غير المشابهة في تحويل المفردة من دلالتها القاموسية إلى دلالات مجازية. ثم يعرج السيوطي على المجاز اللغوي ويحدده قائلاً: ((وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أولاً))[3]. يُلحظ من حد السيوطي أنه غير دقيق ولم يصرّح بحتمية وجود علاقة غير المشابهة لتميّز بين المعنى المعجمي والمجازي، كما نجد عند سالفيه، ولاسيما عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) الذي هو أول من تنبه إلى الفروق المميزة بين المجاز المرسل والاستعارة[4].

فالمجاز المرسل في حقيقته جاء على أساس عدم ارتباطه بعنصر المشابهة في ملابسته للمعنى بغير التشبيه، وتسميته جاءت لخلوه من القيود وسلامته من الحدود، فالإرسال لغةً: الإطلاق[5].

---

(١) علم الدلالة (مختار): ٦٩، والبلاغة والأسلوبية: ٦٣، واللغة والمعنى والسياق: ٢٢٢، وعلم الدلالة (نور الهدى): ٦٩، والنقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك: ٨٩.

(٢) قضايا الشعرية: ٤٨، وبنية اللغة الشعرية: ١٠٩.

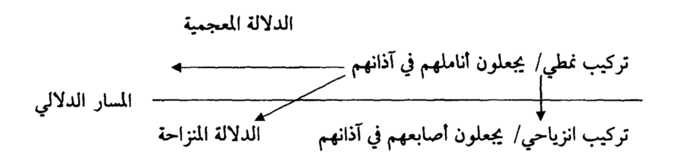
(٣) الإتقان: ٢/ ٧٥٤ – ٧٥٥.

(٤) أسرار البلاغة: ٣٧٦.

(٥) مجاز القرآن (محمد الصغير): ١٤٤.

وقد تفنن السيوطي بإبراز أنواع هذا الانزياح باعتباراته الخطابية والأسلوبية، وهذه الأنواع ما هي إلا وجه من الوجوه التي يقع عليها هذا الانزياح ويدور في فلكها، ومنها:

١. **الكلية**: عبر عنها السيوطي بـ((إطلاق اسم الكل على الجزء))[١]. والشاهد الذي ذكره قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴾[٢]، مبيناً أن إتيان لفظ (أصابع) في هذه البنية التركيبية للدلالة على وضع الأنامل وهي جزء من كل الأصابع، و ((نكتة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى إدخالها على غير المعتاد مبالغة في الفرار، فكأنهم جُعِلُوا الأصابع))[٣]، والسر البلاغي في الانزياح عن هذه البنية التركيبية ((هو رغبة القوم في تعطيل حاسة السمع بأقصى ما يمكن مبالغة فيما يشعرون به من هول الصواعق وفظاعتها))[٤]. ويمكن توضيح ذلك بهذه الترسيمة:



٢. **الجزئية**[٥]: وهي عكس النوع الأول، ويستشهد لذلك بقوله تعالى:﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[٦]، إذ في هذه الآية أطلق (الوجه) باعتباره أشرف الأعضاء لمن يتصف به،

---

(١) الإتقان: ٢/ ٧٥٥.

(٢) البقرة/ ١٩.

(٣) الإتقان: ٢/ ٧٥٥.

(٤) علم البيان (بسيوني): ١٥٦.

(٥) الإتقان: ٢/ ٧٥٥.

(٦) الرحمن/ ٢٧.

وأريد به هنا الذات القدسية دون إرادة التجسيم أو الكيفية أو المواصفات في الوجه وأجزائه، وهذا الانزياح يستند إلى ((العرف العربي من وجه، وإلى النظر العقلي من وجه آخر، أما العرف العربي فهو يطلق على الوجه ويراد به الذات المتصفة بالوجه أو لم تتصف باعتبار أن الوجه أشرف السمات الاعتبارية في حقائق الأشياء دون تصور جهة ما، وأما النظر العقلي فهو الدال على الباري فوق المحدثات والممكنات ولو كان له وجه حقيقة لكان محدثاً أو ممكناً، وهو خلاف ذاته الأبدية والأزلية))[1].

ويشترط في هذه العلاقة أنّ يكون مما جرى العرف على استعمالها، أو يكون لها اتصال وثيق بالمعنى المراد[2]؛ لأنه لا يجوز أن تتبادل الألفاظ في مواقعها من غير أن يكون هناك أواصر أو علائق بين هذه المواقع وتكون هذه العلائق بمثابة أضواء ترشد إلى إدراك المراد من الكلمة، ولولا ذلك لكان استعمال الانزياح اللغوي ضرباً من الفوضى في اللغة، ولا يرشد إلى حقيقة ولا يهدي إلى دلالة[3].

٣. الخصوص: وهو اطلاق اسم خاص على العام[4]،واستشهد بقوله تبارك وتعالى:﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5]، فالانزياح قد حصل من جراء اطلاق (رسول) وهو اسم خاص وأريد به (رسله) وبهذا يحقق الانزياح وظيفته الجمالية والفنية؛ لأن ((أهم العناصر الخاصة بالقول الجمالي هو أن يكسر نظام الإمكانات اللغوية))[6].

أما العلاقة العمومية وهي عكس العلاقة السابقة، وتعني إطلاق اسم العام على الخاص[7]، فيستشهد لها بقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[8]، فأتى لفظ

(١) مجاز القرآن (محمد الصغير): ١٠٦-١٠٧.

(٢) علم البيان (بسيوني): ١٥٤.

(٣) التصوير البياني: ١٨١

(٤) الاتقان: ٢/ ٧٥٦.

(٥) الشعراء/ ١٦.

(٦) النظرية البنائية: ٣٧٥.

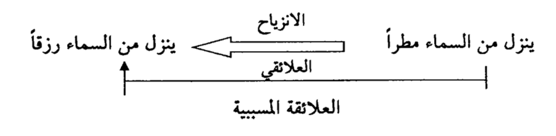
(٧) الاتقان: ٢/ ٧٥٦.

(٨) الشورى/ ٥.

(مَنْ) لدلالة الجماعة، في حين يقصد به فئةً معينة وهي (فئة المؤمنين)، ويستدل فيما يذهب اليه بقوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[1].

٤. **الملزومية**: ويقصد بها إطلاق الملزوم على اللازم[2]، إذ لم يستشهد لهذا النوع من الانزياح بشواهد كما هو معتاد عنده. أما عكس هذا النوع وهو (اللازمية)، فقد استشهد له بقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ ... هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[3]، مبيناً أن لفظة (يستطيع) قد تحقق فيها الانزياح العلائقي حين اطلق الاستطاعة على الفعل وأراد بها الفعل؛ لأنها لازمة له.

٥. **المسببية**: ويراد بها تسمية السبب باسم المسبب[4]، نحو قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ﴾[5]، ويبين في هذه الآية أن الانزياح قد نجم في البنية التركيبية لسياق الآية في لفظة رزقاً؛ لأنها لم تستعمل فيما وضع لها[6]، ومعلوم أن الرزق لا ينزل من السماء بهيئته وكيفيته، وإنما أنزل الله عز وجل المطر، وكان المطر سبباً في الرزق. والنكتة البلاغية لهذا الانزياح تكمن في ((إيحاء وتنبيه للمؤمن إلى أن الرزق مصدره السماء فليطمئن وليمض على النهج القويم، فالرزق قد قدره الله وكفله للجميع، إنه منزل من السماء))[7]. ويمكن توضيحه فيما يأتـــي:



(١) غافر/ ٧.
(٢) الاتقان: ٢ / ٧٥٧.
(٣) المائدة/ ١١٢.
(٤) الاتقان: ٢/ ٧٥٧.
(٥) غافر/ ١٣.
(٦) الاتقان: ٢/ ٧٥٧.
(٧) علم البيان (بسيوني): ١٥٠.

والسببية هي عكس ما سبق وذلك بأن يطلق لفظ السبب ويراد به المسبب، وقد تنبه السيوطي في نسبة الفعل إلى سبب السبب، ويدعم نظرته بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[1]، وكذلك قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾[2]، فيرى أن المخرج الحقيقي هو الله تعالى، واخراج آدم وحواء كان بسبب الأكل من الشجرة، وسبب الأكل هو وسوسة الشيطان[3].

٦. **علاقة اعتبار ما كان:** وهو أن يعبر عن الشيء باسم ما كان عليه، وقد سماه بعضهم بـ(السبق)[4]، ويستشهد لذلك بقوله جل ثناءه: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[5]، محللاً إياه أن الانزياح حصل في لفظ (اليتيم) واطلاقه على الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم ولم يبلغوا سن البلوغ، ويدفع لهم بأموالهم بعد أن يتجاوزوا سن اليتم ويصبحوا راشدين.أما عكس ذلك فهو أن يعبر عن الشيء باسم ما يؤول إليه[6]، وقد سمي بـ((الاستعداد))[7]، ويستشهد السيوطي له بقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[8]، مدركاً بالانزياح الذي قد نتج جراء استعمال لفظ (الخمر) بدل (العنب)، باعتبار العصر والخمر لا تعصر، وإنما العنب المتحول بالعصر خمراً[9]، وذلك ايثاراً ينبئ بالإثم الذي يرتكبه العاصر، فهو لا يعصر عنباً وإنما يعصر خمراً[10].

---

(١)البقرة/ ٣٦.

(٢)الأعراف/ ٢٧.

(٣) الاتقان: ٢/ ٧٥٧.

(٤) التصوير البياني: ٩٤ .

(٥)النساء/ ٢.

(٦) الاتقان: ٢/ ٧٥٨.

(٧) التصوير البياني:٩٥.

(٨) يوسف/ ٣٦ .

(٩) الاتقان: ٢/ ٧٥٨.

(١٠) علم البيان (بسيوني): ١٥٧ .

٧. **الحالية**: ويراد بها اطلاق اسم الحال على المحل، والشاهد الذي أورده السيوطي هو قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١]، فحصل الانزياح العلائقي في رحمة الله؛ لأن المراد منه جنته لأنها مكان الرحمة[٢].

أما إذا ذكر اسم المحل وقصد به الحال[٣]، الذي هو عكس (الحالية) ويسمى بـ(المحلية)، ويستشهد لذلك أيضاً بقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾[٤]، مبيناً أن الانزياح حاصل من دعاء النادي، فالمقصود أهل ناديه وأصحابه لاستحالة دعوة النادي؛ لأن النادي المجلس الذي ينتدى فيه القوم ،أي: يجتمعون.

وذكر السيوطي أنواعاً أخرى للمجاز المرسل وعلاقاته، بحيث قد تستوعب أضعاف ما ذكرناه من نماذج، وهو متفنن باستخراجها من مظانها التصنيفية حتى أوصلها إلى عشرين نوعاً عدا التفريعات الأخرى[٥].

فضلاً عن ذلك فقد نوّه السيوطي إلى أن هناك مصطلحاً وهو (مجاز المجاز)، وقد سبقه بذكره الزركشي(ت٧٩٤هـ) في كتابه ((البرهان في علوم القرآن))[٦]، موضحاً بقوله: ((وهو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر، فيتجوز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينهما))[٧]، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾[٨]، و ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[٩] إذ يرى تركيب (لا إله إلا الله) قول باللسان مجاز عن حقيقة تصديق القلب، وبينهما علاقة سببية؛ لأن توحيد

(١) آل عمران/ ١٠٧.

(٢) الاتقان: ٢/ ٧٥٨.

(٣) الاتقان: ٢/ ٧٥٨.

(٤)العلق/ ١٧.

(٥) الاتقان: ٢/ ٧٥٩ – ٧٧١.

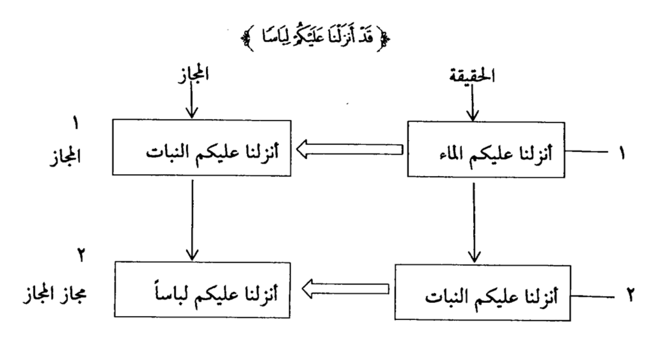
(٦) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٢٩٨.

(٧) الاتقان: ٢/ ٧٧٢.

(٨) المائدة/ ٥

(٩) الصافات/ ٣٥.

اللسان سبب عن مسبب توحيد الجنان الذي هو حقيقة الإيمان بالله تعالى النابع من القلب، و((التعبير بـ(لا إله إلا الله) عن الوحدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه))[1]، ولبيان ذلك يمثل بقول بعضهم في تحليله لقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾[2]، محللاً بقوله: إن ((المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس، بل الماء المسبب للزرع المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس))[3]. ويمكن توضيح ما ذهب إليه بهذه المعادلة.



ففي الخطوة الأولى مجاز مأخوذ من الحقيقة المتمثلة في إنزال الماء من السماء، أما الخطوة الثانية ففيها مجاز المجاز إذ جعل إنزال النبات بمثابة الحقيقة وأخذ منه مجاز ثان وهو إنزال اللباس.

(١) الإتقان: ٢/ ٧٧٢.

(٢) الأعراف/ ٢٦.

(٣) الإتقان: ٢/ ٧٧٢.

يلحظ مما سبق ذكره أن استعماله لمصطلح ((مجاز المجاز)) مقتبس من فكرة عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) بصدد ((المعنى)) و ((معنى المعنى))[١]. فيتضمن نسقاً مزدوجاً من الدوال والمدلولات، تؤدي الدوال الأولى مدلولات أولية مباشرة، هي الدلالة التصريحية المفهومة من البنية السطحية من التركيب، بيد أن الدوال الثانية تؤدي مدلولات ثانوية، وهي غير صريحة، والمفهوم بفعل دورانه المتجدد في انساق تركيبية مختلفة لا يصل إليها الذهن إلا بالتأمل والتمعن، وأضحى طريقاً لرفع اللبس في الدلالة يمر عبر السياق اللغوي[٢] والخطابي أو معاينةالمقام الذي يتمثل في المعطيات الخارجية والنفسية، وهذه الثيمة الدلالية نجدها عند اللغوي الغربي (يلمسلف)؛ إذ يقابل (المجاز) عنده (الدلالة التقريرية)، و (مجاز المجاز) (الدلالة الإيحائية)[٣].

أما فيما يخص ظاهرة الاستعارة التي تستند إلى العلاقات القائمة بين المفردات داخل السياق اعتماداً على علاقة التشبيه فلم يكن السيوطي أول من أومأ إليها، بل تناول هذه الظاهرة معظم العلماء في أثناء الدراسات القرآنية واللغوية والأدبية، لكن لم يكونوا دقيقين في تحديدهم للاستعارة، بل خلطوا مفهومه بمفهوم المجاز[٤]، ويستثنى من ذلك القاضي الجرجاني (ت٣٦٦هـ) الذي له تلميحات دقيقة إلى أن الأسلوب الاستعاري يبنى على علاقة المشابهة بين المستعار له والمستعار منه[٥].

وأفاد السيوطي مما وصل إليه من سابقيه والعلماء الذين سبقوه اعتمدوا على المنطق في تحديد مفهوم الاستعارة[٦]، في حين اعتمد السيوطي على صورة لفظية فقال:

---

(١) دلائل الاعجاز: ٢٦٢ – ٢٦٣.

(٢) دور الكلمة في اللغة: ٦٣ وعلم الدلالة (منقور): ٨٩.

(٣) مبادئ في علم الدلالة: ١٣٥ – ١٣٦.

(٤) معاني القرآن (الفراء): ٢/ ٢٧، ٩١، والنقائض: ١/ ٣٢٤، ٣٣٤، والبيان والتبين: ١/ ١٥٣، ٢٨٤، وتأويل مشكل القرآن: ١٣٤، والمقتضب: ٣/ ١٨٨، والخصائص: ٢/ ٤٤٨، والصاحبي: ٢٠٤، ٢٠٥، وفقه اللغة: ٣٥٨ – ٣٦٠، واماني المرتضى: ١/ ٥٥، وتفسير التبيان: ١/ ٦٤، ٧/ ٩٣، وسر الفصاحة: ١٠٨ – ١٣٧.

(٥) الوساطة: ٤١.

(٦) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ١٣٤.

إن هناك تزاوجاً حين يكون التشبيه زوجاً للمجاز، وتكون في نسلهما الاستعارة، قائلاً: ((زوج المجاز بالتشبيه، فتولد بينهما الاستعارة، فهي مجاز علاقته المشابهة))[١]. فحصر الاستعارة في التركيب على علاقة المشابهة كما أكدت الدراسات الحديثة[٢].

وبيّن أنها تدخل ضمن (مجاز لغوي) وحجته أنها وضعت للمشبه به لا للمشبه[٣]، ويدعم فكرته هذه بمثال، وذلك يرى أن لفظ المشبه به (أسد) في التركيب الاستعاري (رأيت أسداً يرمي) وضع في اللغة ولم يوضع للمشبه هو (الرجل الشجاع)، ولا لمعنى عام يشمل (الحيوان الجريء) ولذا كانت دلالته على المشبه عن طريق التشبيه، ونقل اللفظ وانصرافه من دلالته المعجمية وهو (الحيوان الجريء) إلى الدلالة الثانوية على رجل (الحرب الشجاع)، والعلاقة بينهما (الجرأة والاقدام)[٤]، وهذا تصرف لغوي، ولذا كانت الاستعارة انزياحاً لغوياً، وهذا ما أكدته الدراسات اللغوية الحديثة التي ترى أن ((الاستعارة خرق لقانون اللغة، وأنها تتحقق في المستوى الاستبدالي))[٥].

ويتبين من تحليله لهذه العينة أنه قد جعل مبدأ الطاقة الايحائية مقياساً جوهرياً في تحديد الخصيصة البلاغية والدلالية للتراكيب اللغوية، وهذا يتفق مع الألسنية الحديثة في تحديد الدلالة ضمن (الدلالة المركزية) و (الدلالة الهامشية)، إذ إن الأولى يشترك في فهمها عامة الناس المنتمين إلى البيئة اللغوية نفسها، أي الدلالة الأصلية الثابتة في الوضع اللغوي، أما الثانية فهي دلالة اللفظ على شئ خارج عن معناه وغير

---

(١) الاتقان: ٢/ ٧٧٩.

(٢) قضايا الشعرية: ٣٣، وبنية اللغة الشعرية: ١٠٩ ، وفن الاستعارة: ٣٨ ، والنظرية الاستبدالية للاستعارة:٩.

(٣) الاتقان: ٢/ ٧٧١.

(٤) رسائل العرفان: ٢٠٤.

(٥) بنية اللغة الشعرية: ١٠٩.

مستقر وهي دلالة تختلف باختلاف الأفراد تبعاً للملابسات أو التجارب الشعورية مما يفسح المجال للانزياح والابداع الفني[1].

وقد بدأ السيوطي بتصنيف التركيب الاستعاري باعتبار أركان ثلاثة (مستعار – مستعار منه – مستعار له) إلى خمسة أصناف: فالصنف الأول منها تكون الاستعارة المحسوسة المأخوذة من الأشياء المحسوسة، ويستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[2]، فالمفردة (اشتعل)، من الأشياء المحسوسة استعيرت ((لإفادة عموم الشيب لجميع الرأس))[3]. فأدت البنية التركيبية بهذه التشكيلة بلاغة في التعبير، ودقة في الدلالة، وسيرورة الألفاظ وتآزرها مع بعضها البعض[4]، فالمستعار منه هو (النار)، والمستعار له (الشيب) والعلاقة بينهما ((هو الاستنباط ومشابهة ضوء النار لبياض الشيب))[5]، وكل ذلك محسوس، وأكد السيوطي[6] أن هذه الطاقة الإيحائية محصلة من التركيب الاستعاري، فلو ورد التركيب على هيئته نمطية (اشتعل شيب الرأس) لما كان كلاماً مهماً،ولما كان له قبول مثل ذلك الذي ورد فيه، إذ إن الدلالة المعجمية ((عاجزة عن أداء الوظيفة التي تستند إليها الجملة))[7]، فالانزياح العلائقي يعوض عن هذا العجز الدلالي ويحقق الدلالة الايحائية وهذا ((نوع من الاختزال اللغوي))[8].

وثمة صنف آخر تكون الاستعارة فيه عقلية مأخوذة من الأشياء المحسوسة، وبّينه بأنها ألطف من الأولى، وذلك على لسان ابن أبي الأصبع (ت ٦٥٤هـ)[9]،

---

(١) دلالة الألفاظ: ١٣٤ – ١٣٥، وعلم الدلالة (مختار): ٤٦، وصف اللغة العربية دلالياً: ١٥٣ – ١٥٤.

(٢) مريم/ ٤.

(٣) الاتقان: ٢/ ٧٨١.

(٤) أصول البيان العربي: ٩٤.

(٥) الاتقان: ٢/ ٧٨١.

(٦) الاتقان: ٢/ ٧٨١.

(٧) بنية اللغة الشعرية: ٢٠٢، وينظر: علم الدلالة (مختار): ٢٤١، وعلم الدلالة (منقور): ١٤٩.

(٨) دور الكلمة في اللغة: ١٨٣.

(٩) الاتقان: ٢/ ٧٨١.

ويورد الشاهد لذلك بقوله عز وجل: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾[1]، فاستعيرت لفظة (السلخ) وهو ((إزالة جلد الحيوان بعد ذبحه ليظهر اللحم))[2]، لإزالة ضوء النهار فالعلاقة بينهما، ((ما يُعقل من ترتُّب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله كترتيب ظهور اللحم على الكشط، وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل))[3]، فالانزياح حاصل من شبه إزالة ضوء النهار وانكشاف ظلمة الليل بسلخ الجلد عن الشاة واستعار اسم السلخ للإزالة والإخراج[4].

وبين السيوطي صنفاً آخر من الاستعارة بأنه تحمل طاقة إيحائية أكثر من الصنف السابق، وذلك نقلاً عن قول ابن أبي الأصبع(ت ٦٥٤هـ): ((وهي ألطف الإستعارات)) وهو ((إستعارة معقول المعقول بوجه عقلي))[5]، ويستشهد لذلك بآية كريمة، وهي قوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾[6]، فالانزياح الحاصل في البنية التركيبية لهذه الآية نتيجة استعارة الرقاد للموت، والعلاقة بينهما عدم ظهور الأفعال؛ لأن كلاً من النائم والميت لا يظهر فيه فعل، والقصد الفعل الاختياري المعتد به، فالنائم لا تصدر منه الأفعال[7].

وقد تكون الإستعارة مأخوذةً من صور عقلية، سواء أكانت هذه الصورة العقلية مأخوذة من الأشياء المحسوسة إلى المعاني المعقولة، أو مأخوذة من الأشياء المعقولة إلى المعاني المحسوسة[8].

---

(١) يس/ ٣٧.

(٢) علم البيان (بسيوني): ٢١٧.

(٣) الاتقان: ٢/ ٧٨٢.

(٤) روح المعاني: ٢٣/ ١٠، وصفوة التفاسير:٣: ١٧.

(٥) الاتقان: ٢/ ٧٨٢.

(٦) يس/ ٥٢.

(٧) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٦/ ٣٣٩.

(٨) الاتقان: ٢/ ٧٨٢-٧٨٣.

ويستشهد للنوع الأول بقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾[1]، فالانزياح قد نجم عن استعارة (الصدع) وهو كسر الزجاج، ((للتبليغ الذي لا ينمحي أثره))[2]، وهو معقول، حيث يرى أنه اكثر قوة وتأثيراً من لفظ (بَلّغ) وإن كان بمعناه؛ ((لأن تأثير الصدع ابلغ من تأثير التبليغ، فقد لا يؤثر التبليغ، والصدع يؤثر جزماً))[3]، فخاطب الله عز وجل النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه الآية أن ((يبلغ الأمانة ويوضح أمر الدين وضوحاً تاماً لا يعود معه إلى الخفاء، كما لا يلتئم الزجاج بعد كسر...))[4].

وكذلك يستشهد للنوع الثاني بقوله تبارك اسمه: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ ﴾[5]، فقد استعير لفظ (طغى)، وهو ((التعالي والتكبر))[6]، لزيادة الماء وارتفاعها، لوجود علاقة بينهما في تجاوز الحد[7].

وكذلك صنف السيوطي الاستعارة باعتبار ذكر ((ملائم للمستعار منه)) أو اعتبار ذكر (ملائم للمستعار له) أو عدم اقترانها بما يلائم أحدهما إلى ثلاثة أصناف: مرشحة، ومجردة، مطلقة.

أ. **المرشحة:** والمراد بالترشيح التقوية، وسمّيت مرشحة؛ ((لترشيحها وتقويتها بذكر الملائم))[8]، يقال: ((رشحتُ الصبي إذا ربيته باللبن قليلاً قليلاً حتى يقوي على المص))[9]. والاستعارة المرشحة هي التي قرنت بملائم المستعار منه أي (المشبه به). وصرّح السيوطي[10] بأنها أبلغ انزياحاً لكونها تحمل طاقة إيحائية أكثر من غيرها ((مما

(١) الحجر/ ٩٤.

(٢) علم البيان (بسيوني): ٢١٨.

(٣) الاتقان: ٢/ ٧٨٢-٧٨٣.

(٤) علم البيان (بسيوني): ٢١٨.

(٥) الحاقة/ ١١.

(٦) علم البيان (بسيوني): ٢١٩.

(٧) الاتقان: ٢/ ٧٨٣.

(٨) جواهر البلاغة: ٢٥٩.

(٩) فن الاستعارة: ٤٤.

(١٠) الإتقان: ٢/ ٧٨٤.

يبعد خطور التشبيه على البال فيكون ذلك مقوياً للاستعارة ومؤكداً لما عند المتكلم وقصده من تناسي التشبيه والبناء على المبالغة))[1]، أي لما فيها من المبالغة ويتناسى التشبيه، وادعاء أن المشبه (المستعار له) هو نفس المستعار منه ولاشيء يشبه به، وكأن الاستعارة لم تكن أصلاً[2]، والشاهد الذي أورده لذلك قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾[3]، إذ يرى انه استعير لفظ ((الاشتراء)) في هذه الآية لـ((الاستبدال والاختيار))[4]، ثم عقبه بلفظتي (الربح والتجارة) وهما يلائمان المستعار منه، توشيحاً للاستعارة، وذلك ((مما يقوي الاستعارة ويحقق المبالغة في التصوير والتخييل ودعوة لدخول المستعار له في جنس المستعار منه وكأن الكلام على الحقيقة))[5].

ب. **المجردة**: وهي عكس الاستعارة المرشحة التي تقترن بما يلائم المستعار له أي (المشبه)، واستدل السيوطي بقوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ ﴾[6]، مبيناً أن مفردة (اللباس) قد استعيرت للأحداث والمصائب التي أصابت أصحاب القرية، وقد ذكر في الآية (الإذاقة) بمعنى (الإصابة)، وهي تلائم الأحداث والمصائب وما على وجوههم من صفرة. موضحا أن لفظ الإذاقة أبلغ من قولنا: كساها، لما فيها من المبالغة في الألم باطناً[7]، والنكتة البلاغية الكامنة وراء مجيء التركيب الإستعاري على التجريد هي ((أن المقام اقتضىالتعبير عن أمرين، وهما: شدة الأصابة، وإماطتها بهم، فهؤلاء القوم كانوا آمنين مطمئنين يأتيهم الرزق من كل مكان، فكفروا بأنعم الله، فاستحقوا إماطة العقاب الشديد بهم، ولو قيل: فأذاقها الله طعم الجوع... أو فكساها الله لباس الجوع ليكون ترشيحاً، لأفاد الأول الشدة دون الشمول، ولأفاد الثاني الشمول دون

(١) فن الاستعارة: ٤٤.

(٢) الكشاف: ١/ ٥٣ – ٥٤.

(٣) البقرة/ ١٦.

(٤) الاتقان: ٢/ ٧٨٤.

(٥) علم البيان (بسيوني): ٢٠٩.

(٦) النحل/ ١١٢.

(٧) الاتقان: ٢/ ٧٨٤.

الشدة، فآثر النظم الكريم التعبير بالإذاقة واللباس؛ لإفادة الأمرين معاً، شدة الإصابة، والإحاطة والشمول...))[1].

وقد اومأ السيوطي إلى تصنيف آخر للتركيب الاستعاري، وذلك بحسب ذكر لفظ المشبه أو المشبه به في البنية التركيبية كما يتجلّى ذلك فيما يأتي:

_ **التحقيقية/** وهي تركيب استعاري، يكون فيه اللفظ المستعار لـه منزاحـاً إلى أمر معلوم مع إمكانية الإشارة إليه إشارة حسية، وهي تحقّق معناها حسّاً[2]، أو عقـلاً. فيستشهد للتركيب الاستعاري محققاً عقـلاً بقولـه تعـالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[3]، إذ يرى أن المستعار له، وهو (الدين الحق)، أمر محقق متصور في العقل؛ فإن ((الحجـة ممّـا يدرك بالعقل من غير وساطة حس، إذ المفهوم مـن الألفـاظ هـو الـذي ينـور القلـب، ويكشف عن الحق، لا الألفاظ أنفسها))[4].

- **المكنية/** ذلك التركيب الذي ((يضمر المشبه به في النفس، فلا يصرَح بشيء من أركانه سوى المشبه))[5]، إي ذلك التركيب الذي لا يذكر فيه لفظ المشبه به في البناء الخارجي، بل يحذف ويرمز له بلازم من لوازمه[6]، ويستند هذا اللازم إلى المشبه، وهذا ما أيّده السيوطي بقوله: ((بأن يثبت للمشبه أمر مختصٌ بالمشبه به))[7]، ويسوق لـذلك بقوله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾[8]، موضّحاً أن بنيـة التركيـب تكمن فيها استعارة مكنية، إذ شبه العهد بالحبل، وحذف المشبه به، ورُمِز له بشيء مـن لوازمه، وهو على سبيل الاستعارة المكنية، ويراد بالنقض ((الفسح وفك التركيب، فإن

---

(١) علم البيان (بسيوني): ٢٠٨.

(٢) الاتقان: ٢/ ٧٨٤.

(٣) الفاتحة/ ٦.

(٤) الإيضاح : ١٥٩.

(٥) الاتقان: ٢/ ٧٨٤.

(٦) التبيان في البيان: ١٩١.

(٧) الاتقان: ٢/ ٧٨٤.

(٨) البقرة/ ٢٧.

قلت: من أين ساغ استعمال النفض في إبطال العهد؟ قلت: من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الإستعارة، لما فيه من إثبات الوصلة بين المتعاهدين... وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها، أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه، فيشبهوا بتلك الرمزة على مكانه))[1].

وهذا ما أكدته الدراسات الأدبية إذ إن حذف المشبه به من التشبيه، واستيفاء لازم من لوازمه وإضافة اللازم الى المشبه يسعى إلى تسخير خدمة الغايات الفنية والأدبية وترسم لنا ((الصورة الجسمة))[2]، وتسمى في الصورة الشعرية بـ(الأَنْسَنَة)، وتعني ((تشخيص فيه خصائص الإنسان الجسمانية والإنفعالية، بأشياء من المكونات الطبيعية))[3].

ويقابل الاستعارة المكنية الاستعارة التصريحية، وهي ما صرح في تركيب بلفظ المشبه به دون المشبه[4]، نحو قوله تعالى: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾[5].

أما إذا تناسى التشبيه، وادعي دخول المشبه في جنس المشبه به، ثم قدر في المشبه به المحذوف نفسه، فهذا النمط من الاستعارة سمي بـ(الاستعارة التخييلية)، وهذا ما أشار إليه السيوطي، وقد نصّ بأنها أبلغ من الاستعارة التحقيقية[6]؛ لأن وجه المشابهة في الاستعارة التخييلية لا يتأتى بنفس الوضوح ودرجة البساطة التي يتأتى من خلالهما في الاستعارة التحقيقية، والاستعارة التخييلية لا تعتمد على علاقة المشابهة المباشرة، ولا يشير الإسم المستعار فيها إلى مدلول ثابت معلوم، فهي تحتاج إلى كد

(١) الكشاف: ١/ ٥٨.

(٢) بناء الصورة الفنية: ٣٣٩.

(٣) الصورة المجازية في الشعر العربي المعاصر: ١٨.

(٤) الاتقان: ٢/ ٧٨٤

(٥) البقرة/ ٢١٤ .

(٦) الإتقان: ٢/ ٧٨٧.

الذهن وإعمال الفكر والتعمق في التأويل، في حين الاستعارة التحقيقية عكس ذلك ، فلا تحتاج إلى كدّ الذهن والتعمق في (التأويل) وصولاً إلى الدلالة[1].

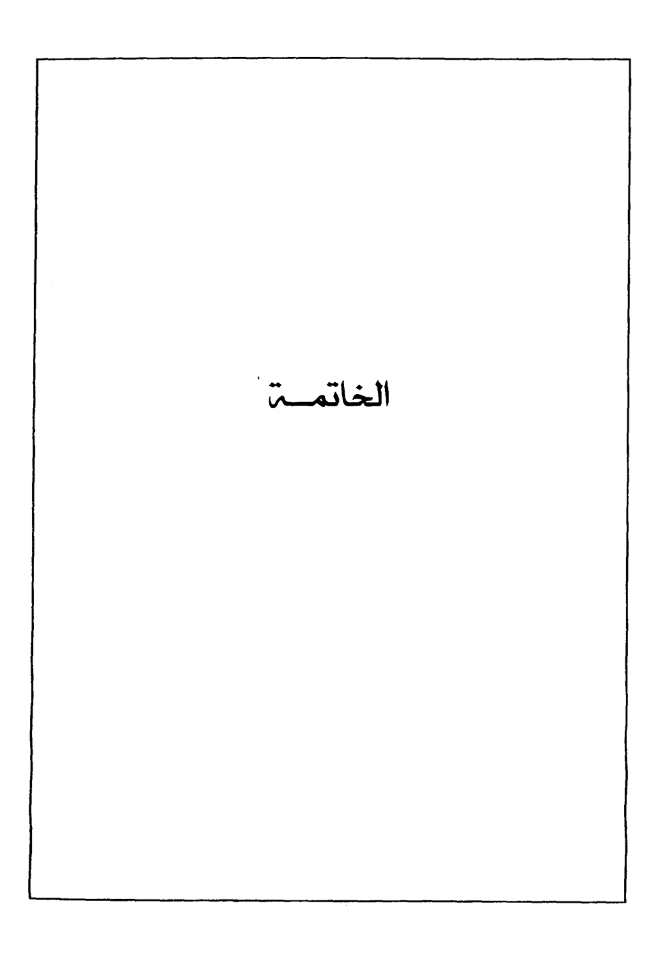
نستشف مما سبق أن السيوطي اعتمد على (مبدأ الطاقة الإيحائية)، التي هي ((أحدث النظريات في علم الدلالات، وقد اعتمدت مبدأ الطاقة الإيحائية في الظاهرة اللغوية))[2]. فضلاً عن ذلك يشير السيوطي إلى أصناف أخرى من الاستعارة، مثل ((أصلية، وتبعية، وفاقية، وعنادية، وتمثيلية))[3]. الذي يتضح لنا أنّ السيوطي لم يخرج عما ذكره العلماء السابقون، ولذا اكتفينا بتعدادها فقط من دون الخوض فيها، ومهما يكن الأمر فالانزياح العلائقي، سواء أكان بعلاقة غير المشابهة أم بعلاقة المشابهة ((يهتز فيه نمط الدلالة، وتتجدد علاقاتها، فهو المخترع المبتكر أو المختص، ويكون مجال التفاصيل والتمايز... وينتقل الكلام من الدائرة النفعية إلى الدائرة الجمالية))[4].

(١) النص والسلطة والحقيقة: ١٨٣-١٨٤.

(٢) المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي: ١٦٦.

(٣) الإتقان: ٢/ ٢٨٣، ٢٨٥-٢٨٦.

(٤) البلاغة والأسلوبية: ١٣.



الخاتمـــة

الخاتمة

تمخضت رحلة البحث في توجهات السيوطي في هذا المستوى اللغوي عن الاستنتاجات الآتية:

- نجد أن افكاره ومصطلحاته اللغوية تكاد تقترب من فكرة الدارسين المحدثين على خلاف العلماء القدماء، من ذلك تناوله لمصطلح المرجعية (Reference)، وذلك حينما تناول المورفيمات الشخصية وأبرز أهميتها في تحقيق التماسك والترابط بين أجزاء مكونات التركيب العربي. ومن ذلك أيضاً جعله التنوين بمختلف أنواعه دليلاً على التنكير فقط. وهذا ما يراه المحدثون أيضاً ومنهم إبراهيم مصطفى في مصنفه (إحياء النحو) الذي يصرّح بأن معنى التنوين غير خفي فهو إمارة التنكير، وهي وظيفة عامة لكل أنواع التنوين سواء اكان المنون مبنياً أم معرباً.
- حاول السيوطي أن يكون معتدلاً في توجهاته اللغوية من دون تخطئة للقدماء أو توجيه نقد لمواقفهم اللغوية، مع ذلك إشارته إلى فصيلة الصفة في الإطار التركيبي وإبراز بعدها الدلالي، حيث صرح أنها وضعت لتدل على معنى حاصل في متوبعها. فهو في معالجته لم يفصل بين مصطلحي (النعت والصفة) من حيث المعنى لأنهما مترادفان، بخلاف بعض القدماء الذين كانوا يرون أن النعت له دلالة متباينة عن دلالة الصفة، من حيث ثبوت الصفة وتغيرها.
- أضفى السيوطي دلالات لغوية متعددة على الأسلوب التركيبي الواحد، كما هو الحال في تفسيره لقوله تعالى ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ (الملك/ ٢٠)، فـ (إن) هي نافية و(إلا) أفادت حصر الخبر وتوكيد الكلام، ثم صرح باجتماع دلالة الشرطية والنفي في بنية تركيبية واحدة، فالدلالات التي ذكرها تجتمع بين (دلالة النفي، الحصر، الاستثناء، التوكيد، الشرطية)، وهذا دليل على وسع تفكيره اللغوي وعدم حصر ذهنه اللغوي بالبنية السطحية للتركيب اللغوي، بل جاوزها إلى البنية العميقة للتركيب.

- ولج السيوطي في أسلوب الانزياح الموضعي بتعداده للمراتب المحفوظة التي تحفها الانزياحات الموضعية. فكان يرى أن أساس الانزياح الموضعي – التقديم – هو الاهتمام والعناية في سياق الكلام المثبت، أما في السياق المنفي فإنه يجب تقديم ما يشك فيه ، فإذا كان الشك موجهاً إلى الفاعل قدّم، وأما إذا كان الشك موجهاً إلى المفعول قدّم هو، والعلة هي إزالة الشك الحاصل في التركيب.

- لم يكن كلام السيوطي مختصراً أو قاصر الدلالة، وهذا ما نجده عند حديثه عن الانزياح التوسعي، حيث راعى المبدأ البلاغي الذي مفاده (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)، فحينما تحدث عن الانزياح التوسعي، نوسّع في الكلام عنه وقسمه على قسمين:

أ- التوسع بتعداد التراكيب وتنويعها، ومثل بنعم الله عز وجل على المخلوقات، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة/ ١٦٤).

ب- الانزياح بالإضافة، كما في المورفيمات المؤكدة (إنَّ، أنَّ، لام التوكيد)، ومورفيمات التحقيق (قد)، و(ألا) الاستفتاحية، والمورفيمات الزمنية، نحو: (السين وسوف)، ومورفيمات الزيادة (الباء، الكاف، من) وغيرها من المورفيمات.

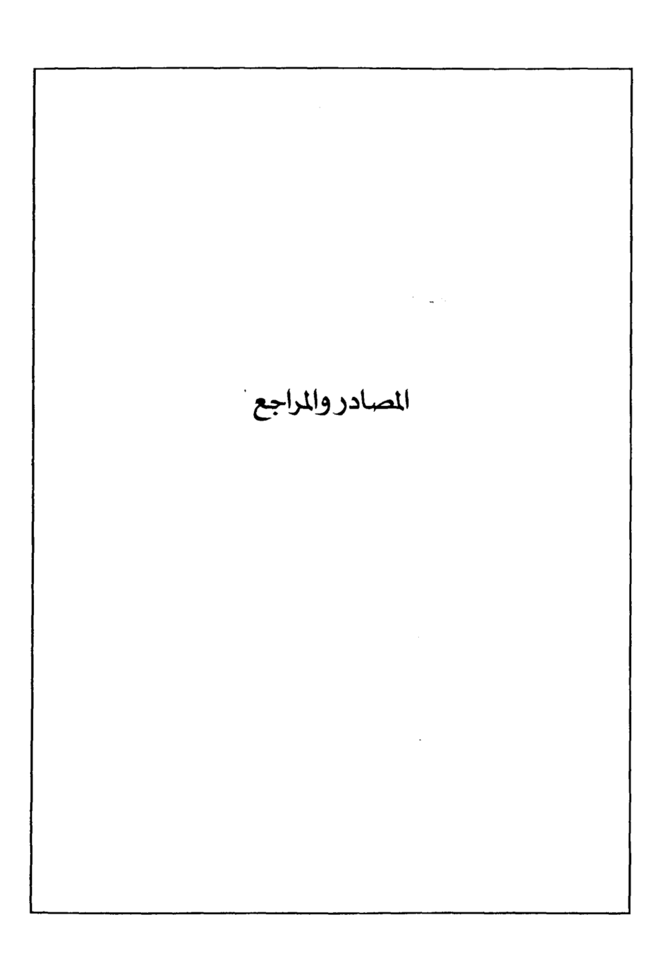
- راعى السيوطي في معظم تحليلاته الدلالية للتراكيب القرآنية أبعاد الاتجاه التداولي الحديث وأسسه الذي يقوم أساساً على المثلث التداولي (المتكلم، السامع، الموقف الخارجي)، ولا سيما عندما يحلل الانزياح الوظيفي (المجاز العقلي) والانزياح العلائقي (الإستعارة). فالمجاز العقلي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ (الأنفال/ ٢)، حيث أسند زيادة الإيمان إلى الآيات، وهي في الحقيقة مسبب لها، فالآية تجمع بين المتكلم (الخالق) والسامع (المخلوق) والموقف الاجتماعي أو سياق الحال زيادة الإيمان. وفي الانزياح العلائقي المتجسد في المجاز،

كما في تحليله لقولة تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا﴾ (يس/ ٥٢) توضح حديث المتكلم الميت بعد إحيائه واستفساره من الآخرين، وربط الحديث بموقف التعجب لهؤلاء، حيث استعير الرقاد للموت، والعلاقة بينهما عدم ظهور الافعال للميت والنائم على السواء، مما يدل على إدراك السيوطي لأهمية ظاهرة الانزياح وأثرها في إثراء الرصيد الدلالي واختزال الهيكل التركيبي للكلام العربي، مستعيناً بنصوص قرآنية محللاً إياها من خلال توصيف البناء الخارجي والداخلي بغية معرفة الكيفية المناسبة في عملية الاتصال اللغوي واختيار أنسيب المكونات الأسلوبية والأنظمة التركيبية.

- السيوطي لم يفت في المسائل اللغوية اعتباطاً، بل اعتمد على آراء سابقية من العلماء القدماء، مصرحاً بأسمائهم، وكان يعرضها عندما تعترضه مسألة لغوية تحتاج تفسيراً وتبياناً، ثم يؤكد أصح الآراء وأرجحها ويناصرها عارضاً خلال كل ذلك لشواهد من النصوص القرآنية المعتمدة من قبل السلف من العلماء.
- وأخيراً يمكن أن يعد استقراء السيوطي للإجراءات التركيبية وتفكيكه لشفراتها وطبيعة شبكتها العلائقية عملاً مناضراً لفعل القراءة التأملية والتأويلية المعهودة في الميدان البنيوي والسيميولوجي، وما هذه القراءة إلا (آلية تفكيك الشفرة اللغوية والمتمثلة في تداخل شبكة العلامات والإشارات اللغوية ضمن سياق محدد تعتبر الجملة وحدته الأولى).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. سوزان الكردي



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأبعاد المعنوية في الوظائف النحوية: أسامة كامل جرادات، د. ط، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م.
- إتجاهات البحث اللساني: ميلكا إفيتش، ترجمة: د. سعد عبد العزيز مصلوح، د. وفاء كامل فريد، د. ط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٦٦.
- الإتقان في علوم القرآن: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البُغا، ط٥ ، دار ابن كثير، ٢٠٠٢م.
- أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث: توفيق الزيدي، د. ط، دار العربية للكتاب، ١٩٨٤م.
- إحياء النحو: إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م.
- إرتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: د. مصطفى أحمد النمّاس، الجزء الأول، ط١، مطبعة النسر الذهبي، ١٩٨٤م.
- أساسيات علم الكلام، دراسة في فيزيولوجيا الكلام وسمعياته وإدراكه: د. جلوريا ج. بوردن ود. كاثرين س. هارس، ترجمة: د. محي الدين حميدي، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٩٨م.
- أساليب بلاغية-الفصاحة-البلاغة- المعاني: د. أحمد مطلوب، ط١، وكالة المطبوعات، ١٩٨٠م.
- أساليب التوكيد في القرآن الكريم: عبد الرحمن المطردي، ط١، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.
- أساليب النفي في العربية، دراسة وصفية تأريخية: د. مصطفى النحاس، د.ط، مؤسسة علي جراح الصباح للنشر والتوزيع، ١٩٧٩م.

- استقبال النص عند العرب: د. محمد رضا مبارك، ط١، دار القابوس للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٦م.
- أسرار البلاغة: للشيخ الإمام عبد القادر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: هـ. ريتر، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٩م.
- أسرار العربية: للشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: بركات يوسف حبّود، ط١، دار الأرقام بن الأرقام للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩م.
- أسرار النحو: شمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا، تحقيق: د. أحمد حسن حامد، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.
- أسس علم اللغة: ماريوباي، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، د. ط، منشورات جامعة طرابلس، ١٩٧٣م.
-الاسس النفسية لأساليب البلاغة العربية:د.مجيد عبدالحميد ناجي،ط١،المؤسسة الجامعية للنشروالتوزيع،بيروت ،١٩٨٤م.
- أسلوبا النفي والاستفهام في العربية في منهج وصفي في التحليل اللغوي: د. خليل أحمد عمايرة، د.ط، جامعة اليرموك، د.ت.
- الأسلوب والأسلوبية: غراهام هوف، ترجمة: كاظم سعد الدين، د. ط، دار آفاق العربية، بغداد، ١٩٨٥م.
- الأسلوبية والأسلوب: د. عبد السلام المسدي، ط٣، الدار العربية للكتاب، د. ت.
- الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: د. عبد القادر عبد الجيد، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢م.
- الأشباه والنظائر في النحو: لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤف سعد، د. ط، مكتبة الكليات، ١٩٧٥م.

- اشكاليات القراءة وآليات التأويل: نصر حامد أبو زيد، ط٤، الناشر: المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ط٥، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.
ـأصول البيان العربي ،رؤية بلاغية معاصرة:د.محمد حسين علي الصغير،د.ط، دارالشؤون الثقافية العامة ،١٩٨٦.
- أصول تراثية في اللسانيات الحديثة: د. كريم زكي حسام الدين، ط٣، الرشاد للطباعة، ٢٠٠١م.
- أصول التفكير النحوي: علي أبو المكارم، د. ط، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م.
- الأصول في النحو: لأبي بكر بن السراج النحوي البغدادي (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، د. ط، مطبعة النعمان، العراق، ١٩٧٣م.
- أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث، د. محمد عيد، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٢م.
- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: د. نايف خرما، د. ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م.
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، ط١، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ٢٠٠١م.
- إعراب القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: د. محمد أحمد قاسم، ط١، دار ومكتبة الهلال ودار البحار، بيروت، ٢٠٠٤م.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه: أ. محيي الدين الدرويش، ط٩، دار اليمامة، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ٢٠٠٣م.

- أفكار وآراء حول اللسانيات والأدب: رومان ياكبسون، ترجمة: فالح صدام الامارة، د. عبد الجبار محمد علي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م.
- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: د. فاضل مصطفى الساقي، د. ط، المطبعة العالمية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.
- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية): د. ميشال زكريا، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢م.
- الألسنية (علم اللغة الحديث)، المبادئ والاعلام: د. ميشال زكريا، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م.
- الألسنية وعلم اللغة الحديث، قراءات تمهيدية: د. ميشال زكريا، ط٢، بيروت، ١٩٨٥م.
- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد): الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: للإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري المصري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٦م.
- الإيضاح في علوم البلاغة: لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تقديم: د. علي أبو ملحم، الطبعة الأخيرة، دار مكتبة الهلال، ٢٠٠٠م.
- البحث الدلالي في كتاب سيبويه: د. دلَخوَش جار الله حسين دزةيي، مطبعة روَن، السليمانية، ٢٠٠٤م.
- بحوث لغوية: د. أحمد مطلوب، ط١، دار الفكر، عمان، ١٩٨٧م.
- بدائع الفوائد: لابن قيّم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق: سيد عمران ود. عامر صلاح، د. ط، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

- بديع القرآن: لابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق: د. حفني محمد شرف، ط٢، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
- البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب، ١٩٥٧م.
- البرهان الكاشف في إعجاز القرآن: كمال الدين عبد الواحد الزملكاني (ت٦٥١هـ)، تحقيق: د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب، د. ط، بغداد، ١٩٧٤م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل، د. ط، دار المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، ١٩٩٢م.
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني: د. بكري شيخ أمين، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- البلاغة العربية قراءة أخرى: د. محمد عبد المطلب، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٧م.
- بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية: د. عفّت الشرقاوي، د. ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.
- البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني: د. فضل حسن عباس، ط١٠، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
- البلاغة والأسلوبية: د. محمد عبد المطلب، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
- بناء الجملة العربية: د. محمد حماسة عبد اللطيف، د.ط، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.

- بناء الصورة الفنية في البيان العربي، موازنة وتطبيق: د. كامل حسن البصير، د. ط، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧م.
- البنى النحوية: نوم جومسكي، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، ط١، مطابع دار الشؤون الثقافية العلمية، بغداد، ١٩٨٧م.
- البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث: د. مصطفى السعدني، د. ط، الناشر: منشأة المعارف بالأسكندرية، ١٩٩٢م.
- بنية اللغة الشعرية: جان كوهن، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، ط١، دار توبقال، المغرب، ١٩٨٦م.
- البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني: د. تمام حسان، د. ط، طبعة خاصة تصدرها عالم الكتب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م.
- البيان والتبيين: الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٥م.
- تأويل مشكل القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٢، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٣م.
- التأويل النحوي في القرآن الكريم: د. عبد الفتاح أحمد الحموز، ط١، مكتبة الرَّشَد، الرياض، ١٩٨٤م.
- التبيان في البيان: شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣هـ)، تحقيق: د. توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله، ط١، ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٨٦م.
- تحاليل أسلوبية: محمد الهادي الطرابلسي، د. ط، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٢م.
- تحليل النص الشعري: محمد فتوح، ط١، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٩٠م.

- التراكيب اللغوية: د. هادي نهر، د.ط، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م.
- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر: د. عبد الفتاح لاشين، د.ط، دار المريخ، دار الجيل للطباعة، ١٩٨٠م.
- التركيب اللغوي للأدب (بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا): د. لطفي عبد البديع، د.ط، دار المريخ للنشر، رياض، ١٩٨٩م.
- التركيب والدلالة والسياق، دراسة تطبيقية: د. محمد أحمد خضير، د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- التسهيل في شرح ابن عقيل، دروس وتطبيقات: د. هادي نهر، ط١، دار الأمل للنشر والتوزيع، الشركة الدولية للطباعة، أربد، ٢٠٠٣م.
- التصوير البياني: د. حفني محمد شرف، ط٢، الناشر: مكتبة الشباب، ١٩٧٣م.
- التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، د. محمد أبو موسى، ط٢، دار التضامن للطباعة، القاهرة، ١٩٨٠م.
- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، د.ط، دار الشروق، د. ت.
- التطريز اللغوي: د. محمد خليفة الدناع، ط١، منشورات جامعة قار يونس، ١٩٩٧م.
- التطور النحوي للغة العربية :برجشترآسر،تخريج وتعليق :د.رمضان عبدالتواب ،د.ط، الناشر:مكتبة الخانجي بالقاهرة ودارالرفاعي بالرياض ،مطبعة المجد،١٩٨٢م.
- التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، د.ط، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٩م.
- التعبير القرآني والدلالة النفسية: د. عبد الله محمد الجيوسي، ط٢، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ٢٠٠٧م.

- التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل: د. محمود أحمد نحلة، د.ط، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٩م.
- التعريف والتنكير في النحو العربي، دراسة في الدلالة والوظائف النحوية والتأثير في الأسماء إعراباً وبناءً: د. أحمد عفيفي، د.ط، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د. ت.
- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٧٥٤هـ)، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٨م.
- التفسير البياني للقرآن الكريم: د. عائشة عبد الرحمن، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م.
- تفسير التبيان: الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الأمين، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، منشورات المؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ١٩٦٤-١٩٦٩م.
- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٩١٤م)، وقف على طبعه وتصميمه والتعليق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- تفسير المنار: السيد محمد رشيد رضا، ط٢، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- التفكير الصوتي عند الخليل: د. حلمي خليل، ط١، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، د. ت.
- التفكير اللغوي بين القديم والجديد: د. كمال بشر، د.ط، دار الثقافة العربية، د. ت.
- التقديم والتأخير في القرآن الكريم: حميد أحمد عيسى العامري، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٦م.
- تهذيب النحو: د. عبد الحميد السيد، ط١، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٢م.
- التوابع من خلال القرآن الكريم، الأنماط والدلالات: د. هادي نهر، ط١، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٢م.

- جدل اللفظ والمعنى، دراسة في دلالة الكلمة العربية: د. مهدي أسعد عوار، ط١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣م.
- جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم: د. محمد عبد المطلب، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ١٩٩٥م.
- الجملة العربية دراسة لغوية نحوية: د. محمد إبراهيم عبادة،د.ط، ١٩٨٤م.
- الجنى الداني في حروف المعاني: حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: طه محسن، طبع في جامعة بغداد، ١٩٧٦م.
- جوانب من نظرية النحو: نوم جومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر، طبع بمطابع جامع الموصل، ١٩٨٥م.
- جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشمي(ت١٣٦٢هـ)، قرأه وقدم له: د. يحيى مراد، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- حاشية الصبان، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: تحقيق: محمود بن الجميل، ط١، مكتبة الصفاء، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- الحجة في القراءات السبع: للإمام ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، ط١، دار الشروق، بيروت، د. ت.
- الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.
- خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: د. محمد أبو موسى، ط٢، دار التضامن للطباعة، ١٩٨٠م.
- دراسات في الأدوات النحوية: د. مصطفى النحاس، ط١، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٧٩م.
- دراسات في علم الأصوات العربية: داود عبدة، د. ط، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، د. ت.

- دراسات في علم اللغة: د. كمال محمد بشر، د. ط، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.
- دراسات في علم اللغة النفسي: داود عبدة، ط١، مطبوعات جامعة كويت، ١٩٨٤م.
- دراسات في اللسانيات العربية: د. عبد الحميد مصطفى السيد، ط١، دار الحامد، عمان، ٢٠٠٤م.
- دراسات في المعاني والبديع: د. عبد الفتاح عثمان، د. ط، مكتبة الشباب، ١٩٨٢م.
- دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٥م.
- دروس في المذاهب النحوية: عبدة الراجحي، د. ط، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ١٩٨٨م.
- دلائل الإعجاز: للشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت ٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، د. ط، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٤م.
- دلالات التراكيب، دراسة بلاغية: د. محمد أبو موسى، ط١، دار المعلم للطباعة، ١٩٧٩م.
- دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٣م.
- الدلالة الزمنية في الجملة العربية: د. علي جابر المنصوري، ط١، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٤م.
- دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية: أشواق محمد النجار، ط١، دار دجلة، عمان، ٢٠٠٥م.
- الدلالة والحركة، دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة: د. محمد محمد داود، ط١، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- دور الرُّتبة المنزلة والموقع في الظاهرة النحوية: عزّام محمد ذيب، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م.

- دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة: د. كمال محمد بشر، ط١٠، مكتبة الشباب، ١٩٨٦م.
- ديوان امرىء القيس- من إعداد قسم الدراسات في نوبليس، بإشراف الأستاذ غسّان شديد، ط١، بيروت، ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.
- ديوان زُهير بن أبي سُلمى: صمد طماس، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م.
- رسائل العرفان في الصرف والنحو والوضع والبيان: الشيخ عبد الكريم محمد المدرس، ط١،الدار العربية للطباعة ،بغداد،١٩٧٨م.
_الرشيد في النحو العربي: محمد عواد الحموز، ط١، دار الصفاء للنشر، عمان، ٢٠٠٢م.
- روح المعاني في تفسير القرآن: العلاّمة شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، عني بنشره والتعليق عليه: السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
- سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ)، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، د. ط، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٦٩م.
- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي: د. جمعة سيد يوسف، د. ط، مطابع السياسة، الكويت، ١٩٩٠م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (ت ٧٦٩هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١٤، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٨٦.
- شرح التصريح على التوضيح: الشيخ الإمام العالم العلاّمة خالد بن عبد الله الأزهري (ت٩٠٥هـ)، د. ط، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت

- شرح جمل الزجاجي: للإمام محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري المصري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: د. علي محسن عيسى مال الله، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.
- شرح شافية ابن الحاجب: الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي النحوي (ت٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحيي الدين عبد الحميد، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى: لجمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، بركات يوسف هبّود، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م.
- شرح كافية ابن الحاجب: للشيخ عبد العزيز بن جمعة الموصلي، تحقيق: د. علي الشوملي، ط١، دار الأمل، ٢٠٠٠م.
- شرح المفصل: للشيخ العالم العلامة جامع الفوائد موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ)، د. ط، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، د. ت.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: د. مصطفى الشويمي، د. ط، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤م.
- صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه البخاري الجمعي أمير المؤمنين في الحديث (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، ط٣، شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام، بيروت، ١٩٩٧م.
- صحيح مسلم بشرح النووي: للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، راجع طبعه وعلق عليه: أ. محمد محمد تامر، ط١، دار الفجر، القاهرة، ١٩٩٩م.

- الصرف الوافي، دراسة وصفية تطبيقية في الصرف وبعض المسائل الصوتية، د. هادي نهر، د. ط، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٩م.
- الصرف وعلم الأصوات: د. ديزيزة سقال، ط١، دار الصداقة العربية، بيروت، ١٩٩٦م.
- الصرف والنظام اللغوي: حسن قراقيش، ط١، كلية الأندلس، عمان، ١٩٩٠م.
- صفوة التفاسير: العلاّمة محمد علي الصّابوني، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الصورة الفنية في المثل القرآني، دراسة نقدية وبلاغية: د. محمد حسين علي الصغير،د.ط، دارالرشيد، بغداد،١٩٨١م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني العلوي، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
- ظاهرة التنوين في اللغة العربية: د. عوص المرسي جهاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٢م.
-الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم: نذير حمدان، ط١، دار المنارة للتوزيع والنشر، جدة- السعودية، ١٩٩١م.
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: د. طاهر سليمان حمودة، د. ط، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.
- ظاهرة العدول عن المطابقة في العربية: د. حسين عباس الرفايعة، ط١، دار جرير، ٢٠٠٦م.
- العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد: هنري فليش، د. عبد الصبور شاهين، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: الشيخ بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، مكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م.

- عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو: أديث كيرزويل، ترجمة: جابر عصفور، د. ط، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث: د. محمد حماسة عبد اللطيف، ط١، مكتبة أم القرى للطباعة، الكويت، ١٩٨٤م.
- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: د. صلاح فضل، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٥م.
- علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان: د. بسيوني عبد الفتاح فيود، ط٢، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، ١٩٩٨م.
- علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، ط١، مكتبة دار العروبة للنشر، الكويت، ١٩٨٢م.
- علم الدلالة: أف. آر. بالمر، ترجمة: مجيد الماشطة، د. ط، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٥م.
- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، دراسة: منقور عبد الجليل، د. ط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
- علم الدلالة دراسة وتطبيقاً: د. نور الهدى لوشن، ط١، جامعة قاريونس بنغازي، ١٩٩٥م.
- علم اللغة: د. حاتم صالح الضامن، د. ط، طبع بمطابع التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩م.
- علم اللغة الاجتماعي: د. هدسون، ترجمة: د. محمود عبد الغني عباد، مراجعة: د. عبد الأمير الأعسم، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
- علم اللغة العام- الأصوات: كمال محمد بشر، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م.
- علم اللغة المعاصر، مقدمات وتطبيقات: أ. د. يحيى عبابنة ود. امنة الزعبي، د. ط، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ٢٠٠٥م.

- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي:د. محمود السعران، ط٢، دار الفكر العربي، ١٩٩٢م.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية: د. صبحي إبراهيم الفقي،ط١، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- علم المعاني: د. درويش الجندي، ط٢، طبع ونشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ١٩٦٢م.
- علم المعاني: د. عبد العزيز عتيق، د. ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤م.
- علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: د. بسيوني عبد الفتاح فيّود، ط٢، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
- علم النص: جوليا كريسطيفا، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩١م.
- علم النفس اللغوي: د. نوال محمد عطية، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.
- علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع: أحمد مصطفى المراغي، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٢م.
- العنوان في القراءات السبع: لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري (ت٤٥٥هـ)، تحقيق: د. زهير زاهد و د. خليل العطية، ط١، عالم الكتب، ١٩٨٥م.
- الفعل زمانه وأبنيته: د. إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠.
- الفعل والزمن: د.عصام نورالدين ،ط١، المؤسسة الجامعية للنشروالتوزيع،١٩٨٤.

- فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور الثعالبي (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي،ط٢، شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٤م.
- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: د. رجاء عيد، د. ط، منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حزي وشركاه، ١٩٧٩م.
- فن الإستعارة، دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي: أحمد عبد السيد الصاوي، د. ط، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٩م.
- في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية: د. غالب فاضل المطلبي، د. ط، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤م.
- في بناء النص ودلالته، عظم النص التخاطب- الأحالي: مريم فرنسيس، د. ط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠١م.
- في البنية الإيقاعية للشعر العربي: د. كمال أبو ديب، ط٣، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
- في سيمياء الشعر القديم، دراسة نظرية وتطبيقية: محمد مفتاح، د. ط، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٢م.
- في علم اللغة التقابلي، دراسة تطبيقية: أحمد سليمان ياقوت، د. ط، دار بور سعيد للطباعة، القاهرة، ١٩٨٥م.
- في الفكر اللغوي: د. محمد فتيح، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٩م.
- في اللغة ودراستها، منهج ابن خلدون في فهم اللغة، العوامل الطارئة على اللغة، تيسير النحو ودراسة البلاغة: د. محمد عيد، د. ط، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤.
- في النحو العربي قواعد وتطبيق: د. مهدي المخزومي، د. ط، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٦٦م.

- في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي: د. مهدي المخزومي، د. ط، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٦٤م.
- في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق: خليل أحمد عمايرة، ط١، عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الرياض، ١٩٨٤م.
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: د. محمد عبد المطلب، ط١، شركة أبو الهلال للنشر والطبع، القاهرة، ١٩٩٥م.
- قضايا الشعرية: رومان ياكبسون، ترجمة: محمد الولي ومبارك الحنون، ط١، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م.
- الكامل: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت.
- كتاب سيبويه: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.
- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧١م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، ويليه الكافي الشافي في تخرج أحاديث الكشاف: للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، د. ط، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، د. ط، دار البيروت للطباعة، بيروت، ١٩٦٨م.
- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي، د. ط، المركز الثقافي العربي،بيروت، ١٩٨٨م.

- اللسانيات والدلالة، الكلمة: د. منذر عياشي، ط١، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٦م.
- اللغة: ج فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، د. ط، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة، ١٩٥٠م.
- اللغة بين المعيارية والوصفية: د. تمام حسان، مطبعة النجاح الجديدة، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، ١٩٨٠م.
- اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، ط٤، عالم الكتب، ٢٠٠٤م.
- اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي: شكري محمد عياد، ط١، أنترناشونال برس، ١٩٨٨م.
- اللغة وعلم النفس، دراسة للجوانب النفسية للغة: د. موفق الحمداني، د. ط، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٢م.
- اللغة والفكر: د. نوري جعفر، د. ط، نشر وتوزيع مكتبة التوحيد، الرباط، ١٩٧١م.
- اللغة والمعنى والسياق: جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، ط١، ١٩٨٧م.
- اللمع في العربية:لإبي الفتح ابن جني(ت٣٩٢هـ)،تحقيق:حامد المؤمن ،ط١،مطبعة العاني ،بغداد ،١٩٨٢ م.
- ما وراء اللغة، بحث في الخلفيات المعرفية: د. عبد السلام المسدي، د. ط، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، د. ت.
- مباحث في إعجاز القرآن الكريم: أحمد جمال العمري، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٢م.
- مباحث لغوية: د. إبراهيم السامرائي، د. ط، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، بغداد، ١٩٧١م.

- مبادىء في علم الأدلة:رولان بارت ،ترجمة:محمد البكري ،ط٢، مطابع دار السؤون الثقافية العامة ،بغداد ،١٩٨٦م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة، د. ط، مكتبة النهضة، مصر، د. ت.
- المجاز في البلاغة العربية: د. مهدي صالح السامرائي، ط١، دار الدعوة، ١٩٧٤م.
- مجاز القرآن: أبو عبيدة بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، ط١، الناشر محمد سامي أمين الخانجي الكتبي، مصر، ١٩٥٤م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: لأبي علي الفضل بن الحسين الطبرسي، تحقيق: لجنة العلماء والمحققين، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٥م.
- محاضرات في تأريخ النقد عند العرب: د. ابتسام مرهون الصفار، د. ناصر حلاوي، د. ط، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٠م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذِ القراءات والإيضاح عنها: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف و د. عبد الحليم النجار، ط٢، دار سزكين للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.
- المختار من المقابسات: أبو الحيان التوحيدي، تحقيق: حسن السندوبي، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م.
- مدخل إلى دراسة الصرف العربي على ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة: د. مصطفى النحاس، ط١، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨١م.
- المدخل إلى علم اللغة: كارل- ديتربونتنج، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، د. ط، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٩٨١م.
- مدخل إلى علم اللغة: لوريتوتود، ترجمة: مصطفى التوني، د. ط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

- مدخل إلى علم اللغة: د. محمد حسن عبد العزيز، د. ط، دار النمر للطباعة، القاهرة، ١٩٨٣م.
- مدخل إلى علم اللغة: محمود فهمي حجازي، ط٢، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٧م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: د. رمضان عبد التواب، ط١، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢م.
- مدخل إلى علم النص، مشكلات في بناء النص: زتسيسلاف واورزيناك، ترجمة: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
- مسائل النحو والصرف في تفسير البحر المحيط، مدخل لدراسة نحو النص جمعاً ودراسةً: د. عبد الحميد مصطفى السيد، ط١، دار الإسراء، عمان، ٢٠٠٣م.
- المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي: د. خليل أحمد عمايرة، ط١، دار وائل، عمان، ٢٠٠٤م.
- مستويات اللغة العربية: أ. نايف سليمان، وأ. حسن قراقيش، و أ. محمد الحموز، ط١، دار صفاء للنشر، عمان، ٢٠٠٠م.
- المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري: عوض حمد القوزي، ط١، الناشر: عمادة شؤون المكتبات، الرياض، ١٩٨١م.
- معاني الحروف ومخارجها وأصواتها في اللغة العربية: يوسف عطا الطريفي، ط١، دار الإسراء، عمان، ٢٠٠٢م.
- معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، ط١، د. ت.
- معاني القرآن: سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي الأخفش (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: د. عبد الأمير محمد أمين الورد، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.
- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، ط٢، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٣م.

- معايير تحليل الأسلوب: ميكائيل ريفاتير، ترجمة: د. حميد الحمداني، ط١، دار النجاح الجديدة، منشورات دراسات سيميائية أدبية لسانية، دار البيضاء، ١٩٩٣م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، د. ط، دار الفكر العربي، ١٩٦٦-١٩٧٣م.
- معجم القراءات القرآنية، مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء: د. عبد العال سالم مكرم و د. أحمد مختار عمر، ط٢، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٨م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب، د. ط، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦م.
- المعجم الوصفي لمباحث علم الدلالة العام: د. عبد القادر عبد الجليل، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٦، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.
- مفاتيح الألسنية: جورج مونان، ترجمة: الطيب البكوشي، د. ط، منشورات الجديد، تونس، ١٩٨١م.
- المفصل في علم العربية: لأبي القاسم محمود عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: سعيد محمود عقيل، ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٣م.
- مقالات في التربية واللغة والبلاغة والنقد: عبدة عبد العزيز قلقلية، د. ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٤م.
- المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، د. ط، عالم الكتب، بيروت، د. ت.
- المقرب: علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق:د. أحمد عبد الستار الجواري و عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧١م.
- من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.

- مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، د. ط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٧٩م.
- مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين: د. عطا محمد موسى، ط١، دار الإسراء، عمان، ٢٠٠٢م.
- من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م.
-المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي: د. عبد الصبور شاهين، د. ط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠م.
- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه: د. نوزاد حسن أحمد، ط١، منشورات جامعة قار يونس-دارالكتب الوطنية ،بنغازي، ١٩٩٦م.
- الموطأ: للإمام مالك بن أنيس رضي الله عنه (ت ١٧٩هـ)، تحقيق: د. محمد الأسكندراني وأحمد إبراهيم زهرة، د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.
- النحو العربي نقد وبناء: د. إبراهيم السامرائي، د. ط، بيروت، ١٩٦٨م.
- النحو العربي والدرس الحديث، البحث في المنهج: د. عبدة الراجحي، د. ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.
- نحو المعاني: أحمد عبد الستار الجواري، د. ط، مطبعة المجمع العلمي العربي، بغداد، ١٩٨٧م.
- النحو الوافي،مع ربطه بالاساليب الرفيعة والحياة اللغوية المستجدة: عباس حسن، ط٥، دار المعارف بمصر، القاهر١٩٧٥م.
- النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي: د. محمد حماسة عبد اللطيف، ط١، ١٩٨٣م.
- النحو الوصفي من خلال القرآن: د. محمد صلاح الدين مصطفى، د. ط، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٨٦م.

- النص القرآني من الجملة إلى العالم: وليد منير، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة، ١٩٩٧م.
- النص والسلطة والحقيقة، إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة: نصر حامد أبو زيد، ط ٤ ،دار البيضاء، ، بيروت، ٢٠٠٠م.
- النظام الصوتي والصرفي في اللغة العربية: د. محمد حسن باقلا، د. ط، مكتبة لبنان لونغمان، د. ت.
- نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، نظرياً وتطبيقياً: سامي محمد هشام حريز، ط١، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٥م.
- النظريات اللسانية والبلاغة عند العرب: د. محمد الصغير بناني، ط١، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.
- نظرية الأدب :اوستن وارين ورينه ويليك ،ترجمة:محيي الدين صبحي ،ط٣،المجلس الأعلى عالمية للفنون والأدب والعلوم الاجتماعية ،١٩٦٢م.
- نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي: غراتشيا غابوتشان، ترجمة: د. جعفر دك الباب، د. ط، مطابع مؤسسة الوحدة، سوريا، ١٩٨٠م.
- نظرية البنائية في النقد الأدبي: د. صلاح فضل، د. ط، دار الشؤون العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
- نظرية اللغة في النقد العربي، دراسة في خصائص اللغة الأدبية من منظور النقاد العرب: عبد الحكيم راضي، ط١، المجلس الأعلى للثقافة للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: د. نهاد الموسى، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
- النقائض، نقائض جرير والفرزدق: ابو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، تحقيق: بيفان، د. ط، مطبعة بريل- ليدن، ١٩٠٥م.

- النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك: د. إبراهيم محمود خليل، ط١، دار المسيرة للنشر والطباعة، عمان، ٢٠٠٣م.
- نقد الشعر: قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، د. ط، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، ١٩٩٣م.
- النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة: د. محمد مندور، د. ط، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م.
- النكت في إعجاز القرآن: الرماني (ت ٣٨٦هـ)، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله و د. زغلول سلام، ط٢، مطابع دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٨م.
- الواضح في علم العربية: الزبيدي (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق: د. أمين علي السيد، د. ط، مطابع سجل العرب، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م.
- الوجيز في فقه اللغة: محمد الأنطاكي، ط٢، منشورات دار الشرق، ١٩٦٩م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٦٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ، د. ط، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، د. ت.
- وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وظلال المعنى: محمد محمد يونس علي، د. ط، منشورات جامعة الفاتح، مطابع دينار، ٢٠٠٣م.
- هسهسة اللغة: رولان بارت، ترجمة: منذر عياشي، ط١، الناشر: مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٩م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية: للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، د. ط، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، د. ت.

الرسائل الجامعية

- ابن جني وعلم الدلالة: نوال كريم زرزور، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة المستنصرية، ١٩٨٨م.
- الإتساق في قصص القرآن الكريم، دراسة لغوية: لقمان مصطفى سعيد، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة صلاح الدين/ أربيل، ٢٠٠٤م.
- الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، دراسة دلالية: دلخوش جار الله حسين دزةيي، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة صلاح الدين/ أربيل، ١٩٩٦م.
- دلالة الجملة الإسمية في القرآن الكريم: شكر محمود عبد الله، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٩٩م.
- الزمن واللغة: مالك يوسف المطلبي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٨٤م.

الدراسات المنشورة في الدوريات والأنترنيت

- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة: د. يحيى أحمد، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٠، العدد ٣، الكويت، ١٩٨٩م.
- إشكالية الترجمة وثقافة النص: عُدي جوني، مجلة أفق، العدد ٢٥، السنة ٢، ٢٠٠٢م، (الأنترنيت).
- الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية: سهيل نجيب مشوّح، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد ٩٠٠، دمشق، ٢٠٠٤م، (الأنترنيت).
- التحليل الهيكلي للقصيدة العربية: محمد بن صالح بن عمر، مجلة الثقافة، العدد ٨، د. ت.

-التذكير والتأنيث في العربية بين العلامة والإستعمال: د. محمد ضاري حمادي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٣٣، ١٩٨٢م.
- تشومسكي والثورة اللغوية: جون سيرل، مجلة الفكر العربي، العددان ٨-٩، السنة ١، مطبعة المتوسط، بيروت، ١٩٧٩م.
- التقدير وظاهر اللفظ: د. داود عبدة، مجلة الفكر العربي، العددان ٨-٩، السنة ١، مطبعة المتوسط، بيروت، ١٩٧٩م.
- التوسع في المعنى في القرآن الكريم: د. فاضل صالح السامرائي
http: II. www. Islamyyat. Com /expehsion/ htmel
١٨-٧-٢٠٠٥م
- الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: د. نعمة رحيم العزاوي، مجلة المورد، المجلد ١٠، العددان ٣-٤، ١٩٨١م.
- رأي في بعض أنماط التركيب الجملي في اللغة العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، خليل عمايرة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد ٢، العدد ٨، الكويت، ١٩٨٢م.
- السكون في اللغة العربية: د. كمال محمد بشر، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء ٢٤، القاهرة، ١٩٦٩م.
- السياق الموسيقي للجملة العربية وأثره في بنائها: د. أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصرية، العدد ٤، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.
- شعرية الخطاب الأدبي: فريدة مولي، مجلة الموقف الأدبي، العدد ٤١٤، دمشق، ٢٠٠٥م. (الأنترنيت).
- الصورة المجازية في الشعر العربي المعاصر، مع إشارة خاصة لنظرية ماكس بلاك في المجاز: د. أديب نايف ذياب، مجلة الأقلام، العدد ١، السنة ٢٥، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.

- علم اللغة وعلم اللغة النفسي: ترجمة: مجيد الماشطة، مجلة الأقلام، العدد ٩، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣م.
- اللسانيات بين لغة الخطاب وخطاب الأدب: د. عبد السلام المسدي، مجلة الأقلام، العدد ٩٠، بغداد، ١٩٨٣م.
- اللغة العربية واللسانيات المعاصرة: مجيد الماشطة، مجلة الأقلام، العدد ٥، السنة ٢٢، بغداد، ١٩٨٧م.
- مجاز القرآن: محمد حسين علي الصغير
http: II www. refed\ net\ book\ olom\ quran\ majaz\ oou \ htmle
١٨-٧-٢٠٠٥م
- مدخل إلى بنية اللغة الشعرية: علوي الهاشمي، مجلة البيان، العدد ٢٤٨ ، ١٩٨٩م.
- مصطلح الاتساع والمفاهيم المرتبطة به في النحو العربي: كيسع مرستيغ، ترجمة: بوشيع برامون، مراجعة: المؤلف مجلة نقد وفكر، العدد ٢٤، (الأنترنيت).
- المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال (البيان والتبيين) للجاحظ: د. عبد السلام المسدي، حوليات الجامعة التونسية، العدد ١٣، ١٩٧٦م.
- من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: محمد السيد سليمان العيد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٣٦، المجلد ٩، تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ١٩٨٩م.
- النظرية الإستبدالية للإستعارة: د. يوسف مسلم أبو العدوس، مجلة الحوليات، كلية الآداب، الحولية ١١، الرسالة ٦٦، ١٩٩٦م.

المراجع الأجنبية

- Acquiring Conversational Competence: E. Ochs and B. Schieffelin: Rkp, printed in Great Britain by T. J. press, padstow, 1983.

- A Dictionary of Discourse Analysis: N. J. Tehran, Edited by: A. Bahrami- Rahnama- Iran, 1999.

- Discovering Grammar: H. Jackson, Pergamon press, Great Britain, 1982.

- Generative Grammar: Gnorrocks, 2nd- impression, published in U. S. A, 1988.

- Language and Linguistics: John Lyons, Cambridge University- press, combridge, 1981.

- Linguistics: Crystal. D- Linguistics, London, Penguin book, 1971.

- Morphology: Francis Katamba, first published, London, 1993.

المستوى التركيبي

عند السيوطي في كتابه الإتقان

الدكتورة
سوزان الكردي

دار جرير





دار جرير
للنشر والتوزيع

عمان : شارع الملك حسين -مقابل مجمع الفحيص
هاتف:96264651650+ - فاكس:96264643105+
ص.ب: 367 عمان 11118 الأردن
E-mail:dar_jareer@hotmail.com